STARDOM ACADEMY
مركز ستاردوم للدراسات والأبحاث العلمية
Stardom Center for Scientific Studies and Research

مجلة ستاردوم

للدراسات الإسلامية والشرعية

— مجلة إسلامية وشرعية، تصدر بشكل ربع سنوي —

عن أكاديمية ستاردوم | العدد الأول - لعام 2023م

رقم الايداع الدولي: 2649

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المشرف العام لمجلة ستاردوم

- يعتبر البحث العلمي ركيزة أساسية من ركائز أي صرح علمي متين، وهو دليلُ على مدى وعي ونضوج أصحاب هذا الصرح في سبيل خدمة مجتمعاتهم من خلال معالجة قضايا تلامس واقعاً مُعاش وموجود، ويتطلب تحقيق أهداف البحث العلمي إلى تشجيع التواصل العلمي بين الباحثين خاصةً إذا كانت المجلة تتيح المجال للباحثين من مختلف البلدان والثقافات.
- وهذا ما تركز عليه المجلة، والتي تصدر عن جامعة ستاردوم، وإننا إذ نفتح المـجال للباحثين والباحثات للمشاركة في المجلة من خلال أبحاث ومواضيع نوعية ومتميزة لم يطرقها أبواب البحث العلمي.
- ولهذا ومن خلال إصدار العدد الأول، لأول مجلة علمية من سلسلة مجلات ستاردوم، فإننا ندعو جميع الباحثين والمهتمين للمشاركة معنا، والباب مفتوح للجميع .
- **ختاماً:** نتمنى أن تكون موضوعات العدد الأول للمجلة مفيدة، وتطرق وتلامس مجالات اهتمام الجميع.

د. ميسون محمد النباهين

المشرف العام

هيكلية أكاديمية ستاردوم للدراسات الإسلامية والشرعية

رئيس التحرير

أ. د. ضياء محمد المشهداني - العراق

مدير التحرير

د. إيهاب محمد مهدي البصري- العراق

المدقق اللغوي

د. محمد عزات صالح جحا - تركيا

مترجم

د. ساجدة شحادة محمود - العراق

هيئة تحرير

د. موسى محمود طه معطان - فلسطين

د. عمر قيس عباس- العراق

د. سامي عدنان العجوري - فلسطين

د. زهرة عبد العزيز الثابت - تونس

د. محمد إبراهيم السلقاوي- فلسطين

د. لبني محمد بربار - سوريا

الهيئة العلمية الاستشارية

أ. د. رياض فرج مبروك بن عبدات - اليمن

أ. د. رائد يوسف جهاد- العراق

أ. د. أحمد محمد قاسم مذكور - السعودية

أ. د. طه جسام محمد العزاوي- العراق

أ. د. خالد عبد العظيم سليمان - السعودية

أ. د. رائد محمد عبد العبيدي- العراق

أ. د. علي بهلول علي أحمد بهلول - اليمن

أ. د. مصطفى إسماعيل مصطفى- العراق

د. محمود سعيد محمد الغزالي - اليمن

د. محمد علي حسن الشوكي - السعودية

د. أحمد عبد الرحيم مرسي - السعودية

عناوين الأبحـــاث

- أسئلة وأجوبة الشيخ عبد المعطي المالكي -تحقيق ودراسة، أ.د مصطفى إسماعيل العبيدي
- المسئولية الفردية وتجلياتها يوم القيامة في ضوء القرآن الكريم، د. موسى محمود طه معطان
- أثر التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي، د. أحمد عبد الرحيم حسانين مرسي
- العدل وآثاره في ترسيخ مفهوم المواطنة في ضوء الحديث النبوي الشريف، أ.د رائد محمد عبد العبيدي
- جهود الصحابة في التثبت من الرواية " صحيح مسلم أنموذجاً"، د. إيهاب محمد مهدي البصري
- استثمار النّص القرآني في معالجة المشكلات الاقتصادية، أ.د رياض فرج بن عبدات
- لوازم وضوابط معايير الخطيب الناجح بين الواقع والطموح، أ.د ضياء محمد محمود المشهداني
- الكيان الصهيوني والتطبيع في الشرف الأوسط الأسباب والأهداف، دراسة موضوعية في ضوء الفكر الإسلامي، د. شكرية حمود عبد الواحد
- توحيد الخطاب الديني لمجتمع يسوده التعايش السلمي -نظرة فكرية معاصرة، د. عمار باسم صالح
- جمالية صف الطيور في السماء وصفن الخيول للإنطلاق في القرآن الكريم، أ.د خالد إبراهيم مسلم الآلوسي

قواعد النشر في مجلة ستاردوم للدراسات الإسلامية والشرعية

تهتم مجلة ستاردوم للدراسات الإسلامية بعد موافقة أعضاء هيئة التحرير (المبدئية) بالأبحاث والأوراق العلمية في المجالات التالية: الشريعة، وأصول الدين، والحديث وعلومه، والعقيدة الإسلامية، والفكر الإسلامي، والفلسفة والمنطق، والدعوة والإرشاد، والتفسير وعلوم القرآن والقراءات القرآنية، ومقارنة الأديان وحوار الحضارات، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وغيرها من العلوم الإسلامية والشرعية بشكلٍ عام.

شروط النشر:

1. أن يتسم البحث بالأصالة والجدة والموضوعية، ويُمثل قيمة علمية ومعرفية جديدة في الميدان العلوم الإسلامية.
2. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية، على أن تتسم بالسلامة اللغوية والنحوية والإملائية.
3. ألا يكون البحث قد سبق نشره، أو نُشر جزئياً أو كلياً، أو أُرسِل للنشر في مجلة أخرى، أو تم تقديمه لمؤتمر أو أي جهة أخرى. ويُقدّم الباحث تعهداً خطياً بذلك، وبعدم إرساله لمجلة أخرى إلا بعد أخذ موافقة خطية من مجلة إيفاد للدراسات التربوية.
4. تقبل المجلة الأبحاث المُستلّة من رسائل الماجستير والدكتوراه، بعد إعادة صياغتها من جديد، والإشارة إلى أنه بحث مُستل في الصفحة الأولى من البحث، وإرفاق نسخة إلكترونية من الرسالة للمجلة، لعرضها على هيئة تحرير المجلة والمحكّمين؛ لاقتراح أي تعديلات جوهرية –إذا لزم الأمر–.
5. للمجلة الحق بإجراء أي تعديلات شكلية على البحث بما يتناسب وطبيعة المجلة.
6. الأبحاث المُرسلة للمجلة لا يُعاد إرسالها للباحثين سواءً تم قبولها أم رُفضت.
7. الباحث مسؤول مسؤولية كاملة عن صحة الاقتباس من المراجع المُشار إليها، كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسؤولة عن أي سرقة علمية تتم في هذه الأبحاث، وعند ثبوت ذلك؛ يتم سحب البحث من العدد، وللمجلة الحق باتخاذ ما يلزم من إجراءات حيال الباحث.
8. يُكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية، والملخص باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا يزيد عدد كلمات كل مُلخص عن (250) كلمة، بالإضافة إلى خمس كلمات مفتاحية على الأكثر.
9. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن (30) صفحة، بما في ذلك الأشكال والرسومات والجداول والهوامش وقائمة المراجع، وتُدرج الملاحق بعد قائمة المراجع، (مع العلم بأن الملاحق لا تُنشر، وإنما توضع بهدف التحكيم والاطلاع فقط).

قواعد عامة:

1. الالتزام بشروط وقواعد وأخلاقيات البحث العلمي وضوابطه المنهجية.
2. الأبحاث المخالفة لشروط النشر وقواعده لن يتم النظر فيها أو الردّ عليها.
3. للمجلة الحق في رفض أي بحث علمي حتى بعد قبوله؛ إن اتضح وجود مخالفات لقواعد وسياسة النشر بالمجلة.
4. تخضع جميع الأبحاث لفحص أولي، وفحص درجة الاستلال، على ألا تزيد عن (30%)؛ للتأكّد من أهلية البحث قبل تقديمه للتحكيم، وتقوم هيئة تحرير المجلة ببيان أسباب الرفض البحث.

5. تخضع الأبحاث لتحكيم سري تام، وحسب الأصول العلمية من قِبل مُحكّمين اثنين على الأقل متخصصين في مجال البحث، ويتم تزويد الباحث بأسباب رفض البحث أو بالتعديلات المقترحة في غضون (10–15) يوم من تاريخ استلام الباحث كتاباً يفيد بالموافقة الأولية على البحث، ويلتزم الباحث بإجراء هذه التعديلات المطلوبة في غضون (5–7) أيام من تاريخ استلامه قرار التعديلات، ومن ثم إعادة إرسال التعديلات للمجلة، وإلا سيُصرف النظر عن البحث.
6. يتم الردّ بقبول البحث بصورة نهائية أو رفضه في غضون (3–6) أشهر من تاريخ استلام البحث، وبعد إجراء الباحث للتعديلات المُقترحة والالتزام بها.
7. تُعبّر الأبحاث المنشورة عن وجهات نظر مؤلفيها فقط، ولا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة، كما ويتحملون مسؤولية صحة المعلومات والنتائج ودقتها.
8. تعتمد المجلة نظام الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA 6.0) للتوثيق والنشر العلمي.
9. يخضع ترتيب الأبحاث عند النشر لاعتبارات فنية فقط، ولا تمس بمكانة الباحث أو بقيمة بحثه.
10. جميع حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمجلة، وذلك بعد قبول ونشر البحث، ولا يجوز النقل أو النشر إلّا بالإشارة للمجلة.

عناصر البحث:

1. عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية، اسم الباحث ثلاثياً، الرتبة العلمية، المؤسسة التعليمية التي ينتمي إليها، والبريد الإلكتروني.
2. ملخص البحث باللغتين العربية والإنجليزية، بما لا يزيد عن (250) كلمة، ويشتمل الملخص على: هدف البحث، المنهج المُتبع، المجتمع، العينة وتوزيعها، الأدوات، المعالجة الإحصائية، أهم النتائج والتوصيات، بالإضافة إلى خمسة كلمات مفتاحية على الأكثر.
3. مقدمة.
4. مشكلة البحث، يوضح فيها الباحث مبررات البحث، أسئلتها و/أو فرضياتها.
5. أهداف البحث.
6. أهمية البحث.
7. حدود البحث.
8. التعريفات الإجرائية للبحث.
9. الإطار النظري والدراسات السابقة، والتعقيب عليها ومدى استفادة الباحث منها، وإضافته العلمية عليها.
10. منهجية البحث وإجراءاته، وتتضمن: منهج البحث والمجتمع والعينة، وأدوات البحث (إن وجدت) والتأكد من صدقها وثباتها، وإجراءات البحث.
11. عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها.
12. خاتمة تتضمن خلاصة شاملة للبحث بأهم النتائج والتوصيات والمقترحات.
13. قائمة المراجع، مقسمة إلى مراجع عربية ومراجع أجنبية، ومرتبة أبجدياً.

تنسيق البحث:

يجب تنسيق ملف البحث على برنامج مايكروسوفت ورد (MS Word)، حسب النظام التالي:

- الورق: حجم (A4) بأبعاده القياسية (210×297) ملم.
- الهوامش للأبحاث العربية والإنجليزية: (2.54 سم) من أعلى وأسفل، (3.18 سم) من اليمين واليسار، هوامش "عادي".
- المسافة بين الأسطر: مفردة (بمقدار: 1).
- تُدرج أرقام الصفحات في أسفل الصفحة.
- يجب ألا يتجاوز حجم الجداول والأشكال والرسومات البيانية حجم وهوامش الصفحة.
- الخطوط:
  1. الأبحاث المكتوبة باللغة العربية: نوع الخط (Simplified Arabic).
  2. الأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية: نوع الخط (Times New Roman).
  3. حجم الخط: (14) غامق للعنوان الرئيس، (12) غامق للعناوين الفرعية، (12) عادي لباقي النصوص وترقيم الصفحات، (11) عادي للمراجع.
- الجداول:
  - تُدرج الجداول في النص، وترقّم ترقيماً متسلسلاً، وتُكتب أسماؤها وعناوينها في أعلاها.
  - الجدول ورقمه – نوع الخط: حسب اللغة البحث، وحجم الخط (12) غامق.
  - عنوان الجدول – نوع الخط: حسب اللغة البحث، وحجم الخط (12) عادي.
  - تُنسق كالتالي في أعلى الجدول – الجدول (1): عنوان الجدول. ويُشار إليها في متن البحث بالجدول رقمه، مثل: ويُشير الجدول (1) إلى ....
  - تُكتب النصوص داخل الجداول بنوع خط: حسب لغة البحث، وحجم (11) عادي.
  - تُكتب الملاحظات التوضيحية أو مصدر الجدول في أسفل الجدول، بحجم خط (11) عادي، ثم توثّق بالمراجع.
- الأشكال والرسوم البيانية:
  - تُدرج الأشكال والرسوم البيانية في النص، وترقّم ترقيماً متسلسلاً، وتُكتب أسماؤها وعناوينها أسفلها.
  - الشكل أو الرسم ورقمه – نوع الخط: حسب اللغة البحث، وحجم الخط (12) غامق.
  - عنوان الشكل أو الرسم – نوع الخط: حسب اللغة البحث، وحجم الخط (12) عادي.
  - تُنسق كالتالي في أسفل الشكل أو الرسم البياني – الشكل (1): عنوان الشكل. ويُشار إليها في متن البحث بالشكل رقمه، مثل: ويوضح الشكل (1) أن ....

يُكتب مصدر الشكل أو الرسم في أسفل الشكل، بحجم خط (11) عادي، ثم يوثّق بالمراجع.

أسئلة وأجوبة

الشيخ عبد المعطي المالكي

– تحقيق ودراسة –

تحقيق

أ. د. مصطفى إسماعيل مصطفى العبيدي

التدريسي في الجامعة العراقية – كلية العلوم الإسلامية– قسم الحديث

2023م

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم أجمعين، وبعد:

فكلما قلبنا صفحات التاريخ ودار الزمان وجدنا في أمتنا علماء أجلاء كان همهم الأكبر وشغلهم الشاغل المحافظة على الدين بالدراسة والتأليف، فبذلوا أوقاتهم وأفنوا أعمارهم في سبيل ذلك، حتى وصل التشريع الإسلامي إلينا خالياً من الدخيل والزلل، واستمر دأب المسلمين على ذلك حتى يوم الناس هذا.

وكان من بين هؤلاء العلامة الشيخ عبد المعطي المالكي الأزهري رحمه الله تعالى الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري، والذي كان له الأثر الكبير على تلاميذه حتى صاروا من بعده أئمة يقتدى بعلمهم.

وقد رأيتُ من الوفاء لهذا الشيخ الجليل أن أعمل دراسة عنه، مع تحقيق جزءٍ ألفه كنت قد وقفتُ عليه في خزائن المخطوطات، حيث إنَّ الشيخ يتناول فيه موضوعات متعددة، ويعرض مادته بطريقة الإجابة على أسئلة وجهت له.

وقد جعلتُ تخريج الأحاديث الواردة في الجزء مما تضمنه كلام الشيخ عبد المعطي من أولويات عملي في التحقيق، لأنَّ معرفة صحيح الأحاديث من ضعيفها عند قراءة أي كتابٍ أمرٌ مهمٌّ، بل واجبٌ، وقد لا يملك البعضُ القدرةَ على معرفة الصحيح من الضعيف، ولذلك اعتنى كثير العلماء السابقين ومن تبعهم من المعاصرين بتخريج أحاديث ما اشتهر من الكتب كابن الملقن وابن حجر في تخريجهما لكتاب "الشرح الكبير" للرافعي في فقه المذهب الشافعي، وكذلك الزيلعي وابن حجر بتخريج أحاديث "الكشاف" للزمخشري، والحافظ العراقي وابن السبكي والزبيدي في تخريج كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي، والأمثلة كثيرة.

أسأل الله التوفيق والسَّداد في القول والعمل، آمين

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	1
المبحث الأول: حياة المؤلف عبد المعطي المالكي	2-11
المطلب الأول: الحالة السياسية	2
المطلب الثاني: الحركة العلمية في مصر	4
المطلب الثالث: الجامع الأزهر	5
المطلب الرابع: ترجمة المؤلف	8
المبحث الثاني: عنوان الجزء ومضمونه	12-17
المطلب الأول: عنوان الجزء ونسبته للمؤلف	12
المطلب الثاني: مضمونه	13
المطلب الثالث: أسباب اختياري للموضوع	14
المطلب الرابع: وصف النسخة المعتمدة في التحقيق	15
المبحث الثالث: منهج العمل والنص المحقق	18-34
المطلب الأول: منهج العمل في البحث	18
المطلب الثاني: النص المحقق	20
الخاتمة	35
المصادر	36

المبحث الأول : حياة المؤلف عبد المعطى المالكي

في هذا المبحث أعرف بحياة وسيرة مؤلف الجزء الذي أقوم بدراسته وهو عبدالمعطي المالكي المصري، وأبدأ بذكر شيء عما كان يحيط به من ظروف؛ لأنَّ ذلك يؤثر بشكل كبير على طبيعة التكوين الثقافي للمؤلف، وأبدأ بالحالة السياسية ثم الثقافية لعصر المؤلف.

المطلب الأول: الحالة السياسية

دخلت مصر تحت الحكم العثماني بعد أنَ دخلها السلطان سليم الأول وانتصر على الدولة المملوكية في معركة الريدانية[1] بالقرب من القاهرة، في عام 923هـ (بدايات عام 1517م). وبقيت تحت حكمهم كحال بقية العالم العربي مدة أربعة قرون. وبذلك أصبحت مصر ولاية عثمانية. وقد وزع العثمانيون سلطة الحكم في مصر بين الوالي والديوان والمماليك[2]، والملاحظ أنَّ مصر كانت ولاية يصعب على السلاطين العثمانيين السيطرة عليها، بسبب السلطة والنفوذ المستمر للمماليك، الذين كانوا يعملون من أجل العودة إلى استلام السلطة من جديد، وكانوا يشكلون طبقة عسكرية واسعة في مصر[3]. وبقي الحال على ذلك حتى غزا الفرنسيون مصر عام 1798م[4]. وبعد طرد الفرنسيين، استولى محمد عليّ باشا على الحكم عام 1805م، وظلت مصر تحت حكم أسرة محمد عليّ ولاية عثمانية اسمياً حتى 1914م، عندما أعلنت كمحمية بريطانية كرد فعل على قرار تركيا الاشتراك في الحرب العالمية الأولى إلى جانب حلف دول المركز [5].

وقد عاش الشيخ عبد المعطي المالكي في المدة بين 1070هـ إلى 1150هـ عندما كانت مصر يحكمها العثمانيون، وقد حكم الدولة العثمانية في هذه المدة من السلاطين كل من: محمد الرابع بن السلطان إبراهيم حكم إلى سنة (1099هـ)، والسلطان سليمان الثاني بن السلطان إبراهيم حكم إلى سنة (1102هـ)، والسلطان أحمد الثاني بن السلطان إبراهيم حكم إلى سنة (1106هـ)، والسلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع حكم إلى سنة (1115هـ)، والسلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع حكم إلى سنة (1143هـ)، والسلطان محمود الأول بن مصطفى الثاني حكم إلى سنة (1168هـ). ولم تكن الدولة العثمانية بأحسن حالاتها في هذه المدة بل كانت تعيش في مرحلة التراجع والاضمحلال، وكان دور السلاطين محاولة الإبقاء على هيبة الدولة وأراضيها قدر المستطاع مع وجود صراع كبير بين العائلة العثمانية على استلام زمام الأمور[6].

---

(1) الدولة العُثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط لعلي محمد الصلابي ص188.

(2) كان للعثمانيين وال (باشا) على مصر ترسله الإستانة وكانت له في الظاهر الكلمة العليا وكان بجانبه قائد تركي مع جيشه وكانت الولاية مقسمة إلى أربعة وعشرين إقليماً يحكم كل إقليم منها سنجق من البكوات المماليك. ينظر تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم لمحمد صبري ص 20.

(3) قلت: وبقي الحال على ذلك مع دخول الفرنسيين لمصر، ولكن بتولي محمد علي باشا الحكم في مصر عمل على تصفية المماليك في مجزرة مشهورة في التاريخ حيث جمع أكبر عدد من المماليك في مكان واحد وأطلق النار عليهم ليستقر له الحال وحده. ينظر تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد ص407.

(4) ينظر تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد ص372.

(5) تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان 282/2.

(6) ينظر تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان 101/2 فما بعدها، والدولة العُثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط لعلي محمد الصلابي ص275.

وكان الاضطراب في السلطنة العثمانية يوازيه اضطراب في الولايات ومنها مصر، حيث كان المماليك يتنافسون على استلام زمام الأمور، وكان المماليك في مصر على حزبين كبيرين يعرفان بالمماليك القاسمية والفقارية، وكان هذان الحزبان لا ينفكان يضاد أحدهما الآخر ويحاول كل منهما اكتساب النفوذ له وإذلال الآخر، فحصل بينهما حروب طويلة[7].

وقد تأثرت الحياة في مصر كثيراً بسبب هذه الاضطرابات، حتى أصبح حديث الناس عن السياسة يشغلهم عن مجالسة العلماء، كما تأثرت الحياة الاقتصادية بسبب ذلك وتراجعت أرزاق الناس، فكان يستولي المنتصر في بعض الأحيان على أموال الناس ويضع يده على جميع محصولات البلاد والكمارك والقرى والمخازن وحتى الحوانيت الصغيرة، ففشا الجهل وذهب الأمن ووقفت حركة العمران [8].

المطلب الثاني: الحركة العلمية في مصر

على الرغم من أنَّ مصر تحولت بعد دخول العثمانيين لها من دولة مستقلة وعاصمة لدولة عريضة الأرجاء إلى مجرد ولاية تابعة للدولة العثمانية، وفقدانها بذلك استقلالها وريادتها السياسية في المنطقة، إلا أنها احتفظت بريادتها الثقافية والتعليمية، وظلت ملتقى العلماء من شتى الأقطار الإسلامية.

ومن أهم ما ساعد على بقاء هذه الاستمرارية الثقافية والتعليمية وجود الجامع الأزهر بها، الذي كان يعد قبلة العلم والعلماء في العالِم الإسلامي منذ إنشائه، ويتجلى ذلك واضحاً في قدوم الدارسين من شتي أقطار العالِم الإسلامي، للتعلم في مصر وأخذ الأجازات عن علمائها، فبلغ علماء تلك الأقطار الغاية في العلم والإجادة في وضع المصنفات، ومما هو جدير بالذكر أنَّ مصر قد فاقت بقية الأقطار حتى صارت ملتقى للعلماء من كل مكان، منذ سقوط بغداد على يد المغوليين والحملات الصليبية المتكررة على بلاد الشام، فبرزت هي كعاصمة للعلم منذ أوائل العصر المملوكي.

وإذا كانت حركة التعليم والحياة الثقافية عامة قد أصابها شيء من الفتور في هذه الحقبة، فليس ذلك إلا لأنه كان جزءً من ركود ثقافي عام شمل الأقاليم التي دخلت في نطاق سيطرة الدولة العثمانية ولم يقتصر على منطقة أو مدينة بذاتها، وهو ركود يمكن أن نجد أسبابه في عوامل عدة اقتصادية وسياسية واجتماعية، قبل أن نجده في عوامل ثقافية بحتة.

وبعد كل ما تقدم من دور للأزهر في الحفاظ على الحركة العلمية والثقافية في مصر وكون من نترجم له هو أحد مشيخة الجامع الأزهر، كان لا بد لنا من الحديث عن هذه المؤسسة التعليمة، وهو ما سنتناوله في المطلب القادم.

المطلب الثالث: الجامع الأزهر

كانت مصر قبل تأسيس مدينة القاهرة لها عواصم متعاقبة يقوم بتأسيسها من يتصدى للحكم في مصر.

(7) تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان 109/2

(8) تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان 113/2، وتاريخ مصر الحديث لمحمد صبري ص19.

أولاها الفسطاط[9] التي أنشئت في سنة 21هـ عقب الفتح الإسلاميّ، فهي أول عاصمة للإسلام في مصر، ثم مدينة العسكر التي أنشأها العباسيون الجند إلى جانب الفسطاط, عقب انتزاعهم لمصر من يد الأمويين في سنة 123هـ ومدينة القطائع التي أنشأها أحمد بن طولون في سنة 256هـ لتكون عاصمةً للدولة الجديدة[10].

وكان يُبْنى في كلٍّ من هذه الأمكنة مساجد جامعة لغرض جمع الناس للصلاة والتعليم ولم يكن يدرس بها إذ ذاك إلّا علم اللغة والدين من قرآن وحديث، وهذه المساجد هي[11]:

1- المسجد الجامع[12]، أو جامع عمرو، وكان يسمى الجامع العتيق، أو جامع مصر، أو مسجد أهل الراية.
2- جامع العسكر[13].
3- ثم جامع ابن طولون[14].

(9) الفسطاط: هي المدينة التي بناها عمرو بن العاص عقب فتح مصر عام21هـ، وهي تقع قبل القاهرة بحوالي ميلين، وكان النيل عندها ينقسم إلى قسمين. وموضعها كان فضاءً ومزارعَ بين النيل والجبل الشرقي ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن، هذا وقد أنزل عمرو بن العاص القبائل العربية بالفسطاط، بعد أن اختط المسجد الجامع، وأما سبب تسميتها قيل إن كل مدينة فسطاط، وقيل: هو المعسكر أو المخيم أو البيت من الشعر، وقيل غير ذلك، وقد بقيت الفسطاط دار الإمارة حتى سقطت الدولة الأموية وبنيت المعسكرات بظاهرها.. ينظر معجم البلدان 264/4.

(10) قال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 3/ 15 : « القطائع كانت بمعنى الأطباق التي للمماليك السلطانية الآن، وكانت كل قطيعة لطائفة تسمى بها، فكانت قطيعة تسمى قطيعة السودان، وقطيعة الروم، وقطيعة الفراش؛ ونحو ذلك، وكانت كل قطيعة لكل جماعة؛ وهي بمنزلة الحارات اليوم، وسبب بناء ابن طولون القصر والقطائع، لكثرة مماليكه وعبيده، فضاقت دار العمارة عليه، فركب إلى سفح الجبل، وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى، واختط موضعها، وبنى القصر والميدان، ثم أمر لأصحابه وغلمانه أن يختطوا لأنفسهم حول قصره وميدانه بيوتاً، واختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط –أعني مصر القديمة– ثم بنيت القطائع، وسميت كل قطيعة باسم من سكنها » .

(11) ذكرها المقريزي في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار 5/4، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 61/1، والسيوطي في حسن المحاضرة 237/2.

(12) جاء في حسن المحاضرة ص133/1 عن هذا المسجد: « قال ابن فضل الله في المسالك: مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط، بناه عمرو موضع فسطاطه وما جاوره، وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام، ووقف عليه ثمانون من الصحابة، وصلوا فيه، ولا يخلو من سكنى الصلحاء » .

(13) قال المقريزي في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار 36/4: « هذا الجامع بظاهر مصر، وهو حيث الفضاء الذي هو اليوم فيما بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر، وكان إلى جانب الشرطة والدار التي يسكنها أمراء مصر، ومن هذه الدار إلى الجامع باب، وكان يجمع فيه الجمعة، وفيه منبر ومقصورة، وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس في ولايته إمارة مصر، ملاصقا لشرطة العسكر التي كانت يقال لها الشرطة العليا، في سنة تسع وستين ومائة، فكانوا يجمعون فيه... وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد بن طولون، ولم يزل هذا الجامع إلى ما بعد الخمسمائة من سني الهجرة ».

(14) قال السيوطي في حسن المحاضرة 246/2: « هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر...وابتدأ في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع، وهي مدينة بناها ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن، وبين الكبارة وما بين كوم الجارح وقناطر السباع؛ فهذه كانت القطائع. وكان ابتداء بنائه في سنة ثلاث وستين ومائتين، وفرغ منه سنة ست وستين، وبلغت النفقة عليه في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار. وقيل: إنه قال: أريد أن أبني بناء إن احترقت مصر بقي، وإن غرقت بقي، فقيل: تبني بالجير والرماد والآجر الأحمر، ولا تجعل فيه أساطين خام، فإنه لا صبر له في النار؛ فبنى هذا البناء ».

فلما تغلب الفاطميون على مصر ودخلت جيوشهم إليها بقيادة جوهر الصقلي كان أول ما أمر به المعزُّ لدين الله – أول ملوك الفاطميين بمصر– تأسيس مدينة القاهرة وبناء مسجد جامع فيها[15]، وبذلك وضع المعزُّ لدين الله حجر الأساس لجامع الأزهر سنة359 هـ، وأتمّ بناء المسجد في شهر رمضان سنة (361هـ/972م)[16]، واختير لبنائه مكان في الجنوب الشرقي من القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حيّ الديلم وحيّ الترك[17]، وسمي هذا الجامع عقب إنشائه بجامع القاهرة، باسم العاصمة الجديدة، وبجامع الأزهر ثم غلبت التسمية الثانية قال المقريزي في خططه: « وهو الجامع الذي يعرف في وقتنا هذا بالجامع الأزهر، ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة »[18]. ونسبة تسميته بالأزهر إشارة إلى الزهراء، وهو لقب سيدتنا فاطمة رضي الله عنها والتي سُمِّيَ باسمها أيضًا مقصورة في المسجد.

وقد أصبح هذا المسجد على مرِّ العصور مركزًا للحياة الإسلامية، يقيم المسلمون فيه صلواتهم، ويعقدون به مجالس قضائهم، ويدعون إلى مذاهبهم الخاصة، ويتحدثون فيه عن شؤونهم العامة، ويودعون في خزائنه كتبهم ومخطوطاتهم، إضافة إلى كونه مؤسسة تعليمية.

وكان في مقدمة العلوم التي تدرس بالأزهر علوم اللغة؛ من نحو، وصرف، وعلوم البلاغة، والأدب، والتاريخ. وأخذ الأزهر بنصيب وافر من العلوم المدنية، إلى جانب العلوم الدينية، وكانت الفلسفة، والطب، والمنطق والفلك، وغيرها من العلوم، حتى لقد أصبح للأزهر أهمية بالغة وشهرة ذائعة في العالم كله، وأصبح شرفاً عظيماً أن ينتسب الطالب إليه.

« وفي عام 1961م وضعت الثورة قانوناً جديداً لتطوير الأزهر، فأنشأت فيه كليات جديدة للطب والصيدلة والهندسة والزراعة والعلوم وكلية للبنات، وصار الأزهر جامعة كبرى تشمل كل علوم الدين والدنيا، وتغير وجه الأزهر القديم وصار الأزهر الحديث هو الماثل بيننا الآن »[19].

وقد كتب كثيرون عن علماء الأزهر وتاريخه منهم السيد محمد عبدالمنعم خفاجي في كتابه الموسوم بـ(الأزهر في ألف عام) ويقع الكتاب في مجلدين يتناول فيه مؤلفه صوراً مشرقة من تاريخ هذا المسجد بما فيه من علماء كانوا سبباً في نهضة مصر قديماً وحديثاً[20].

المطلب الرابع: ترجمة المؤلف

---

(15) ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وفيات سنة 361هـ 62/4.

(16) قال السيوطي في حسن المحاضرة 251/2: « هذا الجامع أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله لما اختط القاهرة، وابتدأ بناءه في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة إحدى وستين، ثم جدده الحاكم بأمر الله، ووقف عليه أوقافًا، وجعل فيه تنورين فضة وسبعة وعشرين قنديلًا فضة، وكان نضده في محرابه منطقة فضة، كما كان في محراب جامع عمرو، ثم إن المستنصر جدد هذا الجامع أيضاً وجدده الحافظ، وأنشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربي الذي في مقدم الجامع. ثم جدد في أيام الظاهر بيبرس ».

(17) الأزهر في ألف عام 407/2.

(18) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار 3/4.

(19) الأزهر في ألف عام 429/2.

(20) نشر مرات منها طبعة عالم الكتب ببيروت عام 1988م.

سأقوم في هذا المطلب بإيراد كل ما وجدته في المصادر عن الشيخ عبد المعطي المالكي، وكما يأتي:

أولاً: اسم المؤلف

هو العلامة الشيخ الفاضل عبد المعطي[21] المالكيُّ المِصْريُّ الأزهريُّ الضرير.

والمالكيُّ: نسبة إلى مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي إمام أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام[22].

والمِصْريُّ: نسبة إلى مصر أرض الكنانة[23].

والأزهريُّ: نسبة إلى الجامع الأزهر، وقد تقدم التعريف به، إذ إنَّ صاحب الترجمة هو أحد علماء هذا الصرح العلمي الكبير زاده الله رفعة.

وكان ضريراً على ما نقل، لكن لم يتبين لي متى أضرَّ.

وقد وصف الشيخ عبد المعطي بصفات تدل على علمه وتميزه كما جاء في الجزء الذي نقوم بدراسته منها « العلامة الأوحد والفهامة الأمجد صدر الراسخين وخاتمة المحققين والمدققين ... النحرير اللوذعي والأريب الألمعي » ...الخ، ومع ذلك كله فلم نجد من يترجم له ترجمة وافية يمكن من خلالها التعرف على هذا العالم الأزهري وقد جاء في أثناء الجزء أنَّ من شيوخه عليّ بن محمد الأُجْهوري.

لكنني وجدتُ ترجمة لبعض تلاميذه ذكرها عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: 1237هـ) في مواضع من كتابه "تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار" فذكر في أثناء الترجمة أن من شيوخه عبد المعطي المالكي، وأنا ذاكر ذلك من ذلك الكتاب لتمام الفائدة.

ثانياً: تلاميذه:

1- أحمد بن عمر أبو العباس الدَّيرَبي الشافعي الأزهري الشيخ الإمام العالم العلامة صاحب التآليف العديدة والتقريرات المفيدة، أخذ عن عمه الشيخ علي الدَّيرَبي قرأ عليه التحرير وابن قاسم وشرح الرحبية ... **والشيخ عبد المعطي المالكي** والشيخ محمد الخرشي والشيخ محمد النشرتي والشيخ أبي الحسن البكري خطيب الأزهر وغيرهم كثير، وانتشر فضله وعلمه واشتُهر صيته وأفاد وألف وصنف. توفي سابع عشرين شعبان سنة 1151هـ[24].

---

(21) لعبد المعطي ذكر في "تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار" تأليف عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: 1237هـ) في مواضع منه كما سيأتي عند الكلام على تلاميذه. وينظر الجزء الذي نحققه ففيه من صفاته ومنزلته الشيء الكثير.

(22) المالِكي: بفتح الميم وكسر اللام وفي آخرها الكاف، هذه النسبة إلى أبي عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي إمام دار الهجرة وهنالك جماعات كثيرة لا يحصون ينسبون إلى مذهبه يقال لكل واحد منهم «المالكي»، وجميع أهل المغرب إذا جاوزت مصر إلى مغرب الشمس كلهم مالكية إلا ما شاء الله. ينظر الأنساب للسمعاني 46/12.

(23) المِصري: بكسر الميم وسكون الصاد وكسر الراء المهملتين، هذه النسبة إلى مصر وديارها، قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ الزخرف، 51. ينظر الأنساب للسمعاني 286/12.

(24) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار 239/1-241 بتصرف. وتنظر ترجمته أيضاً في الأعلام للزركلي 188/1.

2- **أحمد بن غنيم بن سالم** بن مهنا النَّفراوي الشيخ الإمام العالم العلامة شارح الرسالة وغيرها، ولد ببلدة نفرة ونشأ بها ثم حضر إلى القاهرة فتفقه في مبادىء أمره بالشهاب اللقاني ثم لازم العلامة عبد الباقي الزرقاني والشمس محمد بن عبد الله الخرشي وتفقه بهما وأخذ الحديث عنهما ولازم الشيخ **عبد المعطي البصير** وأخذ العربية والمعقول عن الشيخ منصور الطوخي والشهاب البشبيشي واجتهد وتصدر وانتهت إليه الرياسة في مذهبه مع كمال المعرفة والإتقان للعلوم العقلية لا سيما النحو وأخذ الأعيان وانتفعوا به ومن مؤلفاته شرح الرسالة وشرح النورية وشرح الآجرومية توفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف عن اثنتين وثمانين سنة[25].

3- **عبد الحي بن عبد الحق بن عبد الشافي الشُّرُنْبُلالي** الحنفي، علامة المتأخرين وقدوة المحققين. ولد ببلدة شبرا بلولة من المنوفية بمصر ونشأ بها ثم ارتحل إلى القاهرة واشتغل بالعلوم وأخذ عن الشيخ حسن الشرنبلالي، والشهاب أحمد الشوبري، وسلطان المزاحي، والشمس البابلي، وعليّ الشبراملسي، والشمس محمد العناني، والسري محمد بن إبراهيم الدروري، والسراج عمر بن عمر الزهري المعروف بالدفري، وتفقه بهم، ولازم فضلاء عصره في الحديث والمعقول وأخذ أيضاً عن الشيخ العلامة يس بن زين الدين العليمي الحمصي، والشيخ **عبد المعطي البصير**، والشيخ حسين النماوي، وابن خفاجي، واجتهد وحصَّل واشتهر بالفضيلة والتحقيق وبرع في الفقه والحديث وأكب عليهما آخراً واشتهر بهما وشارك في النحو والأصول والمعاني والصرف والفرائض مشاركة تامة. وقصدته الفضلاء وانتفعوا به وانتهت إليه رياسة مصر. توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف ودفن عند معبد السيدة نفيسة[26].

4- محمد بن محمد بن محمد الولي شهاب الدين أحمد بن العلامة حسن بن العارف بالله تعالى علي بن الولي الصالح سلامة بن أولي الصالح العارف بدير بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو حامد البديري الحسيني الشافعي الدمياطي مات جده بدير بن محمد سنة ستمائة وخمسين في وادي النسور وحفيده حسن ممن أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أخذ أبو حامد المترجم عن الشيخ الفقيه العلامة زين الدين السلسلي إمام جامع البدري بالثغر وهو أول شيوخه قبل المجاورة، ثم رحل إلى الأزهر فأخذ عن النور أبي الضياء علي بن محمد الشبراملسي الشافعي، والشمس محمد بن داود العناني الشافعي قراءة على الثاني بالجنبلاطية خارج مصر القاهرة وإمام شرف الدين بن زين العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين بن يوسف جمال الدين بن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والمحدث المقرئ شمس الدين محمد بن قاسم البقري شيخ القراء والحديث بصحن الجامع الأزهر **والشيخ عبد المعطي الضرير المالكي**، وشمس الدين محمد الخرشي والشيخ عطية القهوقي المالكي، والشيخ المحدث منصور بن عبد الرزاق الطوخي الشافعي إمام الجامع الأزهر، ثم رحل إلى الحرمين فأخذ بهما عن الإمام أبي العرفان إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني في سنة أحدى وتسعين وألف، والسيدة قريش وأختها بنت الإمام عبد القادر الطبري في سنة اثنتين وتسعين وألف. روى وحدث وأفاد وأجاد أخذ عنه الشيخ محمد الحنفي وبه تخرج وأخوه الجمال يوسف والشيخ العارف بالله تعالى السيد مصطفى بن كمال الدين البكري وهو من أقرانه والفقيه النحوي الأصولي محمد بن يوسف الدنجيهي الشافعي. توفي المترجم أبو حامد بالثغر سنة أربعين ومائة وألف[27].

ثالثاً: منزلته العلمية:

(25) المصدر نفسه 127/1 بتصرف. وينظر الأعلام 192/1.

(26) تاريخ عجائب الآثار 121/1 بتصرف.

(27) تاريخ عجائب الآثار 139/1 بتصرف. وينظر الأعلام للزركلي65/7.

من المعلوم أنَّ منزلة كل عالم تظهر من خلال أمور عدة، منها مؤلفاته النافعة أو مدح علماء عصره له أو من خلال ما ينقله عنه تلاميذه، وغير ذلك.

ونجد هنا أنَّ الشيخ عبد المعطي قد وصفه أحد تلاميذه بأوصاف عدة تدل على تبحره وتميزه بين أقرانه فقال بحقه: "العلامة" و"الفَهَّامة" و"خاتمة المُحققين والمُدقِّقين" و "مَنْ سادَ بعلمهِ وعملهِ علماءَ عصرهِ"، و "النِّحْرير اللَّوْذَعي" و"الأريب الألمعي"، وغير ذلك من الأوصاف التي جاء ذكرها في أول الجزء الذي نقوم بدراسته. وهذه الأوصاف تعطينا فكرة أولية عن عنه.

كما أن هنالك علماء كبار ذاع صيتهم وعلا شأنهم قصده لأخذ العلم منه والتعلم على يديه وهذه فضيلة أخرى له.

ويبدو لي بعد دراستي لمحتوى الجزء والأسئلة التي أجاب عنها أن الشيخ عبد المعطي كان له معرفة جيدة بالنحو والصرف وعلوم اللغة من المعاني وغيرها، والفقه والأصول والفرائض، لكن بضاعته في الحديث قليلة؛ ذلك أنه يستشهد في أثناء كلامه بأحاديث ضعيفة بل وموضوعة، وهذا صنيع يستهجنه المحدثون إذ إنهم لا يقبلون رواية الحديث الموضوع إلا على سبيل الاستنكار والبيان، لأن كل حديث ليس له إسناد معتبر ولا هو منقول في كتاب مصنفه إمام معتبر فلا يجوز قبوله والاستشهاد به، وللإمام مسلم بن الحجاج في مقدمة كتابه الصحيح كلاماً جيداً في النهي عن رواية الحديث المكذوب، وقد روى أحاديث صحيحة متعددة بخصوص ذلك، منها: « كفَى بالمرءِ كذباً أنْ يُحدِّث بكلِّ ما سَمِعَ»[28]، **و**الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ : « من حدثَ عني بحديث يُرَى أنه كذبٌ ، فهو أحدُ الكاذبين »[29].

المبحث الثاني : عنوان الجزء ومضمونه

سأحاول في هذا المبحث تعيين اسم الجزء الذي أقوم بدراسة أحاديثه، وبعدها أذكر شيئاً عما تضمنه من مادة علمية مما أورده المؤلف، وتقييم هذه المادة.

المطلب الأول: عنوان الجزء ونسبته للمؤلف

إنَّ الجزء الذي أقوم بدراسته لم يرد فيه عنوانٌ بارزٌ، وذلك على عادة الكثير بالاقتصار على وضع عناوين للكتب الموسعة والشروح المطولة، وأما الأجزاء الصغيرة فيكتفون بوصفها جزء للشيخ...الخ.

وقد ورد في أول الجزء من كلام الناسخ العبارة الآتية: « هذه أسئلة وأجوبة للشيخ الإمام مفتي الأنام الشيخ عبد المعطي المالكي » ، ثم بدأ بسرد المادة العليمة فيه، ولم يشر إلى شيء آخر عن العنوان.

ومفهوم الجزء كما يذكر المحدثون هو كتاب صغير يشتمل على جمع الأحاديث المروية عن واحد من الصحابة أو من بعدهم، أو جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد على سبيل البسط و لاستقصاء، وهي تجمع أكبر عدد من الأحاديث والآثار المتعلقة بالموضوع، وهي كتب نفيسة تشبع الموضوع حقه؛ مثل: "جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري" و "جزء القراءة خلف الإمام"[30]. وفي

(28) مقدمة صحيح مسلم 8/1.

(29) المصدر نفسه 7/1.

(30) الرسالة المستطرفة ص 64، وكشاف اصطلاحات الفنون للفارقي التهانوي 265/1.

الفقه يكون الجزء بعرض مسألة فقهية تحتاج إلى إجابات واستيعاب أقوال العلماء فيها بشكل مسهب، وكذلك في العقيدة والتفسير وبقية العلوم لكن في الحديث أشهر. ويتفاوت حجم الأجزاء من بضع أوراق إلى العشرات، والغالب أن تكون صغيرة، وتمتاز بأنها تبرز علم الأئمة، لما أن إفراد الموضوع الجزئي بالبحث يتطلب استقصاء وعمقاً[31].

ومؤلف الجزء الذي نقوم بدراسته هو الشيخ عبد المعطي المالكي الأزهري، وقد وردت الإشارة إلى اسمه في ثلاثة مواضع منه:

أولها: في طرة الكتاب، حيث جاء من كلام الناسخ العبارة الآتية: « هذه أسئلة وأجوبة للشيخ الإمام مفتي الأنام الشيخ عبد المعطي المالكي تغمده الله برحمته ونفعنا به آمين».

والثاني: في بداية الكلام حيث قال الناسخ: « سئل شيخُنا العلامة الأوحدُ، والفَهَّامةُ الأمجدُ، مبدأُ الراسخينَ وخاتمةُ المُحققينَ ... مولانا الشيخ عبد المُعْطي المالكي الأزهري فَسح الله في مدته ونفعنا والمسلمين بعلومهِ وبركتهِ عن سؤالاتٍ دقيقة وابتكاراتٍ عميقة. فأجابَ حفظه الله ».

والثالث: في آخر الكلام، حيث قال الناسخ بعد الانتهاء من كتابة النسخة: «أملاه عبد المعطي المالكي غفر له مولاهُ وأسعدهُ عند موتهِ ويوم لقاه آمين ».

المطلب الثاني: مضمونه

يتضمن الجزء أسئلة متعددة أجاب عنها الشيخ عبد المعطي المالكي رحمه الله تعالى، وقد جاءت هذه الأسئلة منوعة، وربما صدرت من أحد تلاميذه، أو ممن كان يحضر مجلسه من عوام الناس، وهي في مجملها سبعة أسئلة، وكما يأتي:

الأول: هل الصلاةُ على النبي ﷺ مقبولةٌ ولو مع الرياء أو يدخلُها كغيرها من الأعمال.

الثاني: هل الدعاءُ الملحونُ لا يُقبلُ مطلقاً أو يقبلُ مطلقاً أو يفرق بين العامي وغيره.

الثالث: ومنها ما جواب من قال هل الصلاة أزلية أو أبدية.

الرابع: هل يجوز الدعاء للكافرِ بالمغفرة أو لا.

الخامس: هل يُصلَّى على جنازةِ الصبي الذي أبواه كافران أو لا، وإذا قلتم بالصلاة عليه هل يقال في الدعاء له اللهم اجعله لأبويه فَرَطاً وذُخْراً الخ أو لا.

السادس: هل الكنف والستر بمعنى واحد أو لا، وما معنى السِّتر بكسر السين.

السابع: هل فُتحت مصرُ عنوةً أو صُلْحاً ومَنْ فتحت على يديه من الصحابة وما تاريخ.

(31) منهج النقد في علوم الحديث ص 209.

وبعدما انتهى من الإجابة على الأسئلة، ختم كلامه ببحث موسع عن استخراج عدد الأنبياء والمرسلين من اسم النبي محمد ﷺ باستخدام حساب الجُمَّل، فقال: « وقد جعلنا السؤال المتعلق بالصلاةِ على النبيِّ ﷺ أول الأسئلة ونختمها بشيء يتعلق به ﷺ ليستحصل شرف للبدء والغاية ».

وإذا أردنا أن نُقيّم ما جاء في كلام الشيخ عبد المعطي المالكي من مادة علمية، فيمكننا ذكر الآتي:

1- إنه يكثر النقل من كتب من تقدمه من العلماء.

2- أورد أحاديث ضعيفة وموضوعة في استدلاله على بعض المسائل.

3- استنباطه لعدد الأنبياء بطريقة حساب الجُمَّل، وهو حساب قديم ناتج عن التعبير عن الحروف بالأرقام، وهذا الحساب لا يستند إلى أي أساس علمي أو شرعي، وقد كان مستخدماً قبل الإسلام في التوثيق لبعض الأحداث بدلاً من كتابة التاريخ يكتبون كلمات لو أبدلت كل حرف بقيمته وجد ذلك التاريخ، فإذاً هو موجود قبل الإسلام ويختلف من حضارة لأخرى، ولذلك لا يجوز أن نقحم في كتاب الله تعالى وفي سنة الرسول الكريم ﷺ حسابات من اصطلاح البشر ثم نجعلها وكأنها أشياء قطعية نؤمن بها لأن هذه الاصطلاحات تختلف من شعب لآخر، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [32] ، وقد أطال المؤلف الكلام في آخر الجزء عن هذا الحساب حتى خرج عن المعتاد، مما اقتضى التنبيه عليه.

المطلب الثالث: أسباب اختياري للموضوع

هنالك أسباب عدة جعلتني اختارُ الكتابة في هذا الموضوع، وهي :

1- إن الجزء الذي أقوم بدراسته لم يحقق إلى اليوم، وبالتالي فإن في إخراجه خدمة للتراث الإسلامية حتى لا يبقى حبيس الرفوف، ولتعم فائدته للجميع.

2- وجدتُ أن المؤلف يسوق أحاديث متعددة بحاجة إلى تخريج ودراسة، وبعضها موضوعة، فاقتضى مني أن أبينها بتفاصيلها، ومما هو معلوم أن رواية الحديث الضعيف والموضوع لا يجوز إلا على سبيل الاستنكار والبيان والتعليم، وقد قال الإمام مسلم بن الحجاج في مقدمة صحيحه، في باب الرواية عن الثقات وترك الكذابين: « واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع »[33].

3- التعرّف على مناهج المتأخرين وطريقة تأليفهم ومستوى ثقافتهم مقارنة بالمتقدمين، خاصة وأن المؤلف أزهري المشرب، ومعلوم حبُّ الأزهريين للعلم وكم ساهموا في نشره عبر العقود المتعاقبة.

المطلب الرابع: وصف النسخة المعتمدة في التحقيق

---

(32) سورة النساء الآية 82.

(33) مقدمة صحيح مسلم 6/1.

مما هو معلوم في التحقيق العلمي وضوابطه أنْ يكون معتمداً في إخراج المادة العلمية على نسخ متعددة، لكن ينبغي التنبيه إلى أنَّ ذلك لا ينطبق على الكتب أو المؤلفات التي تخلو من نُسخ أخرى، لأنَّ من واجب المحقق أنْ يفتش قدر طاقتهِ، فإذا أعياهُ الأمر اقتصر على ما هو متوفر بين يديه من النسخ، حتى لو كانت نسخة واحدة، وهو بالتأكيد أولى من بقاء الكتاب مركوناً مع المخطوطات لا يعرفه أحد سوى ثلة يسيرة، وعلى هذا وجدنا العمل عند كثير من المشتغلين في مجال التحقيق.

وانطلاقاً مما تقدم فإني قد بذلتُ وسعي وأفرغتُ جهدي في سبيل الوصول إلى نسخ للجزء الذي أقوم بدراسته وتخريج أحاديثه وتحقيقه، فتوصلتُ من خلال بحثي إلى هذه النسخة الوحيدة التي بين يدي والتي اعتمدتُ عليها في إخراج النص المحقق كاملاً.

وقد منَّ الله علي فاستطعتُ قراءة جميع المادة العلمية التي وردت فيها، والحمد لله على ذلك.

والنسخة هي من محفوظات مكتبة الأزهر الشريف في مصر، تحمل الرقم (323392)، كتبت بخط واضح مقروء، فجاءت في ثمانية أوراق في كل ورقة (25) سطراً، في كل سطر (8) كلمات. وورد ختم في طرة النسخة وفي آخرها مفاده أنها من مخطوطات: « الكتبخانة الأزهرية ».

وأما الناسخ فاسمه (مصطفى السرسموسي) وقد ورد اسمه في آخر النسخة، حيث قال هو: « انتهى على يد الفقير إلى الله تعالى مصطفى السرسموسي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين » ويبدو أن الناسخ لم يكن من المشتهرين بالعلم حيث لم تذكر له ترجمة مستقلة في كتب التراجم.

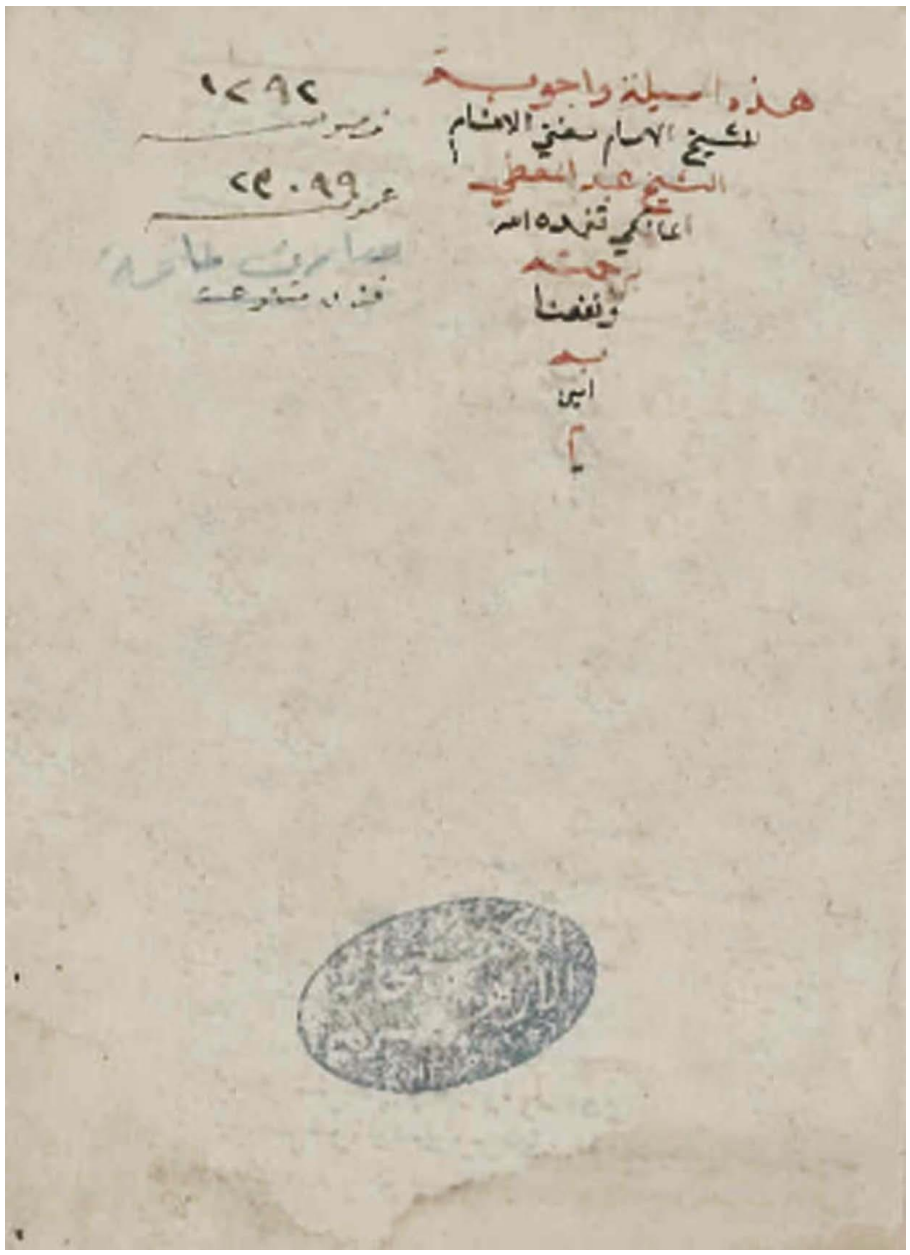

طرة المخطوطة

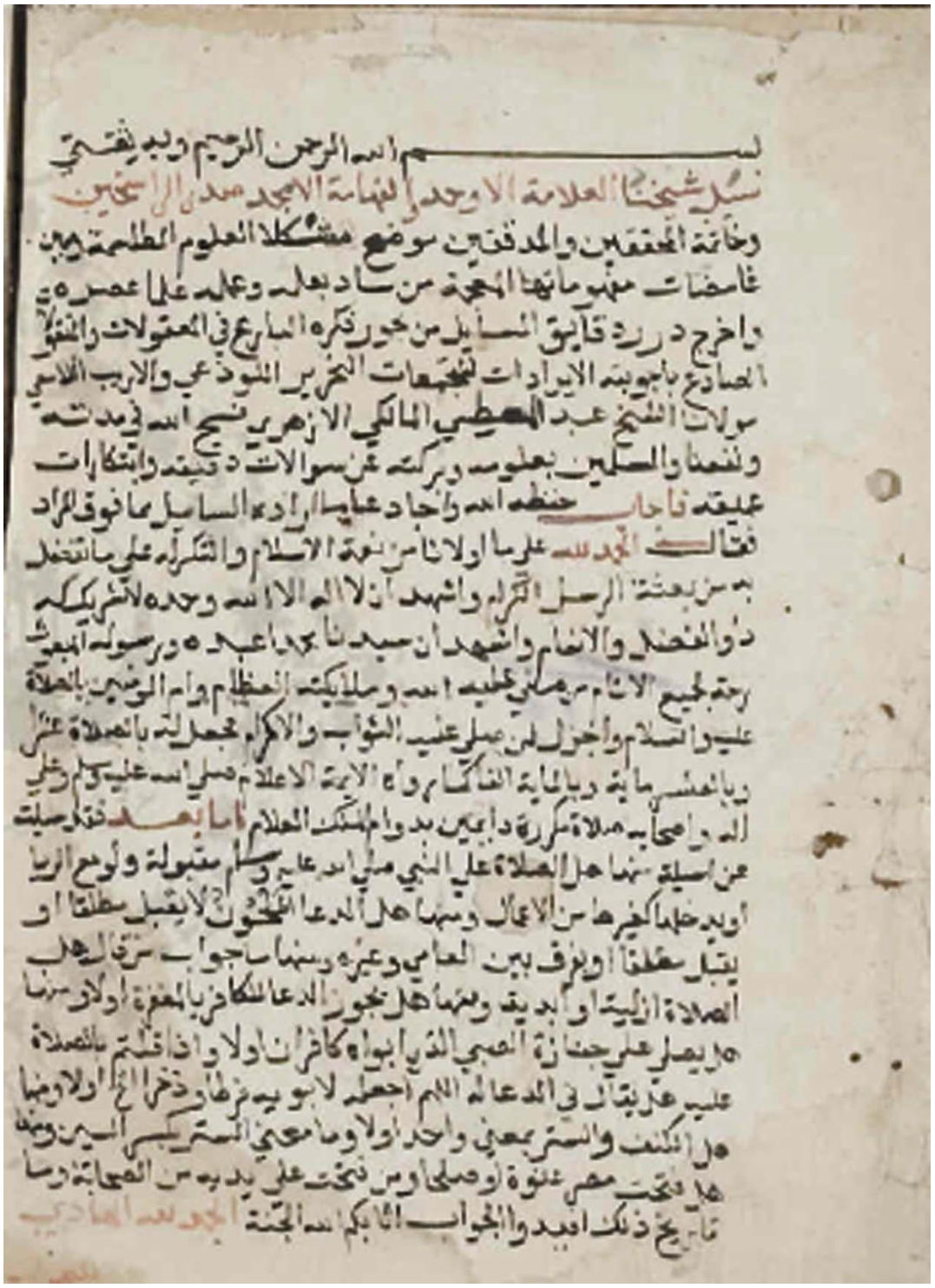

صورة الورقة الأول من النسخة المخطوطة

المبحث الثالث : منهج العمل والنص المحقق

سأقوم في هذا المبحث بذكر منهجي في العمل في تحقيق النص وضبطه، بعدها أقوم بذكر النص المحقق لأجوبة عبد المعطي، وأقوم في الهامش بدراسة الأحاديث دراسة وافية مبيناً الحديث الصحيح من الضعيف مما أورده المؤلف من الأحاديث.

المطلب الأول: منهج العمل في البحث

جعلت عملي في البحث من خلال جانبين:

الأول: تحقيق النص الوارد في جزء الشيخ عبد المعطي المالكي، وقد اتبعت في ذلك قواعد ضبط النصوص، وهي:

أ- نسخ النص بالكامل.

ب- مقابلة المسودة المنتسخة على المخطوط بشكل جيد وبتأن شديد حتى لا يبقى سقط أو تصحيف وتحريف في النصّ المحقق.

ج- ضبط النص وتشكيله حتى يسهل قراءته.

د- إذا وجدتُ في النسخة تحريفاً أو تصحيفاً أو تصرفاً من الناسخ أصلحته على الصواب، أما إذا كان من غير الناسخ بأنْ يغلب على الرأي أنه من عند المؤلف فأثبته كما ورد ثم أعقب عليه في الهامش، وسياق النص يدلل عليه.

الثاني: تخريج الأحاديث الواردة في النص المحقق والتي ذكرها الشيخ عبد المعطي المالكي، ومن خلال عملي في الجزء وجدت أنه لا يذكر سنداً للحديث بل يقتصر على ذكر المتن بشكل مختصر، وكثير من الأحاديث ينقلها من مؤلفات سابقة له ولا يرجع فيها إلى أمهات كتب الحديث من سنن ومسانيد، ونتيجة لذلك وجدت أن أقوم بتخرج الحديث وفق المنهج الآتي:

1- كتابة المتن بشكل كامل، حتى يفهم المراد ويتوضح الاستدلال بالحديث.
2- ذكر سند الحديث من موضع المدار حتى يسهل بيان درجته من حيث القبول والرد.
3- عزو الحديث إلى مصادر السنة النبوية التي ورد فيها الحديث مع ذكر الألفاظ المختلفة إنْ وجدت.
4- بيان مرتبة الحديث إن كان صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً مع ذكر سبب الضعف.
5- تخريج الآيات القرآنية الواردة في النص المحقق.
6- توثيق أقوال أهل العلم الواردة في النص المحقق، وعزوها إلى مصادرها في الكتب المعتبرة

قصة الاعراب عند إبراهيم أنيس

المطلب الثاني : النص المحقق مع تخريج أحاديثه

سُئل شيخُنا العلامة الأوحدُ، والفَهَّامةُ الأمجدُ، مبدأُ الراسخينَ وخاتمةُ المُحققينَ والمُدققِّين، موضحُ مشكلات العلوم المُطَلْسمة، ومبينُ غامضات مفهوماتها المُعجمة، مَنْ سادَ بعلمهِ وعملهِ علماءَ عصرهِ، وأخرجَ دررَ دقائق المسائل من بُحورِ فكرهِ البارع في المعقولات

والمنقولات، الصادعُ بأجوبتهِ الإيرادات المجتمعات، النِّحْريرُ اللَّوْذَعي[34] والأريبُ الألمعي[35]، مولانا الشيخ عبد المُعْطي المالكي الأزهري فَسح الله في مدته ونفعنا والمسلمين بعلومهِ وبركتهِ عن سؤالاتٍ دقيقة وابتكاراتٍ عميقة. فأجابَ حفظه الله وأجادَ عما أراده السائلُ مما فوقَ المرادِ، فقال:

الحمدُ لله على ما أولانا من نعمةِ الإسلامِ، والشكرُ له على ما تفضَّلَ به من بعثةِ الرسلِ الكرام، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له ذو الفَضْل والإنعام، وأشهدُ أنَّ سيدنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ المبعوث رحمة لجميع الأنام من صَلَّى عليه الله وملائكتُهُ العظام، وأمرَ المؤمنين بالصلاة عليه والسلام، وأجزلَ لمن صَلَّى عليه الثوابَ والإكرام فجعلَ له بالصلاة عشراً وبالعشر مئة وبالمئة ألفاً كما رواه الأئمة الأعلام[36] ﷺ وعلى آله وأصحابه صلاةً مكررةً دائمين بدوام الملك العلاَّم.

أما بعدُ، فقد سئلتُ عن أسئلة منها هل الصلاةُ على النبي ﷺ مقبولةٌ ولو مع الرياء أو يدخلُها كغيرها من الأعمال.

ومنها هل الدعاءُ الملحونُ لا يُقبلُ مطلقاً أو يقبلُ مطلقاً أو يفرق بين العامي وغيره.

ومنها ما جواب من قال هل الصلاة أزلية أو أبدية.

ومنها هل يجوز الدعاء للكافرِ بالمغفرة أو لا.

ومنها هل يُصلَّى على جنازةِ الصبي الذي أبواه كافران أو لا، وإذا قلتم بالصلاة عليه هل يقال في الدعاء له اللهم اجعله لأبويه فَرَطاً وذُخْراً الخ أو لا.

ومنها هل الكنف والستر بمعنى واحد أو لا، وما معنى السِّتر بكسر السين.

ومنها هل فُتحت مصرُ عنوةً أو صُلْحاً ومَنْ فتحت على يديه من الصحابة وما تاريخ ذلك أفيدوا الجواب أثابكم اللهُ الجنة.

---

(34) النحرير: الذكي الفطن البصير بكل شيء، ينظر النهاية في غريب الحديث 5/ 28. واللوذعي: الحديد الفؤاد واللسان، الظريف، كأنه يلذع من ذكائه، أي يتوكد. ينظر لسان العرب 317/8، والمصباح المنير ص552. مادة (لذع).

(35) الرجل الأَريب، أَي ذُو دَهْي وبَصَر. ينظر تهذيب اللغة للأزهري 184/15 مادة (أرب). و(الألمعي) الذكي المتوقد. ينظر مختار الصحاح للرازي ص 285 مادة (لمع). والفرق بين الألمعي واللوذعي أن اللوذعي هو الخفيف الظريف مأخوذ من لذع النار وهو سرعة أخذها في الشيء، والألمعي هو الفطن الذكي الذي يتبين عواقب الأمور بأدنى لمحة تلوح له. ينظر الفروق اللغوية للعسكري ص86.

(36) ورد في فضل الصلاة على نبينا الكريم ﷺ عدة أحاديث منها: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول : « من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليه بها عشراً ». أخرجه مسلم في صحيحه (778). ومن حديث أبي هريرة بلفظ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « من صلَّى عليَّ واحدةً صلى اللهُ عليه عشراً ». أخرجه مسلم أيضاً (842). ومن حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: « من صلَّى عليَّ صلاةً واحدة، صلى اللهُ عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات ». أخرجه أحمد في مسنده 102/3و261، والبخاري في الأدب المفرد (643)، والنسائي في سننه 50/3، وفي عمل اليوم والليلة (62) و(362) وابن حبان في صحيحه (904)، والحاكم في المستدرك 550/1، والبيهقي في شعب الإيمان (1554) ، والبغوي في شرح السنة (1365) وهو حديث صحيح. قلت: وقد كتب غير واحد من العلماء قديماً وحديثاً في فضل الصلاة على النبي الكريم منها: كتاب الصلاة على النبي ﷺ لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ) نشرته دار المأمون للتراث – دمشق، ومنها فضل الصلاة على النبي ﷺ لأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (المتوفى: 282هـ) نشره المكتب الإسلامي ببيروت وغيرها.

الحمدُ لله الهادي للصواب، أقولُ: أما السؤالُ الأول وهو هل الصلاة على النبي ﷺ مقبولة ...الخ، فأقولُ: المشهورُ عند الشافعية أنْ يدخلَها الرياء كغيرها من الأعمالِ، ونُقل عن العلامة البُلْقينيّ[37] من الشافعية أنَّه يدخلَها، وكلامُ أئمةِ مذهبنا يفيدُ مثلَ ما قال العلامةُ البُلْقيني. وقد سألتُ أستاذنا العلامة أبا الأرشاد علياً الأُجْهُوري[38] عن ذلك فقال في كلام شُراح الرسالة يفيد أنَّ الرياء لا يدخلها، وذَكر لي أنَّ الشيخ البُلْقيني ذَكَر في شرح الصلاة على النبي ﷺ كافة كلما ذكره، ونقل شيخنا المذكور عن البُلْقيني في تأليفٍ له في فضائل رمضان وقال: الظنُّ أنَّ السلام كذلك. ونَقَلَ لي بعضُ الأصحاب عن البُلْقيني في بعض تأليفاته ما نصه: « والصلاةُ على النبي ﷺ لا يدخلها رياءٌ لأنَّا نطلبُ من الله أنْ يُصليَ عليه لا أننا نُصلي عليه بأنفسنا؛ لأنَّ مقامه ﷺ مرتفع، وإنما شُرِّعت ليعود ثوابُها على المصلي » انتهى. ثم رأيتُ في شرح الرسالة للعلامة التتائي[39] ما معناه أنَّ المصنف صلى على النبيّ ﷺ في أول الكتاب وختمه بها لأنَّ الصلاة على النبيّ ﷺ مقبولة غير مردودة وإذا تقبل الله الطرفين فالمرجو من فضلهِ أنْ يتقبل ما بينهما.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: « كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتى يصلي على النبيّ ﷺ فيه »[40].

وروي عن عمر مثله[41].

---

(37) البُلْقِيني: هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، أبو حفص، سراج الدين الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ. مجتهد حافظ للحديث. ولد في بلقِينة من غربية مصر وتعلم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة (769 هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (805 هـ). له مؤلفات نافعة في الفقه والحديث منها: تصحيح المنهاج في الفقه، والملمات برد المهمات في الفقه، ومحاسن الاصطلاح في الحديث، وله الفتاوى. تنظر ترجمته في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي 85/6، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي 329/1 رقم (76)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي80/9.

(38) الأُجْهُورِي: هو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علي، أبو الإرشاد، نور الدين الأجهوري: فقيه مالكي، من العلماء بالحديث والفقه وغير ذلك وله مؤلفات متعددة. مولده سنة 967هـ، وتوفي بمصر سنة 1066 هـ. ينظر الأعلام للزركلي 13/5.

(39) التَّتَائي: هو محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي: فقيه من علماء المالكية. نسبته إلى " تتا " من قرى المنوفية بمصر. نعته الغزي بقاضي القضاة بالديار المصرية. توفي سنة 942هـ الموافق 1535م. من كتبه فتح الجليل شرح به مختصر خليل في الفقه شرحاً مطولاً، و جواهر الدرر في شرحه أيضاً، وتنوير المقالة في شرح رسالة ابن أَبي زَيْد القيرواني، في الفقه، وخطط السداد والرشد بشرح نظم مقدمة ابن رشد في الفقه. ينظر الأعلام للزركلي 302/5.

(40) أخرجه موقوفاً: الطبراني في المعجم الأوسط (721) والبيهقي في شعب الإيمان 135/3 (1474) من طريق عامر بن سيار، والشجري في أماليه 188/1 و199 من طريق إسماعيل بن عمرو (كلاهما: عامر بن سيار وإسماعيل بن عمرو) عن عبدالكريم الخزاز عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث وعاصم بن ضمرة عن علي. وجاء في رواية الشجري الحارث وحده. وأخرجه مرفوعاً: البيهقي في شعب الإيمان 136/3 (1475)، والهروي في ذم الكلام وأهله 274/1 (4) من طريق نوفل بن سليمان عن عبد الكريم الجزري عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ. قال المنذري في الترغيب والترهيب 330/2 (2589): «رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً، ورواته ثقات ورفعه بعضهم والموقوف أصح»، وكذا رجح الموقوف ابن القيم في جلاء الأفهام ص 43 والسخاوي في القول البديع ص224. وضعف المرفوع الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار 47/4 حيث قال: « هذا حديث غريب، وفي سنده ضعيفان: الحارث ونوفل». قلت: نوفل بن سليمان ضعيف وقد أخطأ حيث سمى عبد الكريم بالجزري، قال الحافظ في لسان الميزان 53/4: « وقد رواه نوفل بن سليمان أحد الضعفاء عن عبد الكريم هذا لكنه وهم فقال عن عبد الكريم الجزري والجزري ثقة لا يحتمل مثل هذا ». وعبد الكريم الخزاز واهي الحديث جداً قاله الأزدي كما في ميزان الاعتدال 647/2. والحارث هو ابن عبدالله الأعور الهمداني متفق على ضعفه، كما في تقريب التهذيب (الترجمة1029). فالحديث إسناده ضعيف مرفوعاً وموقوفاً. وسيأتي بقية الكلام عليه في حديث علي بن أبي طالب الآتي بعده، فهو وهذا الحديث واحد، لكني فصلت تخريجه بسبب الاختلاف في لفظه.

وقال رسول الله ﷺ : « الدعاء بعد الصلاة على النبيّ لا يردُّ »[42].

وعن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من دعاءٍ إلا وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلي على النبي ﷺ وعلى آل محمد فإنْ فعل ذلك انخرقَ الحجابُ ووصَلَ الدعاءُ وإنْ لم يفعل ذلك رَجَعَ الدعاءُ »[43]

انتهى من المنهج الحنيف في اسمه تعالى لطيف[44].

وهذا الذي تميلُ النفسُ إليه لما فيه من مزية ما يتعلق بالنبي ﷺ على غيره.

هذا وقد سألتُ العلامة الشيخ عبد الكريم المغربيَّ شيخ رَكْب الحاج المغربي عن ذلك؟ فقال: للصلاة على النبيّ ﷺ مطلبان:

مطلبٌ بين العبدِ وبين ربه ومطلبٌ بين الربِّ ونبيه.

فإذا قال العبد: اللهم صلِّ على محمد فمعناه اللهم أوصل رحمتك إلى محمد.

---

(41) ورد عن عمر بن الخطاب موقوفًا أنه قال: « إنَّ الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلّي على نبيك ﷺ » أخرجه الترمذي في جامعه (486) من طريق النضر بن شميل عن أبي قرة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب. قلت: وإسناده ضعيف لجهالة أبي قرة الأسدي. وقال الحافظ ابن حجر في كتاب نتائج الأفكار 46/4: « أخرجه (الترمذي) موقوفاً، وفي وسنده أبو قرة الأسدي لا يعرف اسمه ولا حاله، وليس له عند الترمذي ولا أصحاب السنن إلا هذا الموقوف، وهو من رواية النضر بن شميل عنه. وقد رواه معاذ بن الحارث عن أبي قرة مرفوعاً. أخرجه الواحدي، ومن طريقه عبد القادر الرهاوي في الأربعين. وفي سنده أيضاً من لا يعرف ». وقال ابن كثير في مسند الفاروق 176/1: « وهذا إسناد جيد وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر قوله، ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قرة الأسدي عن سعيد عن عمر مرفوعاً، والأول أصح، وقد رواه رزين بن معاوية في كتابه مرفوعاً ولفظه عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلى علي فلا تجعلون كعمر الراكب صلوا علي أول الدعاء وأوسطه وآخره ». وينظر القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي ص223.

(42) لم أجد له ذكراً بهذا اللفظ فيما بين يدي من الكتب.

(43) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (1650)، وابن أبي شريح في الأحاديث المئة الشريحية (برقم 1)، وبيبى الهرثمية في جزئها (برقم 35)، وابن رشيد في ملء العيبة 3/ 381 ، وابن المستوفي في تاريخ إربل 1/ 238- 239، وابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد 258/3 و80/4، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 176/1، وابن حجر في نتائج الأفكار 48/4 كلهم من طريق الحسن بن عرفة عن الوليد بن بكير عن سلام الخزاز عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث عن علي، به مرفوعاً. وإسناده ضعيف جداً، فسلام الخزاز هذا الذي رفعه هنا هو نفسه عبد الكريم الخزاز المتقدم الواهي كما بينه ابن حجر في نتائج الأفكار بقوله: « وفي هذا الإسناد سلام، وأظنه الماضي سمي عبد الكريم ليخفى، لشدة ضعفه، والله أعلم ». والحارث بن عبد الله الأعور ضعيف أيضاً وتقدم. وبعد هذا قال ابن القيم في جلاء الأفهام ص 42 – 43: « للحديث ثلاث علل: إحداها أنه من رواية الحارث الأعور عن علي، العلة الثانية: أن شعبة قال لم يسمع أبو إسحاق السبيعي من الحارث إلا أربعة أحاديث فعدها ولم يذكر هذا منها وقاله العجلي أيضاً، العلة الثالثة: أن الثابت عن أبي إسحاق وقفه على علي رضي الله عنه».

(44) هذه رسالة للشيخ أبي بكر بن صالح الكتامي الشافعي، وقد قال صاحب إيضاح المكنون 591/4 : « المنهج الحنيف في معنى اسمه تعالى لطيف للشيخ أبي بكر بن صالح الكتامي ثم المصري الشافعي المتوفى سنة 1051 إحدى وخمسين وألف أوله الحمد لله لطيف الصنع وصانع اللطف الخ »، ومثله في هدية العارفين 240/1. ومن الرسالة نسخة في مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية برقم (1445)، والنص موجود في ص 24 من المخطوط.

فالمطلبُ الذي بين الربِّ ونبيه إيصال رحمتهِ إليه، فهذا واصل قطعاً ولو مع رياءٍ، والمطلبُ الذي بين العبدِ وربهِ هو طلبُ ذلك فيُثاب عليه إنْ لم يصحبهُ رياء، فأحدُ المطلبين يدخله الرياء والآخر لا يدخله.

أقولُ: قد يُجعل هذا جامعاً بين قولِ من قال يدخلها وقول من قال لا يدخلها، وقد خصَّ بعضُ العلماء قولهم أنَّ الأعمال يدخلها الرياء بغير الفرائض.

فالفرائضُ إذا كان الإنسان إنْ خلا بنفسه لا يُصلِّي وإذا حضر عند الناس صلى رياء فإنْ فعلَ ذلك سَقَطَ عنه الفرض، ولا يكون الرياء مانعاً من سقوط الفرض.

وإذا كان إنْ خلا بنفسه صلى مقتصراً على قدر الواجب من الركوع والسجود وإذا صلى عند الناسِ أتى بها على الوجه الأكمل فلا ثواب له وإنْ سقط الفرض عنه.

وكذا نَهَى أئمتُنا عن إطالة الركوع لما فيه من الرياء.

قال الشيخ خليل[45] في مختصره: « ولا يُطال ركوعٌ لداخلٍ »[46].

لكن قال أستاذُنا حفظه الله تعالى: إذا خشي الإمامُ أنه إنْ رَفَعَ اعتد بهذه الركعة من لم يُدرك معه الركوعَ فإنه يطيلُ له الركوع ويثاب على ذلك، والله تعالى أعلم.

وأما السؤال الثاني: وهو هل الدعاءُ الملحون لا يقبلُ مطلقاً أو يقبلُ أو يفرقُ بين العامي وغيرِه.

فأقولُ: ظاهرُ الحديثِ وهو قوله ﷺ: « لا يقبل الله الدعاءَ الملحون »[47] عدم القبول مطلقاً ، وسمعتُ أستاذَنا حفظه الله تعالى نقلاً عن جده أنَّه قال له شخصٌ من الفقهاء: الدعاءُ الملحون لا يُقبل؟ فقال له: مِنْ مثلِكُم، فهذا يفيدُ أنَّه يقبل من العامي إذا لَحَنَ لا يخرجه عن قصدهِ، إذ قول العامي: قام زيدٍ بالجر مثلاً لا يغيرُ معناه ولا يخرجُهُ عن إخباره لحصول القيام من زيد.

وقال شيخُنا في شرح عقيدة الرسالة[48] ما نصُّه: وقد قال المازني لبعض تلامذته: عليكم بالنحو فإنَّ بني إسرائيل كفروا بحرف، فقيل: خففوه، قال تعالى: ولَّدتك، فقالوها بالتخفيف فكفروا[49] وجاء في الحديث: لا يقبل الله دعاء ملحوناً. وقال ابنُ الصلاح: الدعاء

(45) هو خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي، كان يلبس زي الجند، فقيه مالكي، من أهل مصر، تعلم في القاهرة، وولي الإفتاء على مذهب مالك. له المختصر في الفقه، يعرف بمختصر خليل، وقد شرحه كثيرون، قال ابن حجر: وكان صيناً عفيفاً نزهاً شرح مختصر ابن الحاجب في ست مجلدات انتقاه من شرح ابن عبد السلام وزاد فيه عزو الأقوال وإيضاح ما فيه من الإشكال، وله مختصر في الفقه مفيد نسج فيه على منوال الحاوي ووقفت من جمعه على ترجمة جمعها لشيخه عبد الله المنوفي تدل على معرفته بالأصول أيضاً. توفي سنة 776هـ. تنظر ترجمته في الدرر الكامنة 2: 207 وفيه: وفاته سنة 767 هـ ومثله في حسن المحاضرة 1: 460 (83)، وفي الديباج المذهب 375/1: توفي بالطاعون سنة 749هـ.

(46) مختصر خليل ص 40.

(47) لا أصل له، وفي كشف الخفاء للعجلوني (برقم756): « إن الله لا يقبل دعاء ملحوناً: نقل التقي السبكي أنه أثبت وروده، والأظهر أن المراد باللحن الخطأ في الإعراب، وقيل المراد به الدعاء بغير حق. انتهى ».

(48) هو الأجهوري أبو الإرشاد علي بن محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة 1066 هـ. وهناك نسخة ناقصة من الكتاب موجود في مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية برقم (1356).

الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح في الدعاء ويعذر فيه ذكره، في فتاويه[50] انتهى. وسمعتُ عن بعض المشايخِ أنَّه يقبل مطلقاً ولو من العالم بالعربية، ويستأنس لذلك بما ذكروه في شروط الدعاء أنَّ من شروطه أن لا يتكلف في الدعاء بحيث يخرجُ عن طبيعته فيأتي به منظوماً على نسقٍ، بل يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع، ومعلومٌ أنَّ غيرَ العربي من طبيعته اللحنَ ولا يتكلم بالعربية إلا إذا تكلفها وقصدها، ولذا قال بعضُ العلماء: النحو صناعتُنا واللحنُ طبيعتُنا، على أنَّ بعضَ السادة الصوفية جعل قوله ﷺ: « لا يقبل الله الدعاء الملحون » على أنَّ المراد به الدعاء من قلبٍ غافلٍ، والله تعالى أعلم[51].

أما السؤالُ الثالث: وهو ما جواب من قال الصلاة أزلية أبدية؟ فأقولُ: لا يخلوا إما أنْ يُراد بالصلاةِ الصلاة على النبيّ ﷺ أو الصلاة الاصطلاحية التي هي الأقوالُ والأفعالُ، فإنْ أرادَ الصلاة على النبيّ ﷺ فهي إما من غير الله أو من الله، فالصلاةُ عليه ﷺ من غيرِ الله لا أزلية ولا أبدية لأنَّها قولٌ حادثٌ وقال الحادث لا أزلي ولا أبدي، وإنْ أُريدَ صلاة الله على نبيهِ أي رحمته فإنْ قلنا أنَّ الرحمة من صفاتِ الذات فهي أزليةٌ وأبديةٌ، وإنْ قلنا أنَّ الرحمةَ من صفات الأفعال فتجري على الخلاف في صفات الأفعال هل هي حادثةٌ، وهو مذهبُ الأشعري، وعليه فليست أزلية ولكن أبدية، بمعنى أنَّ رحمة الله لا تنقطع عنه ﷺ ، ومن قال أنَّ صفة الأفعال قديمةٌ فهي عنده أزلية وأبدية.

وإنْ أُريد بالصلاة العبادة المخصوصة، فإنْ أُريد حكمها من الوجوب وغيره، فالحكمُ قديمٌ والقديمُ أزلي وأبدي، وإنْ أُريد فعلها الحاصل من العبادة فهو لا أزلي ولا أبدي، اللهم إلا أنْ يُراد بالأزلي ما مضى عليه زمنٌ طويلٌ فيقال لها أزليةً بهذا الاعتبار.

فائدة: قد فرق بعضُ العلماء بين الأزلي والقديم، فقال: القديمُ موجودٌ لا ابتداء له والأزليُّ الذي لا ابتداء له من غير تقييد بموجود، فيجتمعُ الأزلي والقديمُ في الله تعالى، وينفردُ الأزلي في عدمنا السابق على وجودنا، فكلُّ قديمٍ أزليٌّ ولا ينعكسُ، والله تعالى أعلم.

وأما السؤالُ الرابع: وهو هل يجوز الدعاءُ للكافرِ... الخ؟ فأقول: لا يخلوا إما أنْ يراد بالدعاء له بهدايته للإسلام والدعاء بغفران ذنبِ الشِّرْك أو الدعاء له بغفران ما سوى ذلك، فأما الدعاء له بهداية الإسلام فهو جائزٌ بل مطلوبٌ مرغبٌ فيه، وأما الدعاء له بغفران ذنب الشِّرْك فلا يجوزُ لأنَّ الله تعالى أخبر بأنه لا يغفره كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [52]. وأما الدعاءُ له

---

(49) ذكره المظفر بن الفضل بن يحيى، أبو علي الحسيني العراقي (المتوفى: 656هـ) في كتابه نضرة الإغريض في نصرة القريض ص3 أنه من كلام علي بن أبي طالب، فقال: « وقال علي ﷺ: تعلموا النحو فإن بني إسرائيل كفروا بحرف واحد، كان في الإنجيل الكريم مسطوراً وهو: أنا ولدت عيسى بتشديد اللام، فخففوه فكفروا ».

(50) فتاوى ابن الصلاح، المسألة (46).

(51) وفي فتاوى ابن تيمية 488/22: « سئل (ابن تيمية) عن رجل دعا دعاء ملحوناً فقال له رجل: ما يقبل الله دعاء ملحونا؟ فأجاب: من قال هذا القول فهو آثم مخالف للكتاب والسنة ولما كان عليه السلف. وأما من دعا الله مخلصاً له الدين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاءه سواء كان معرباً أو ملحوناً. والكلام المذكور لا أصل له. بل ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الإعراب أن لا يتكلف الإعراب. قال بعض السلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع. وهذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء. فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به فإن أصل الدعاء من القلب واللسان تابع القلب. ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه أضعف توجّه قلبه ولهذا يدعوا المضطر بقلبه دعاء يفتح عليه لا يحضره قبل ذلك. وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه. والدعاء يجوز بالعربية وبغير العربية والله سبحانه يعلم قصد الداعي ومراده وإن لم يُقوّم لسانه فإنه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات ».

(52) سورة النساء، الآية 48.

بغفران ما سوى ذلك فإنْ كان مَيتاً فلا يجوز وإنْ كان حياً ففيه قولان ذكرهما الإمام التتائي[53] أحدهما لا يجوزُ له وهو ظاهرٌ والآخرُ يجوزُ على تقدير أنْ يُسْلم.

وأما الدعاءُ للذمي بالولد وطول العمر ففيه خلافٌ، فقيل: لا يجوز لما فيه من البقاء على الكفر، وقيل: يجوزُ لما فيه من المصلحة للمسلمين بأخذ الجزية منهم، والله تعالى أعلم.

وأما السؤال الخامس: وهو هل يُصلَّى على جنازةِ الصبيِّ الذي أبواه كافران... إلى آخره؟ فأقولُ: إما أن يكون الصبيُّ مميزاً أو غيرَ مميزٍ، فإنْ كان مميزاً ونَطَقَ بالشهادتين غُسِّلَ وصُلي عليه كتابياً كان أو مجوسياً، وإنْ كان غيرَ مميزٍ فإنْ كان كتابياً لا يُغسل ولا يُصلَّى عليه، وإنْ كان مجوسياً ونوى به سائبة الإسلام غسل وصُلي عليه إنْ لم يكن معه أبواه وإلا فلا، وحيث قلنا بالصلاة عليه فيدعا له في الصلاة عليه لا لأبويه، والله تعالى أعلم.

تنبيه: ينبغي لمُعلمِ الأطفالِ من المماليك قراءةً وصنعةً أنْ يعلمهم أنْ يقولوا في دعائهم: اللهم اغفر لنا ولمُربينا ولمُعلمنا ما ينفعنا ونحو ذلك، والله أعلم.

وأما السؤال السادس: وهو قولُ السائل: هل السِّترُ والكَنَفُ بمعنى واحد، وما معنى السِّترِ بالكسر؟ فأقول: السَّتر بفتح السين مصدر سَتَرْته إذا غطيته، والسِّتْر بكسر السين ما يُستر به، ويجمع على سُتور وأستار بفتح الهمزة، وأما إستار بكسر الهمزة فيعبر به عن الأربعة مثاقيل ونصف من الزنة[54]، ويطلق السِّتر بكسر السين أيضاً على الحَياء والخَوْف والعَمَل، والله تعالى أعلم[55].

وأما الكَنَف بفتح الكاف والنون فيعبر به على الحِرْز وعن السِّتْر بكسر السين وعن الجانب وعن الظل وعن جناح الطائر، تقول: أنا وأنت في كَنَفِ الله أي أنا وأنت في حِرْزِ الله وسِترِه، ويقال: أنت في كَنَفِ البيتِ أي في جانبه وظله[56]، فظهر أنَّ بين الكَنَفِ والسِّتْر عمومٌ وخصوصٌ، والله تعالى أعلم.

وأما السؤال السابع وما معه: وهو هل فُتحت مصر عَنْوةً أو صُلْحاً ومن فُتِحت على يديه من الصحابة وما تاريخ ذلك.

فأقول: قد اختلفَ العلماءُ في فتحِ مصر، فالمشهورُ من مذهبنا أنَّها فُتحت عَنْوة، وذكر العلامة السيوطي في حُسْن المحاضرة[57] ما يفيد أنها فتحت عَنْوة وما يفيد أنها فُتحت صُلْحاً وما يفيد أنَّ بعضها صلحاً وبعضها عنوة، وأما من فتحت على يديه من الصحابة فيصح أنْ يقال في جوابه هو عمر بن الخطاب ﷺ ويكون من قبيل: بَنَى الأميرُ المدينة، أي أمرَ ببنائها، لأنَّها فتحت في خلافته،

(53) تقدم التعريف به.

(54) إستار: لفظة فارسية معربة معناها الأربعة، وقد جاء في تاج العروس للزبيدي 501/11: « قال أبو سعيد: سمعت العرب تقول للأربعة: إستار؛ لأنه بالفارسية. جهار، فأعربوه وقالوا: إستار، ومثله قال الأزهري. وزاد: جمعه أساتير. وقال أبو حاتم: يقال ثلاثة أساتر، والواحد أستار، ويقال لكل أربعة: إستار، يقال: أكلت إستاراً من الخبز، أي أربعة أرغفة. والإستار: طفي الزنة: أربعة مثاقيل ونصف، قاله الجوهري. وهو معرب أيضاً، والجمع الأساتير ».

(55) تنظر هذه المعاني كلها في لسان العرب لابن منظور 345/4، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص 404، وتاج العروس للزبيدي 501/11 مادة (ستر).

(56) تنظر هذه المعاني كلها في لسان العرب 308/9، والقاموس الحيط ص 850، وتاج العروس 333/24 مادة (كنف).

(57) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي تحت عنوان: ذكر الخلاف بين العلماء في مصر هل فتحت صلحاً أو عنوة 125/1.

ويصح أنْ يقال: هو عَمْرو بن العاص ﷺ لأنَّه أمير الجيش بها. وأما تاريخ فتحها فهو يومُ الجمعة مستهل شهر محرم افتتاح سنة عشرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا وقد جعلنا السؤال المتعلق بالصلاةِ على النبيِّ ﷺ أول الأسئلة ونختمها بشيء يتعلق به ﷺ ليستحصل شرف للبدء والغاية، ولأنَّ الأول الآخر سبحانه وتعالى جعله أول خلقه وآخر رسله، فنقولُ: قد استخرج بعضُ العلماء من اسمه ﷺ عددَ الأنبياءِ المرسلين وهم ثلاث مئة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر على الخلاف في ذلك، وسمعتُ أنَّ بعضَ العلماء استخرج من اسمه الشريف عددَ الأنبياء مطلقاً أي المرسلين وغيرهم وهم مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً على ما في صحيح ابن حبان مرفوعاً[58] فحفظتُه وذكرتُه لبعضِ أصحابنا، ثم نسيهُ فسألني عنه فلم يحضرني ذلك عند سؤاله، ثم تذكرته فرأيتُ أنْ أكتبَ ذلك ليُحْفظ، فنذكر طريقة استخراج العدد الأول والعدد الثاني لتتم الفائدة.

فنقول: اعلم أنَّ اسمه الشريف ﷺ وهو محمد ﷺ مشتملٌ على ثلاث ميمات باعتبارِ التضعيف وعلى حاءٍ ودالٍ، فتبسطُ أسماء الحروف وتحسبُها بالجُمّل الكبير[59]، فالميم الأول مشتملةٌ على ميمين الميم الثانية والثالثة، فجملةُ ذلك مئتان وسبعون، ودال مشتملة

(58) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (361)، وهو قطعة من حديث طويل برواية أبي ذر الغفاري ﷺ للحديث، وقد أخرجه ابن حبان من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر « قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء، قال: مئة ألف وعشرون ألفاً، قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك، قال: ثلاث مئة وثلاثة عشر جماً غفيراً، قال قلت: يا رسول الله من كان أولهم قال آدم، قلت: يا رسول الله أنبي مرسل، قال: نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً، ثم قال: يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك محمد ﷺ...». قلت: وإسناد ابن حبان ضعيف جداً فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني الدمشقي كذبه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان وقال الذهبي متروك، (ميزان الاعتدال /73 و378/4). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (1651) وأبو نعيم في الحلية 166/1– 168 من طريق إبراهيم بن هشام، به. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 216/4، وقال: « رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة ». وأخرجه ابن حبان في المجروحين 3/ 129، وابن عدي في الكامل 107/9، والبيهقي في السنن الكبرى 4/9، وأبو نعيم في الحلية 168/1من طريق يحيى بن سعيد القرشي السعدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر. وفيه يحيى بن سعيد القرشي السعدي، قال ابن عدي: « وهذا حديث منكر من هذا الطريق، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد، عن أبي ذر والثالث حديث ابن جريج وهذا أنكر الروايات. ويحيى بن سعد هذا يعرف بهذا الحديث ». وقال العقيلي في الضعفاء 404/4 عن يحيى بن سعيد هذا: « لا يتابع على حديثه »، وقال ابن حبان في "المجروحين" 129/3: « شيخ يروي عن ابن جريج المقلوبات، وعن غيره من الثقات الملزقات، لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد ». وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى 32/1 ، وأحمد في مسنده 178/5 و 179، والنسائي في سننه 275/8، ، والحاكم في المستدرك 282/2 من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي ، عن أبي عمر الشامي، عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر. وإسناده ضعيف فيه عبيد بن الخشخاش ضعفه الدارقطني وقال ابن حجر: لين، ينظر تهذيب التهذيب 64/7 وتقريب التهذيب (رقم4371)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: « وفيه المسعودي، وهو ثقة ولكنه اختلط ». وأخرجه من حديث أبي أمامة أحمد 265/5– 266، والطبراني في المعجم الكبير (7871). قال الهيثمي في المجمع 159/1: « ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف».

(59) حساب الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة: نوع من الحساب يُجْعل فيه لكل حرف من حروف الأبجديّة عدد خاص به من الواحد إلى الأَلف على ترتيب مخصوص وهي (أ ب ج د , هـ و ز , ح ط ي , ك ل م ن , س ع ف ص , ق ر ش ت , ث خ ذ , ض ظ غ) من الألف إلى الياء من 1 إلى 10 . ومن الكاف إلى القاف من 20 إلى 100 . ومن الراء إلى الغين من 200 إلى 1000. وهناك طريقتان في الحساب بالجمل: فواحدة تسمى طريقة الجمع بالصغير

على دال وألف ولام، فالدال بأربعة والألف بواحدة واللام بثلاثين، فيضمها إلى العددِ السابق، فالجملةُ ثلاث مئة وخمسة، والحاءُ من غير ألف بثمانية، فالجملةُ ثلاث مئة وثلاثة عشر، فإنْ زدتها ألفاً صارت ثلاث مئة وأربعة عشر، فإنْ قلت حآ بالمد صارت ثلاث مئة وخمسة عشر على الخلاف في ذلك.

وأما طريق استخراج العدد الثاني، فنقول: اعلم أن اسمه الشريف مشتمل على ميمين من غير اعتبار تضعيفٍ وعلى حاء ودال، فتحسب ذلك بالجمّل الصغير من غير بسطٍ، فالميمُ الأولى بأربعة والثانية كذلك والحاء بثمانية والدال بأربعة، فجملةُ ذلك عشرون تضربها في مثلها فالحاصل أربع مئة، وقد حصل معنا من الاستخراج الأول من العقود التامَّة إشارةً لأتم المخلوقات، وما سواها لمن يليهم في الفضل، فتردّ الأربع مئة إلى أربعة والثلاث مئة إلى ثلاثة وتضرب الأول في الثاني فالحاصل اثنا عشر، وهذا من ضرب المئات بالمئات عشرات ألوف، فالحاصل حينئذ مئة ألف وعشرون ألفاً، ثم تضربُ الأربعة في الواحد الذي هو عقد العشرة يحصل أربعة، كلٌّ واحد بألف لأنَّ الحاصل من ضرب العشرات في المئات آحاد ألف، فالجملةُ حينئذ مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وهذا عدد الأنبياء مطلقاً المرسيلن وغيرهم كما تقدم في الحديث الشريف، والخمسة الزائدة على الثلاث مئة وعشرة تجعل أربعة منها إشارة للخلفاء الراشدين، وهو أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين، ويبقى واحد فيجعل إشارة إلى القطب الفرد، فإنْ قلت: لم قدمت ما يعتبر فيه البسط والجُمَّل الكبير على ما يعتبر فيه الاختصار والجُمَّل الصغير والظن تقديم الاختصار على البسط والصغير على الكبير! قلتُ: قدمتُ الأول باعتبار أنَّ الحاصلَ منه عددٌ قليلٌ بالنسبة لما حصلَ من الآخر ومن الثاني عددٌ كبيرٌ، وأيضاً الطريقة الثانية مركبة من الأولى وغيرها والمفرد يقدم على المركب.

هذا وقد أخبرني بعضُ أصحابِنا أنَّ عنده كتاب استخرج صاحبه مثل ذلك، فقال: لم يحضرني، فطلبتُ منه الكتابَ فوعدني، ثم قال: لم أجده عندي، فجلستُ ساعةً بعد العشاء وفكرتُ في ذلك فيسَّرَ اللهُ الكريم بذلك، فاذكرهُ لتتم الفائدة، فإنْ كان صاحب الكتاب المذكور ذكرَ مثلَ ذلك فحسنٌ والحمد لله على التوفيق والموافقة، وإنْ كان ذكره بطريقة أخرى فهو أحسن لإفادته عدم الحصر فيما ذكر.

فنقولُ: اعلم أنَّ أولي العَزْم مختلفٌ في عدتهم، والمتفق عليه من ذلك خمسة وهم محمد ﷺ وإبراهيم وموسى ونوح وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وأفضلُ الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ ثم إبراهيم عليه السلام ثم موسى عليه السلام ثم نوح عليه السلام ثم عيسى عليه السلام.

والأخرى الجمع بالكبير. فمثلاً حرف (الراء) قيمته بالكبير = 200 وقيمته بالصغير نحذف الأصفار فيصبح =2. قال محمد بن أحمد البلخي في مفاتيح العلوم ص 219: « حروف حساب الجمل وهي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، هذا على ما يستعمله المنجمون والحساب، فأما على ما تعرفه العرب: فأبوجاد هواز حطي كلمون سعفص قرشات، ويزعمون أنها أسماء ملوك كانوا للعرب العاربة »، وجاء في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني ص 1159: « حساب الجُمَّل: ما قطِّع على حروف أبجد وهي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ: الألف: واحد، والباء: اثنان، والجيم: ثلاثة، ثم كذلك إلى الياء، وهي عشرة، ثم الكاف: عشرون، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون، ثم كذلك إلى القاف، وهي مئة، ثم الراء: مئتان، ثم الشين معجمة: ثلاث مئة، ثم التاء بنقطتين: أربع مئة، ثم كذلك إلى الغين معجمةً، وهي ألف ». وقد شاع استخدام حساب الجُمَّل في الشِّعر في العصرين المملوكيّ والعثمانيّ. ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة 1/ 399. وقد بينا في المبحث الثاني من بحثنا هذا أنه ليس لهذا الحساب أساس علمي أو شرعي، وأن إقحام هذا الحساب في القرآن الكريم والسنة النبوية والوصول إلى مفاهيم من خلال استخدامه فيه مجازفة نحن في غنى عنها، والله أعلم.

وطريقُ استخراج العدد المذكور من هذه الأسماء الشريفة أنَّ اسم محمد ﷺ مشتملٌ على ميمين من غيرِ اعتبار تضعيف، وعلى حاءٍ ودالٍ، فتحسبها بالجُمَّل الصغير من غير بسط فيُجعل عشرون كما تقدم، ثم تضربُها في مثلها فيحصل أربع مئة، فتحفظُها على حدة، ثم تأخذُ كلَّ اسم من الأسماء الأربعة الباقية وتبسط أسماء حروفها وتحسبها بالجُمَّل الصغير، فما فيه الألف لا تمده وتسقط السين وتعبر عن اسم الحرف الذي أول إبراهيم بالهمز وهو ظاهرٌ، وكذا تعبر عن اسم المدة اللينة التي هي رابع حروف إبراهيم وآخر حروف موسى وعيسى وهو ألف بالهمز مجازاً من باب التعبير باسم الجزء عن الكل، فنقول: إبراهيم اسم أوله همز وهو مشتملٌ على هاء وميم وراء فهاء بستة لاشتمالها على هاء وألف وميم بثمانية عشر لاشتمالها على ميمين وياء وراء بثمانية عشر لاشتمالها على راء وألف، وبالجملة ذلك اثنان وأربعون، واسم ثانيه ياء بثلاثة لاشتمالها على ياء وألف واسم ثالثه راء بتسعة لاشتمالها على راء وألف واسم رابعه أي اسم أول حرف من اسم رابعه همزٌ وهو مشتملٌ على هاء وميم وراء فهاءٌ بستة لاشتمالها على هاء وألف وميم بثمانية عشر لاشتمالها على هاء وألف وميم بثمانية عشر لاشتمالها على ميمين وياء وراء كذلك لاشتمالها على راء وألف، وجملةُ ذلك اثنان وأربعون كما تقدم، واسمُ خامسه هاء بستة لاشتمالها على هاء وألف، واسم سادسه ياء بأحد عشر لاشتماله على ياء وألف، واسم سابعه ميم بثمانية عشر لاشتماله على ميمين وياء، فيحصل من اسم إبراهيم عليه الصلاة والسلام مئةٌ وواحدٌ وثلاثون.

وموسى أول اسمه ميم بثمانية عشر، وثانيه واو بثلاثة عشر، والسين ساقطة، واسم رابعه أي اسم أول حرف من اسم رابعه همز وتقدم أنه باثنين وأربعين، فتحصل من اسمه ثلاثة وسبعون.

ونوح اسم أوله نون بعشرة لاشتماله على نونين وواو، واسم ثانيه واو بثلاثة عشر لاشتماله على واوين وألف، واسم ثالثه حاء بتسعة لاشتماله على هاء وألف، فتحصل من اسمه اثنان وثلاثون.

وعيسى أول اسمه عين باثنين وعشرين لاشتمالها على عين وياء ونون، واسم ثانيه ياء بأحد عشر لاشتماله على ياء وألف، والسين ساقطة كما تقدم، واسم رابعه أي اسم أول حرف من اسم رابعه همز وتقدم أيضاً أنه باثنين وأربعين، فتحصل من اسمه خمسة وسبعون، فحصل من جملة الأسماء الأربعة ثلاث مئة وأحد عشر ثلاثة من عقود المئات وواحد من عقود العشرات وتُلغي الكسر وتضرب الثلاثة التي هي عدد عقود المئات في الأربعة التي هي عدد عقود المئات أيضاً المتحصلة من اسمه ﷺ فيحصل اثنا عشر كل واحد بعشرة آلاف، لأنَّ الحاصل من ضرب المئات في المئات عشرات ألوف فجملة ذلك مئة ألف وعشرون ألفاً، ثم تضربُ الواحد الذي هو عقد العشرة في الأربعة التي هي عدد عقود المئات فيحصل أربعة كل واحد بألفٍ لأنَّ الحاصل من ضرب العشرات في المئات آحاد ألوف، فالجملة مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

هذا وقد ظَهَرَ لي استخراج عدد الأنبياء المرسلين من اسم محمد ﷺ بطريقة غير التي قدمتها، وظَهَرَ لي أيضاً استخراج عدد الأنبياء مطلقاً من اسمه ﷺ بطريقة غير التي قدمتها في بيان ذلك. أما الطريقةُ الأولى فاعلم أنَّ اسم محمد ﷺ مشتملٌ على ثلاث ميمات باعتبار التضعيف، كلُّ ميم بأربعين ومشتمل على حاء بثمانية ودال بأربعة فذلك مئة واثنان، فتعزل منها أربعين لميم التضعيف يبقى اثنان وتسعون، ثم تضرب ثلاثة وهي عددُ حروف محمد بحذف المكرر. وسيأتي لهذا المحذوف مزيد اعتبار. في تسعين يحصل مئتان وسبعون، ثم تزيدُ واحداً للحرف الذي حذفناه على الاثنين الزائدة على التسعين وتضم الثلاثة إلى الأربعين التي عزلتها أولاً ثم تزيد

الثلاثة والأربعين على الحاصل من ضرب الثلاثة في التسعين وهي مئتان وسبعون، فتصيرُ الجملة ثلاث مئة وثلاثة عشر، وهو عدد المرسلين على المشهور.

وإنْ قلتَ حاء بزيادة ألفٍ مقصورة صارت ثلاث مئة وأربعة عشر، وإنْ قلنا حآ بالمد صارت ثلاث مئة وخمسة عشر، على الخلافِ في ذلك.

وأما الطريقة الثانية التي يُعلم بها عدد الأنبياء مطلقاً المرسلين وغيرهم، فهي أنْ تَعْملَ العملَ المذكور ثم تزيدُ الميم التي حذفناها اعتباراً فتبسط اسمها وهو ميم جبر الهاء، فيحصل تسعون، فتزيدها على العقود الحاصلة معك وهي ثلاثة من عقود المئات وواحد من عقود العشرات تبلغ أربع مئة، فتضربَ الأربعة التي هي عدد عقود المئات في العقود المزيد عليها، فيحصل مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والله تعالى أعلم.

فإنْ قلتَ قد ذكرتَ لاستخراج عددِ الأنبياء مطلقاً طريقتين، وأما استخراج عدد الأنبياء مطلقاً من أسماء أولي العزم فلم تذكر له إلا طريقةً واحدة فهل يمكن في ذلك اعتبار طريقة أخرى؟ قلتُ: يمكن الاعتبار وذلك أنْ تأخذ العدد الحاصل من أسماء حروف سيدنا إبراهيم وموسى ونوح وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهو ثلاث مئة وعشرة بإلغاء الكسر كما ذكرنا سابقاً، وتضربَ ذلك في الأربع مئة الحاصلة من زيادة التسعين وهي بسط الميم على الثلاث مئة وعشرة الحاصلة بالطريقة التي ذكرناها قريباً، وبهذا الاعتبار تكون غير الطريقة التي ذكرناها أولاً، فيحصل لكل من المسائل الثلاث طريقتان.

فإنْ قال قائل: لا يُحْصر عددُ الأنبياء في عددٍ معين، مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[60] فهل استدلاله على ذلك بالآية الشريفة صحيحٌ أو لا؟ قلتُ: لا يخلوا أما أنْ يريد الاستدلال بالآية الشريفة على عدم معرفة كل واحدٍ بما يعينه من اسم أو غيره، وإما أنْ يريد الاستدلال بها على عدم معرفة جملة عددهم، فإنْ أُريدَ الاستدلال الأول فالاستدلالُ ظاهرٌ لأنه يلزم من قصّ بعضهم دون بعض عدم معرفة أعيانهم، وإنْ أُريدَ الثاني ففيه نظر، إذ لا يلزم من قصّ بعضهم دون بعض أنْ لا يعرف جملة عددهم، ألا ترى أنَّ السيد إذا قال لعبده: قبلك ألف عبد فلان وفلان إلى عشرة مثلاً، فالعبدُ لا يعرف كلَّ واحد من الألف المعتوقين بعينه غير العشرة المذكورة ويعرف جملتهم. فإنْ قلتَ هذا المثالُ لا يكون مطابقاً للمئة إلا إذا كان ﷺ أخبرَ بجملة عددهم؟ قلتُ: قد وَرَدَ الحديث بذلك. فإنْ قيل الحديث الوارد بذلك من خبرِ الآحاد وهو لا يُفْيد العلم بل الظن وأُجيبَ بأن هذا بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه ﷺ وإذا كان خبر الآحاد لا يُفيد العلمَ بالنسبة إلينا فإنْ ورد في الفُروع عُمِلَ به لأنَّ الفروع يكتفي فيها بالظنيات، وإنْ ورد فيما يطلب فيه اليقين فلا يعمل به، وعلى هذا فالواجبُ على المُكلَّفِ أنْ يؤمن بالأنبياء تفصيلاً فيما ورد فيه نصٌّ وإجمالاً فيما لا يرد فيه ذلك، والله تعالى أعلم.

تنبه: قد علمتَ أنَّ جميعَ ما تحصل من العدد من اسم محمد ﷺ معتبرٌ سواء كان من الآحاد أو العشرات أو المئات، وإنَّ جملة ما تحصل من أسماء أولي العزم إنما يعتبر فيها العقد لا الكسر.

قاله ولكاتب أصله أملاه عبد المعطي المالكي غفر له مولاهُ وأسعدهُ عند موتهِ ويوم لقاه آمين.

---

(60) سورة غافر، الآية 78.

انتهى على يد الفقير إلى الله تعالى مصطفى السرسموسي غَفَرَ الله له ولوالديه وللمسلمين، آمين.

والحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث

بعد أنْ من الله عز وجل عليَّ ووفقني بإتمام تحقيق هذا الجزء، سجلت بعض الملاحظات **هي بمثابة نتائج هذا البحث وثمرته، وأنا أذكرها على شكل فقرات وكالآتي:**

1- يعد الشيخ عبد المعطي المالكي واحداً من علماء الأزهر حيث عاش في القرن الحادي عشر الهجري، والذي كان له ذكر في بلده ويأتيه الطلبة للأخذ منه والتعلم على يديه، وقد تخرج على يديه علماء مشهورين.

2- يظهر البحث جهود علمائنا في خدمة الدين على مر الأيام والسنين من تاريخ أمتنا، ومن حقِّ علمائنا علينا أنْ نُظهر جهودهم ونبينها للناس، وجاء هذا البحث بحلقة واحدة في هذا المجال الواسع.

3- تضمن جزء الشيخ عبد المعطي مادة منوعة عبارة عن أسئلة وأجوبة تتعلق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبالدعاء وبالصلاة وبصلاة الجنازة.

4- قمت بدراسة الأحاديث التي يوردها الشيخ عبد المعطي ليدلل على ما يقوله، وهذه الأحاديث تفاوتت بين الصحيح والضعيف، حيث قمت بدراستها وتخريج طرقها والحكم عليها بما يتوافق مع المنهج العلمي.

5- يستخرج الشيخ عبد المعطي في آخر الجزء عدد الأنبياء والمرسلين من اسم النبي محمد ﷺ بطريقة حساب الجُمَّل المعروف، وقد بينت أنَّ هذا الحساب لا يستند إلى أي أساس علمي أو شرعي، وينبغي علينا أن لا نؤمن به على أنه من المسلمات، فمصادر التشريع في الدين عندنا معلومة ولا ينبغي الخروج عنها.

6- قد أظهر البحث مدى الاختلاف بين المتقدمين والمتأخرين من حيث المنهج وسعة العلم وكثرة العلماء وخدمة الدين، رحمهم الله جميعاً ونفعنا بعلمهم.

المصادر

1- **الأحاديث المئة الشريحية:** لابن أبي شريح الهروي، عبد الرحمن بن أحمد (ت: 392هـ). مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية.

2- **الأزهر في ألف عام:** لمحمد عبد المنعم خفاجي. عالم الكتب بيروت 1987م.

3- **الأدب المفرد:** للبخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ). تحقيق علي عبد الباسط مزيد وعلي عبدالمقصود رضوان، مكتبة الخانجي مصر **1423 هـ - 2003م.**

4- **الأَعْلام:** لخير الدين الزِّرِكْلي(ت1396هـ). دار العلم للملايين، ط5، بيروت 1980م.

5- **الأمالي للشجري:** ضياء الدين هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (ت: 542هـ). تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت 1405 هـ - 1984م.

6- **الأنساب:** للسمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت: 562هـ). تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد 1962م

7- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون:** لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت: 1399هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

8- **تاج العروس من جواهر القاموس:** للزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

9- **تاريخ إربل:** لابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك (ت: 637هـ). تحقيق سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر العراق 1980م.

10- **تاريخ الدولة العلية العثمانية:** لمحمد فريد بن أحمد فريد (ت: 1338هـ). تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان 1401 هـ-1981م.

11- **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار:** للجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت: 1237هـ). دار الجيل بيروت، دون تاريخ.

12- **تاريخ مصر الحديث:** لجرجي زيدان. مطبعة المقتطف مصر 1306هـ.

13- **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم:** لمحمد صبري. دار الكتب المصرية القاهرة 1926م.

14- **الترغيب والترهيب:** لأبي القاسم الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل (ت: 535هـ). تحقيق أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة 1414هـ - 1993م.

15- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف:** للمنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت: 656هـ).تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ.

16- **تقريب التهذيب:** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد(ت: 852هـ). تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا 1986م.

17- **تهذيب التهذيب:** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ). مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند 1326هـ.

18- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** للمزي، يوسف بن عبد الرحمن (ت: 742هـ). تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت 1400هـ.

19- **الجامع الكبير:** للترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت: 279هـ). تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م.

20- **جزء بيبي بنت عبد الصمد الهروية الهرثمية:** لِبِيبَى بنت عبد الصمد ابن علي بن محمد الهَرْثَمِيّة الهروية (ت: 477هـ). تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت 1986م.

21- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام:** ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت:751هـ). تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت 1407 هـ - 1987م.

22- **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة:** للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة1968م.

23- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** لأبي نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت: 430هـ). دار الكتب العلمية، بيروت 1409هـ .

24- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة:** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ). مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند 1392هـ- 1972م.

25- **الدولة العُثمانية - عوامل النهوض وأسباب السقوط:** لعَلي محمد محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر 1421 هـ - 2001 م.

26- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت:799هـ) تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

27- **ذم الكلام وأهله:** للهروي، عبد الله بن محمد بن علي (ت: 481هـ). تحقيق: عبد الرحمن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة 1418هـ -1998م.

28- **ذيل تاريخ مدينة السلام:** لابن الدبيثي، محمد بن سعيد (ت: 637 هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي 1427 هـ - 2006م.

29- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: للكتاني، محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس (ت: 1345هـ)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية 1421هـ-2000م.

30- **سنن ابن ماجة:** محمد بن يزيد القزويني(ت275هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة 1372هـ.

31- **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث السجستاني(ت275هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

32- **سنن الدارقطني:** علي بن عمر(ت385هـ). تصحيح عبدالله هاشم اليماني، دار محاسن القاهرة 1386هـ.

33- **سنن الدارمي:** عبد الله بن عبد الرحمن(ت255هـ). تحقيق محمد أحمد دهمان. مصورة دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

34- **السنن الكبرى:** للنسائي، أحمد بن شعيب(ت303هـ). تحقيق عبد الصمد شرف الدين، الدار القيمة، الهند 1391هـ.

35- **السنن الكبرى:** للبيهقي، أحمد بن الحسين(ت458هـ). مصورة دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

36- **سنن النسائي، المجتبى:** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب(ت303هـ). بعناية عبد الفتاح أبي غدة. ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1406هـ.

37- **سير أعلام النبلاء:** للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ). تحقيق جماعة من الأساتذة. مؤسسة الرسالة، بيروت 1401هـ.

38- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** لابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد(ت1089هـ). دار ابن كثير، دمشق 1406هـ.

39- **شرح السنة:** للبغوي، الحسين بن مسعود(516هـ). تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت 1403هـ.

40- **شرح صحيح مسلم:** للنووي يحيى بن شرف(ت676هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت 1392هـ.

41- **شعب الإيمان:** للبيهقي أحمد بن الحسين(ت458هـ). تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت 1410هـ.

42- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:** لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: 573هـ). تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخران، دار الفكر بيروت، لبنان1420 هـ - 1999م.

43- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان:** محمد بن حبان البستي(ت354هـ). تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1414هـ.

44- **صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل(ت256هـ). مطبوع مع شرحه فتح الباري. مصورة دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

45- **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج(ت261هـ). تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

46- **الصلاة على النبي ﷺ:** لابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك(ت: 287هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار المأمون للتراث - دمشق 1415هـ - 1995م.

47- **طبقات الشافعية الكبرى:** للسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: 771هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1413هـ.

48- **الضعفاء الكبير:** للعقيلي، محمد بن عمرو بن موسى (ت: 322هـ). تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت 1404هـ - 1984م.

49- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:** للسخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ). مكتبة القدسي، القاهرة 1354هـ.

50- **الطبقات الكبرى:** لابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت: 230هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت 1968م.

51- **عمل اليوم والليلة:** للنسائي، أحمد بن شعيب بن علي (ت: 303هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة بيروت 1406هـ.

52- **الفتاوى الكبرى:** لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت: 728هـ)، دار الكتب العلمية 1408هـ – 1987م.

53- **فتاوى ابن الصلاح:** عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح (ت: 643هـ).تحقيق موفق عبدالله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم , عالم الكتب، بيروت 1407هـ.

54- **فضل الصلاة على النبي ﷺ :** لإسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الجهضمي (ت: 282هـ). المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.

55- **الفروق اللغوية:** للعسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.

56- **القاموس المحيط:** للفيروزآبادى، محمد بن يعقوب (ت: 817هـ). تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان 1426 هـ – 2005م.

57- **القول البديع في الصلاة على الحبِيب الشفيع:** للسخاوي محمد بن عبد الرحمن (ت: 902هـ). دار الريان للتراث دون تاريخ.

58- **الكامل في ضعفاء الرجال:** لابن عدي، أبي أحمد بن عدي الجرجاني(ت: 356هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

59- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:** للتهانوي، محمد بن علي (ت: بعد 1158هـ). تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1996م.

60- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس:** للعجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (ت: 1162هـ). تحقيق عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية1420هـ – 2000م.

61- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** لحاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله. دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

62- **لسان العرب:** لابن منظور، محمد بن مكرم(ت: 711 هـ). دار المعارف القاهرة، دون تاريخ.

63- **لسان الميزان:** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان 1390هـ -1971م.

64- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين:** لابن حبان، محمد بن حبان البُستي (ت: 354هـ)

تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب 1396هـ.

65- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: 807هـ). تحقيق: حسام الدين القدسي مكتبة القدسي، القاهرة 1414 هـ- 1994م

66- **مختصر خليل:** خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين المالكي المصري (ت: 776هـ). تحقيق أحمد جاد، دار الحديث القاهرة 1426هـ-2005م.

67- **المستدرك على الصحيحين:** للحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت405هـ). مصورة دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

68- **المسند:** لأحمد بن حنبل(ت241هـ). مصورة المكتب الإسلامي، بيروت 1403هـ عن الطبعة الميمنية. وطبعة الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت.

69- **مسند الفاروق:** لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ). تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة 1411هـ - 1991م

70 - **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:** للفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو 770هـ).

المكتبة العلمية – بيروت دون تاريخ.

71- **المعجم الأوسط:** للطبراني، سليمان بن أحمد(ت360هـ). تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض 1405هـ.

72- **المعجم الكبير:** للطبراني كذلك. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، دون تاريخ.

73- **معجم البلدان:** لياقوت بن عبد الله الحموي (ت: 626هـ) دار صادر، بيروت 1995م.

74- معجم اللغة العربية المعاصرة: لأحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بالمشاركة مع آخرين، عالم الكتب 1429 هـ - 2008م

75- مفاتيح العلوم: لمحمد بن أحمد بن يوسف الكاتب البلخي الخوارزمي (ت: 387هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.

76- ملء العيبة بما جمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة: لابن رشيد، محمد بن عمر بن محمد (ت: 721هـ). تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1408 هـ - 1988م.

77- المنهج الحنيف في معنى اسمه تعالى لطيف: للشيخ أبي بكر بن صالح الكتامي (ت : 1051 هـ). مخطوط، ونسخة منه في مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية برقم (1445).

78- منهج النقد في علوم الحديث: لنور الدين محمد عتر الحلبي، دار الفكر دمشق 1418هـ -1997م.

79- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: للمقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت: 845هـ). دار الكتب العلمية، بيروت 1418 هـ.

80- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان 1382 هـ - 1963م.

81- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت : 852 هـ). تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير 1429 هـ - 2008 م

82- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: لابن تغري بردي، يوسف الأتابكي(ت874هـ). تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.

83- نضرة الإغريض في نصرة القريض: للمظفر بن الفضل بن يحيى الحسيني (المتوفى: 656هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

84- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد (ت: 606هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت 1399هـ - 1979م.

85- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل بن محمد البغدادي (ت: 1399هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، دون تاريخ.

المسؤولية الفردية وتجلياتها يوم القيامة في ضوء القرآن الكريم

د. موسى محمود طه معطان

جامعة فلسطين التقنية / خضوري || فلسطين

المستخلص:

هذه الدراسة تقف على موضوع المسؤولية الفردية في القرآن الكريم وتجلياتها يوم القيامة؛ بيّنت فيها موقف الإسلام من المسؤولية الفردية، وأنها مظهرٌ من مظاهر تكريم الله للإنسان، وأن الإنسان يجني ثمار هذه المسؤولية ونتائجها يوم القيامة إمّا جنة وإما ناراً، واتبعت في البحث المنهج الاستنباطي والمنهج الوصفي، لتوضيح الدور الذي تقوم به المسؤولية في عملية ضبط سلوك الفرد، وجاءت خطة البحث في مقدّمة ومبحثين مقسمين إلى مطالب، وختمت بذكر أهم النتائج ومنها أن مصدر هذه المسؤولية الفردية في الإسلام هو الله، وأن ثمة علاقة وثيقة بين المسؤولية والتكليف من جهة والمسؤولية والجزاء من جهة أخرى، وأن نجاة المسلم عند الله متوقفة على مدى التزامه بهذه المسؤولية، وفي التوصيات ذكرت أن المحاضن التربوية من الأسرة وغيرها تتحمل العبء الأكبر في تنشئة وتعزيز المسؤولية الفردية لدى الأفراد.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، المسؤولية الفردية، التكريم، الجزاء.

Individual Responsibility and its Manifestations on the Day of Resurrection in the Light of the Holy Quran

Dr. Mousa Mahmoud Taha Moutan

Palestine Technical University || Kadoorie || Palestine

mousa.moutan@ptuk.edu.ps

Abstract:

This study deals with the issue of individual responsibility in the Holy Qur'an and its manifestations on the Day of Resurrection. It consists of an introduction, two chapters and a conclusion. The introduction shed light on individual responsibility, its necessity and human need. As for the topics of this study, it discusses many important issues such as: the position of Islam on individual responsibility and its manifestation, in terms of being a way of Allah honoring man, and with regard to the fact that man will reap the fruits of this responsibility and its consequences on the Day of Resurrection. The study concluded that the source of individual responsibility in Islam is Allah, and that there is a close relationship between responsibility and assignment on one hand, and responsibility and punishment on the other hand, and that a Muslim's survival with Allah depends on the extent of his or her commitment to this responsibility. Last but not least, the study pointed out that both family and society bear the greatest burden in the upbringing and promotion of individual responsibility among individuals.

Keywords: Holy Quran, individual responsibility, honor, penalty.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد خلق الله تعالى عباده في هذه الحياة لغايات منشودة، ومقاصد معدودة؛ من توحيده عزوجل وعبوديته، وتزكية النفس وإصلاحها، والعمل على تعمير الأرض وبنائها، ولا يتحقق تعمير الأرض بلا مسؤولية يتحملها الفرد أمام خالقه، وأمام نفسه وغيره، فكان مبدأ المسؤولية من أهمّ مبادئ الشريعة الإسلامية، ومن أخطر قضايا الدين الحنيف! وقد كرّم الله تعالى الإنسان بالعقل حيث يفضي هذا التكريم الإلهي إلى استقرار الحياة والعيش فيها وَفق المنهج الذي أراده الله سبحانه وتعالى، وأناط تلك المسؤولية بموطن التكريم الإلهي ألا وهو "العقل"، فلا مسؤولية على من لا عقل له، وحيثما ارتفعت المسؤولية الفردية فليس للتكريم معنًى يُنَاطُ به، وإذا غاب استشعار المسؤولية عن حياة الإنسان ضاعت القيم، واختلت الموازين، وفرّط الناس في المبادئ والأخلاق، وتحكّمت الأهواء، ونسي الناس لقاء ربّهم، وتعلقوا بالدنيا!.

من هنا عزمت على الكتابة في موضوع المسؤولية الفردية وتجلياتها يوم القيامة، فغرض هذا البحث: دراسة الآيات القرآنية التي تناولت مبدأ المسؤولية الفردية يوم القيامة، لما لهذا المبدأ من أهمية من بين مبادئ الشريعة الغراء وأثرٍ في سلوك الإنسان، وخطرٍ على مستقبله ومصيره عند الله.

مشكلة البحث:

سيقوم البحث بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما ماهية المسؤولية الفردية في القرآن الكريم.

2- ما أهمية المسؤولية الفردية في الإسلام وما علاقتها بسعادة الإنسان وشقاوته.

2-ما العلاقة بين المسؤولية الفردية وبين التكليف والحساب.

3- ما الفرق بين مبدأ المسؤولية الفردية في الإسلام ومبدأ المسؤولية الفردية في الفلسفات الأخرى.

أهداف البحث:

1- بيان موقف الإسلام من المسؤولية الفردية في المجالات المختلفة.

2- بيان أن المسؤولية الفردية ينبغي أن تكون واقعاً عملياً وسلوكاً ملموساً.

3- دراسة المسؤولية الفردية من خلال الآيات القرآنية وتجلياتها يوم القيامة على وجه الخصوص.

4-بيان أن المسؤولية الفردية مظهر من مظاهر تكريم الإنسان واستخلافه.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

1- أهمية المسؤولية الفردية في الإسلام لتوقف سعادة الإنسان وشقاوته عليها.

2-المسؤولية الفردية مناط التكليف في الدنيا والجزاء في الآخرة.

3-المسؤولية الفردية مظهر من مظاهر تكريم الإنسان.

4-غياب مبدأ المسؤولية الفردية يوم القيامة عن واقع كثير من المسلمين.

الدراسات السابقة:

بالنظر فيماُ كتب حول هذا الموضوع: فهي متفرقات في المكتبة الإسلامية تحت أبواب العقائد، والعبادات، والمعاملات، وبعض الرسائل العلمية التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة ومنها: أطروحة ماجستير لفرقان الهندي؛ تقدم بها لنيل درجة العالمية من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة 1984م بعنوان: المسؤولية الفردية في القرآن الكريم، ويدور محور الرسالة حول مبادئ المسؤولية الفردية وعلاقتها بالتكاليف الشرعية، ولم يتطرّق الباحث في كتابه إلى مبدأ المسؤولية يوم القيامة، ومنها كذلك: أطروحة دكتوراة بعنوان: مفهوم مبدأ المسؤولية الفردية في الفكر التربوي الإسلامي ودوره في الضبط الاجتماعي لسامية بشرى العاصي؛ تقدمت بها الطالبة لنيل درجة الدكتوراة في التربية من جامعة أم درمان سنة 2006م، ولكنني لم أقف على دراسة علمية خاصة مستقلة تناولت هذا الموضوع بهذا الشكل.

منهج البحث وخطته: اتبعت في هذا البحث المنهج الاستنباطي للتعرّف على مبدأ المسؤولية الفردية وتجلياتها في اليوم الآخر كما وردت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والمنهج الوصفي؛ لتوضيح الدور الذي تقوم به المسؤولية في عملية ضبط سلوك الفرد وتوجيهه نحو الاستقامة.

أمّا خطة البحث فقد جاءت في مقدّمة ومبحثين وكل مبحث يشتمل على عدة مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف المسؤولية ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المسؤولية لغة.

المطلب الثاني: تعريف المسؤولية اصطلاحاً.

المبحث الثاني: المسؤولية الفردية بين التكليف والجزاء ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مسؤولية الإنسان الفردية عن أعماله في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: المسؤولية الفردية والتكريم.

المطلب الثالث: العلاقة بين المسؤولية والتكليف والجزاء.

المطلب الرابع: المسؤولية الفردية تشمل الأعمال الصالحة والأعمال السيئة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف المسؤولية ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المسؤولية لغة.

ترجع مادة المسؤولية إلى " السين والهمزة واللام، كلمة واحدة يقال سأل يسأل سؤالاً ومسألة "، (ابن فارس ص124)

ويدور معنى سأل حول الآتي: نقول سأله بكذا وعن كذا بمعنى استخبره عنه وطلب منه معرفته، كما يقال: سأله عن كذا بمعنى: حاسبه عليه وآخذه به، وسأله الشيء: طلبه منه، وسأله الوعد: أي طلب منه إنجازه والوفاء به، وسأله تأتي أيضاً بمعنى: طلب معروفه وإحسانه، ونقول سأله بالله أن يفعل كذا، أي أقسم عليه أن يفعل ما طلب منه، والمسؤولية: مصدر صناعي من مسؤول.

(انظر: الرازي ١٩٩٩م ص140) و(عمر ٢٠٠٨ م ج2 ص1019)، وللراغب تحقيق حسن في المراد من سأل حيث قال: " السؤال استدعاء معرفة أو مايؤدي إلى المعرفة واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليق له بالكتابة أو الإشارة " (الراغب الأصفهاني 1999م ص225)، كما أجاب الراغب عن إشكال مفاده: إذا كان السؤال من معانيه طلب المعرفة ومعلوم أن الله تعالى يسأل عباده نحو: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (المائدة 116) فكيف يصح ذلك مع رب العالمين؟

أجاب الراغب: " إن ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى فإنه علام الغيوب والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيت كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (التكوير 8) ولتعرف المسؤول" (الراغب الأصفهاني 1999م ص225).

نستنتج مما سبق ذكره في المعاجم اللغوية أن معنى السؤال في اللغة هو: طلب المعرفة أو الاستعطاء أو الاستخبار.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم وتتبع مادة السؤال ومشتقاتها في الآيات الكريمة نجد أن السؤال يأتي بمعنى: طلب معرفة الخبر كما في قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج 1) ويأتي بمعنى الاسترشاد وطلب المعرفة كما في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل 43)، ويأتي بمعنى طلب الحاجة كقوله تعالى:﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الرحمن 29) ويأتي بمعنى طلب الاستجابة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة 186) ويأتي بمعنى طلب المخاصمة والمجادلة كقوله تعالى:﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (النبأ1) ويأتي بمعنى المؤاخذة والجزاء كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة 134) ويأتي بمعنى المحاسبة والمناقشة كقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر 92).

فهذه هي بعض المعاني التي تدور حولها كلمة سأل ومشتقاتها في كتاب الله تعالى.

المطلب الثاني: المسؤولية اصطلاحاً.

المسؤولية كلمة حديثة الاستعمال ليس لها وجود في استعمالات العلماء الأقدمين وإنما هي تعبير معاصر استعمله بعض العلماء المتأخرين.

ومن هذه التعريفات ما جاء في المعجم الوسيط أن المسؤولية: " حالة أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعاته... وتطلق أخلاقياً على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً وتطلق قانوناً على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون مجتمع " (إبراهيم وآخرون ج 1 ص411)

وعرّفها مجمع اللغة العربية في القاهرة بأنها:" شعور الانسان بالتزامه أخلاقياً بنتائج أعماله الإدارية فيحاسب عليها إن خيراً وإن شراً " (مجمع اللغة العربية، 1979م ج1 ص11).

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: " بأن المسؤولية حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة "(الحميد ١٤١٨هـ ج8 ص 2400).

وعرفها الدكتور محمد عبد الله دراز بأنها: " كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عنها حساباً إلى غيره " دراز(1982م ص: 136).

وقيل في تعريفها: " هي تحمّل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العلمية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأما ضميره ففي الدرجة الثانية، وأما المجتمع ففي الدرجة الثالثة "(يالجن، ١٩٧٧م ص ٣٣١).

وغير ذلك من التعريفات التي تتناول جهة خاصة أو طرفاً خاصاً من أطراف المسؤولية.

المبحث الثاني: المسؤولية الفردية وعلاقتها بالتكريم والتكليف والجزاء، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مسؤولية الإنسان الفردية عن أعماله في الدنيا والآخرة.

إن أهم ما يميز المسؤولية الفردية في الإسلام، أنَّ الله سبحانه وتعالى وضعها في عنق كل إنسان وسوف يحاسبه عليها يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء 13-14) قال ابن كثير رحمه الله : " هو ما طار عنه من عمله ، كما قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: من خير وشر، يلزم به ويجازى عليه " (ابن كثير ١٤١٩هـ ج5 ص47).

وهذه المسؤولية تمتد من الدنيا إلى الآخرة، ولا يمكن الفصل بينهما، أما الفلسفات البشرية الأخرى فقد عزلت الحياة الدنيا عن الآخرة فكراً، وتصوراً، وحقوقاً ومسؤوليات وجزاء، كما أنّ المسؤولية الفردية في الإسلام هي عملية متكاملة يُسهم فيها كل فرد مسلم لإقامة ذلك الصرح المتين الذي يمثل كل فرد في الأمة حارساً يدافع عن ثغرة من ثغراتها.

فرديّة الحساب يوم القيامة:

حفلت آيات القرآن الكريم بالحديث عن هذا المبدأ وأثره يوم القيامة، وأن الله تعالى سوف يحاسب كل إنسان بمفرده، وصوّرت ذلك في مشاهد متعددة، ومواطن متنوعة من عرصات يوم القيامة، ومن الأمثلة على ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (مريم 95).

تتحدّث الآية الكريمة عن مشهد عصيب من مشاهد يوم القيامة يجري على كل البشر ولا يستثنى منهم أحد، ألا وهو الإتيان والمثول بين يدي الخالق جلّ وعلا للسؤال والحساب، وجاءت الهاء في " آتيه" ضميرًا غائبًا معبّرًا عن لفظ الجلال، وسوف يأتي الناس في يوم الحساب فُرادى﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل 111) إلاّ أن معظم الناس يلتفتون في هذه الآية إلى معنى البعث يوم القيامة وهو الأصل، ولكنهم يَغفُلون عن باقي معنى الآية، وهو لفظ " فردًا "؛ حيث إن البعث يوم القيامة للحساب أمام الله سيكون بصورة فردية، لن يأتيَ أحدٌ مع قبيلته، أو مع أبناء عصره، أو مع رفقائه، الكل سيأتي فردًا، مجردًا من القرابة والعزوة والصداقة ، ليس له رفيق ولا صاحب إلا عمله الذي عمِله في الدنيا!. قال الفخر الرازي:" فلا يصح أن ينفرد في الآخرة بمال وولد " (الرازي) وقال مقاتل بن سليمان: " العاصي في الآخرة ليس معه شيء من دنياه " (مقاتل بن سليمان 1423هـ ج2 ص 538).

قال صلى الله عليه وسلم: " ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ ، ليس بينه وبينه تَرجمانُ ، فينظرُ أيْمنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيّبةٍ" أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم (7512) (البخاري، 1422هـ 9ج ص148)

فتلك الآية الكريمة تخبرُنا عن حقيقة مستقبلية ستحدث يوم القيامة؛ وذلك للفت أنظارنا إلى ضرورة الاستعداد، وإلى التكيُّفِ في حياتنا مع قاعدة المحاسبة الفردية، وإن المرء المسلم إذا فَطِنَ إلى تلك المحاسبة الفردية، علم أنه ليس من البشر أحدٌ أَحَنَّ ولا أرفق بنفسه من نفسه !، وعلم أنه لا بد له من أن يبذل ويقدّم لآخرته كي ينجو، فيفوز ويسعد.

2- قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام 94).

قال الإمام أبو جعفر الطبري " ويعني بقوله: " فرادى "، وُحدانًا لا مال معهم، ولا إناث، ولا رقيق، ولا شيء مما كان الله خوّلهم في الدنيا،" كما خلقناكم أوّل مرة "، عُرَاة غُلْفًا غُرْلاً حُفاة، كما ولدتهم أمهاتهم، وكما خلقهم جل ثناؤه في بطون أمهاتهم, لا شيء عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهَوْن به في الدنيا " (الطبري 1420هـ ج11 ص543)

فلكل امرىءٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه عن الالتفات إلى غيره، بل إن المرء يفر يوم القيامة من أقرب الناس إليه لعِظم وخطر ذلك اليوم.

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾. (سورة عبس الآيات 34– 37).

فهذه الآية الكريمة تحدثنا عن مشهد عصيب من مشاهد يوم القيامة، حيث يفر المرء من أقرب الناس إليه، وأكثرهم التصاقاً به في الدنيا، ويترك الجميع باحثاً عن نجاته من عذاب الله تعالى.

وقد جاء التدرّج في الآية الكريمة؛ حيث ذكر الفرار من الأدنى إلى الأعلى، ومن الأبعد إلى الأقرب؛ فقدّم ذكر الأخ على الأم والأب، لأن الأم والأب أكثر التصاقاً وقرباً إلى الولد من أخيه، ولأن حقَّهما عليه أكثر من حقِّ الأخ على أخيه.

كما يفرُّ من صاحبته أي زوجته، ويفر من بنيه، وهو كذلك ارتقاء من الأم والأب إلى الزوجة والبنين، لأن الإنسان مرتبط بزوجته التي يحبها ويصاحبها زمناً طويلاً، أشد من ارتباطه عاطفياً بأمه وأبيه، كما أنه أشد ارتباطاً عاطفياً ببنيه من ارتباطه بزوجته.

ومن باب أولى أن يفر المرء يوم القيامة ممن هو أبعد قرابة ممن ذكرتهم الآية الكريمة، كل ذلك لانشغاله بنفسه ولعلمه أنه محاسب وحده على عمله الذي قدَّم.

المطلب الثاني: المسؤولية الفردية والتكريم.

خلق الله الإنسانُ وكرّمه بالعقل فأساس التكريم هو العقل، والإنسان الْمُكرَّم هو الإنسان المسؤول والمكلّف قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء 70)، يقول الطاهر ابن عاشور: " فأما التكريم فهي مزيّة خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية... والتكريم: جعله كريماً أي نفيساً غير مبذول ولا ذليل في صورته ولا في حركة مشيه وفي بشرته، فإن جميع الحيوان لا يعرف النظافة ولا اللباس ولا ترفيه، المضجع والمأكل ولا حُسن كيفية تناول الطعام والشراب ولا الاستعداد لما ينفعه، ودفع ما يضره ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها والقبائح فيسترها ويدفعها" (ابن عاشور، 1984م ج 15 ص165)

كما أنّ التزام الناس بمسؤولياتهم الفرديّة هو غاية الحكمة من الخلق، وإلا كان خلق الناس عبثًا، وهذا محال على الله! فالإنسان لم يُخلق سُدًى ولا عبثا بلا مسؤولية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة 36) وقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَاخَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون 115).

المطلب الثالث: العلاقة بين المسؤولية الفردية وبين التكليف والجزاء، وتحته فرعان:

الفرع الأول: العلاقة بين المسؤولية الفردية والتكليف.

إن مصدر المسؤوليات في الإسلام هو الوحي، فالحَسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، وهذا هو مقتضَى التكليف، فالعقل مناطه، وبعثة الرسل شرطه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء 15) أما المعتزلة فقد خالفوا أهل السنة في ذلك حيث اعتبروا العقل أهلاً للتحسين والتقبيح، وبذلك يتبيّن لنا وجود تلازم بين المسؤولية والتكليف، فالمسؤولية دون تكليف لامعنى لها، والتكليف بلا مسؤولية مجرّد عن الحكمة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الشارع الحكيم راعى في أحكامه الشرعية مدى قدرة المكلّفين على الأداء التكليفي وسعتهم وطاقتهم على القيام بذلك، فالشريعة الإسلامية الغرّاء جاءت باليسر ورفع الحرج عن المكلّفين ومراعاة أحوالهم وظروفهم القائمة على الاستطاعة والقدرة والإمكان، فلا تكليف بما لا يطاق، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة 233).

الفرع الثاني: العلاقة بين المسؤولية الفردية والجزاء.

جعل الله تعالى لكل شيءٍ سبباً، وربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، فالجزاءُ الإلهيُّ في الدنيا والآخرة سواء أكان تكريمًا أم تعذيبًا، والجزاء الدنيوي العادل في الدنيا سواء أكان عقوبة أم تكريمًا؛ كلاهما مرتبط بأداء المسؤوليات، فمن قام بمسؤولياته حق القيام استحق الثواب، ومن أخلَّ بمسؤولياته استحق العقاب، وهذا عين العدل، فالجزاء هو النتيجة المترتبة على قيام الإنسان بمسؤولياته أو مخالفته لها، وقد حدّد القرآن الجزاء بقدر المسؤولية، ومع عظيم فضل الله وكرمه فإن الحسنات تضاعف وتزيد، قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام 160) كما يربط القرآن الكريم أداء المسؤولية بفعل الجوارح ويربطها كذلك بالنية، فحُسْن النية مثلاً ومحبة الخير للناس جزءٌ من المسؤولية ويستحق فاعله الثواب، وفي المقابل فإن تمني الشر للمسلمين، وحب إشاعة الفاحشة ونشرها بينهم يستحق فاعله العقاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور:19).

وقد أتى في غير موضع من القرآن الكريم ترتيب الجزاء على المسؤولية الفردية كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الإسراء 15). فقد وردت الآية في سورة الأنعام والإسراء وفاطر والزمر وفي جاء في سورة النجم حكاية عمّا في صحف إبراهيم وموسى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (النجم 38).

وهذا من عدل الله في خلقه، فإنه لا يظلم نفساً شيئاً، ولا يحمّلها ما لم ترتكب من الإثم، وفي ذلك تأكيد للمسؤولية الفردية، وأنّ كل شخص محاسب بما كسب، مجازىً بما قدمت يداه، وهذه طائفة من أقوال المفسرين في الآية الكريمة:

قال ابن كثير رحمه الله: " إخبار عن الواقع يوم القيامة من جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازى بأعمالها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى"، (ابن كثير1419هـ ج3 ص344)

وقال أبو السعود :" كانوا يقولون للمسلمين: اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ إما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم، وإما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول؛ أي لا تكون جناية نفس من النفوس إلا عليها،

– إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ – ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر، حتى يتأتى ما ذكرتم، وقوله تعالى: وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى رد له بالمعنى الثاني، أي: لا تحمل يومئذ نفس حاملة، حمل نفس أخرى، حتى يصح قولكم".(أبو السعود ج3 ص207).

وقال السيوطي: " هذه الآية أصل في أنه لا يؤاخذ أحد بفعل أحد.، وقد ردّت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على من قال: إن الميت يعذب ببكاء الحي عليه، أخرجه البخاري (أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبيّ صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله برقم 1283) ، وأخرج ابن أبي حاتم عنها أنها سئلت عن ولد الزنى؟ فقالت ليس عليه من خطيئة أبويه شيء، وتلت هذه الآية". (السيوطي١٤٠١هـ ص125).

وبذلك يتبين أن الجزاء أمرٌ مرتبُ على المسؤولية، وسببٌ ناشئٌ منها، فالمسؤولية والجزاء بينهما تلازم وتتداخل، وتتآلف معالمهما لما بينهما من علاقة وثيقة، الأمر الذي يفرض على كل من يتناول موضوع المسؤولية الحديث عن الجزاء المرتب عليها، فالتلازم بينهما ثابت لا ينفصل.

وهكذا فإن الله تعالى قد ربط الأسباب بالمسببات ربطاً وثيقاً، ومنها الجزاءات على اختلافها، لتكون عاقبة للأعمال الصالحة والسيئة، فلا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلاّ بثواب أو عقاب، وذلك ليقوم الناس بالقسط وتتحقق عبودية الله، ويوفى كلٌ نصيبه غير منقوص، قال تعالى: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور 21)، أي: مرهون بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فلا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، وإنما يعاقب كلٌ بذنب نفسه. وفي الحديث القدسي يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه:(... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (2577) (مسلم، 1374هـ ج4 ص 994)

المطلب الرابع: المسؤولية الفردية شاملة للأعمال الصالحة والأعمال السيئة وتحته فرعان.

إن من المسلّمات في الإسلام أن المسؤولية الفردية تكون تجاه الأعمال الصالحة التي يجنيها الإنسان في الدنيا وكذلك تجاه الأعمال السيئة التي يجترحها، لا كما هو الحال في الفكر المسيحي الذي يُعمّم خطيئة آدم عليه السلام على كل البشرية! وأنّ عيسى عليه السلام جاء مخلّصاً للبشرية من هذا الإثم وتلك الخطيئة! مضحياً بنفسه من أجل ذلك!. قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة 7–8)

الفرع الأول: مسؤولية الإنسان الفرديّة تجاه أعماله الصالحة.

1– قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت 46) جاء في تفسير المراغي: " من عمل بطاعة الله في هذه الحياة فأتمر بأمره وانتهى عما نهى عنه، فلنفسه عَمِل لأنه يُجازى عليه الجزاء الذي هو له أهل، فينجو من النار ويدخل جنة النعيم " (المراغي 1946م ج 24 ص142)

2– قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (الأنعام 104).

البصائر جمع بصيرة: وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به، قال الكلبي: يعني بينات القرآن فمن صدّق القرآن وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فلنفسه عمل. (الواحدي1994م ج2 ص308) فالبصائر في الآية الكريمة هي: الحجج البينة التي يبصر بها المرء الهدى من الضلال والحق من الباطل، والخير من الشر فمن عرفها وآمن بها؛ فلنفسه عمله ونفعه له. (انظر: البغوي 1420هـ ج2 ص142).

3- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ (لقمان 12).

الشكر في اللغة: هو مصدر شكر يشكر، وهو الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه ويقال: إن حقيقة الشكر الرضا باليسير. (ابن فارس 1979م ج3 ص207) ،

والشكر في **الاصطلاح:** هو كل ما هو جزاء النعمة عُرفاً، وأصل الشكر تصوّر النعمة وإظهارها.(الكفوي ص523)

قال القرطبي عند تفسيره للآية: " أي لا يرجع نفع ذلك إلاّ إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها، والمزيد منها، والشكر قيد النعمة الموجودة، وبه تنال النعمة المفقودة". (القرطبي 1964م، ج13 ص206)

الفرع الثاني: مسؤولية الإنسان الفردية تجاه أعماله السيئة:

1- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (محمد 38).

قال الجرجاني: البخل هو المنع من مال نفسه، والشح هو بخل الرجل من مال غيره، وقيل البخل: ترك الإيثار عند الحاجة .(الجرجاني١٩٨٣م ص 42-43).

والبخل هو أحد الرذائل التي تترك آثاراً سيئة على الإنسان وفي حياته وحتى بعد مماته، والبخل مذموم في القرآن كما ورد في عدة آيات، ومنها الآية التي نحن بصددها، **والمعنى** ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه أي إنما يعود ضرر بخله على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق. (ابن جزّي 1416هـ ج2 ص285).

2- قال تعالى: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (الفتح 10).

النكث في اللغة: هو نقض الشيء، ونَكَث العهد ينكثه نكثاً. (ابن فارس 1979م ج 5 ص475).

والنكث اصطلاحاً: هو نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها.(ابن الآثير 1399هـ ج5 ص114).

قال الإمام الطبري عند تفسيره للآية: " يقول تعالى ذكره : فمن نكث بيعته إياك يا محمد ونقضها فلم ينصرك على أعدائك وخالف ما وعد ربه، فإنما ينكثه على نفسه، فإنما ينقض بيعته لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، فلم يضر بنكثه غير نفسه، ولم ينكث إلاّ عليها"(الطبري 1420هـ ، ج22 ص209).

3- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء 111).

الإثم في اللغة: هو البطء والتأخر، يقال: ناقة آثمة، أي متأخرة . (ابن فارس1979م ج1 ص60).

أمّا اصطلاحاً: فهو ما يجب التحرز منه شرعاً وطبعاً. (الجرجاني١٩٨٣م ص7).

وقيل الإثم: هو الذنب الذي تستحق العقوبة عليه ولا يصح أن يوصف به إلاّ المُحَرّم. (الكفوي ص40).

وهذا الكسب يشمل كل إثم صغيراً كان أم كبيراً، فمن كسب إثماً أو سيئة فإن عقوبتها الدنيوية والأخروية على نفسه، لا تتعداها إلى غيره، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الإسراء 15) لكن إذا عمّت السيئات فلم تنكر عمّت عقوبتها وإثمها، ومع ذلك فلا يخرج هذا الحكم عن معنى الآية الكريمة، لأن من ترك الإنكار الواجب عليه إنكاره فقد كسب سيئة، وهذا من عدل الله وحكمته، لا يعاقب أحداً إلاّ بذنب، ولا يعاقب أحداً بذنب أحد، قال صاحب المنار: " إن من يكسب خطيئة أو إثماً ثم يبرىء نفسه، منه أي: مما ذكر ويرم به بريئاً أي: ينسبه إليه ويزعم أنه هو الذي كسبه، فقد احتمل أي: كلّف نفسه أن يحمل وزر البهتان بافترائه على البرىء واتهامه إياه، ووزر الإثم البيّن الذي كسبه وتنصّل منه "(رضا 1990م ج5 ص327).

الخاتمة:

وبعد:

فهذا جهد المقلّ، وقد توصّلت الدراسة إلى أنَّ المسؤولية في القرآن الكريم هي مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام، ومقصد جليل من مقاصد الشريعة الإسلامية، ولها ارتباط وثيق بتكريم الإنسان وتكليفه ومحاسبته، وأنَّ الإنسان مسؤول عن أعماله في الدنيا والآخرة ما دام يملك الإرادة والقدرة وهي مسؤولية فردية، إلا إذا كان للإنسان دور في إغواء غيره أو فتنته فإنه حينئذٍ يتحمل مسؤولية جُرم غيره، كما تتجلى أبعاد هذه المسؤولية الفردية وخطرها على الإنسان يوم القيامة، إذ يتوقف عليها نجاته أو هلاكه.

أهم النتائج:

1- المسؤولية في الإسلام فردية فلا يسأل الإنسان إلا عن أعماله.

2- مصدر إلزام الإنسان بالمسؤولية هو الخالق جلّ وعلا.

3- المسؤولية الفردية في الإسلام هي مظهر من مظاهر تكريم الإنسان.

4_ هناك علاقة وثيقة بين المسؤولية والتكليف من جهة والمسؤولية والجزاء من جهة أخرى.

5- شعور المسلم بالمسؤولية الفردية يغيّر من سلوكه ومعاملاته مع الناس.

6-نجاة المسلم عند الله يوم القيامة متوقفة على مقدار تحمله للمسؤولية الفردية.

أهم التوصيات:

1- على الوالدين تنشئة أبنائهم على تحمل المسؤولية الفردية منذ الصغر.

2- على المؤسسات والمحاضن التربوية تعزيز الشعور بالمسؤولية الفردية لدى الناشئة.

3- ينبغي على الباحثين أن يكثروا من الدراسات العلمية التي تبين أهمية الالتزام بالمسؤولية الفردية مسترشدين في ذلك بما ورد في القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية.

4-على كل مسلم أن يعلم أن مشروع نجاته عند الله متوقف عليه ومرتبط بمسؤوليته الفردية تجاه أعماله.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرأن الكريم.

1- ابن الآثير مجد الدين أبو السعادات محمد بن محمد الجزري 1399هـ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت لبنان، المكتبة العلمية.

2- البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر ط1 بيروت، لبنان، دار طوق النجاة.

3- الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف١٩٨٣م ، كتاب التعريفات حققه وضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر ط1 بيروت لبنان، دار الكتب العلمية

4- ابن جزّي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله 1416هـ، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1 بيروت لبنان، دار الأرقم.

5- الحميد صالح بن عبد الله ١٤١٨هـ موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ط1 جدة السعودية، دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

6- دراز الدكتور عبد الله 1982م دستور الأخلاق، تعريف وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الصبور شاهين ط 4، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة.

7- الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر ١٤٢٠ هـ ، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير ط3، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي .

8- الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي،١٩٩٩م، مختار الصحاح تحقيق: يوسف الشيخ محمد ط2 بيروت، لبنان المكتبة العصرية، الدار النموذجية

9-الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، 1999م المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني ط2، بيروت لبنان، دار المعرفة.

10- رضا محمد رشيد بن علي 1990م، تفسير القرآن الحكيم= تفسير المنار، القاهرة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

11- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم
بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي.

12-السيوطي ١٤٠١هـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.

13-الشافعي الحسين بن مسعود 1420هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ط1، بيروت لبنان، دار احياء التراث العربي.

14-الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، 1420هـ جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر ط1، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة.

15- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد 1984م التحرير والتنوير، تونس الدار التونسية.

16- عمر أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة ط1، القاهرة، مصر، عالم الكتب.

17- ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني (1979م و 1991م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبد السلام هارون، بيروت لبنان، دار الفكر ودار الجيل.

18-القرطبي أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري 1964م ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة مصر، دار الكتب المصرية.

19- ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي ١٤١٩هـ تفسير القرآن العظيم تحقيق: محمد حسين شمس الدين ط 1 بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية.

20-الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت لبنان ، مؤسسة الرسالة.

21- مجمع اللغة العربية 1979م المعجم الفلسفي، القاهرة مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع.

22- المراغي أحمد بن مصطفى، 1946م تفسير المراغي، ط1 القاهرة مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

23- مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري 1374هـ ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

24- مقاتل بن سليمان أبو الحسن، 1423هـ تفسير مقاتل، تحقيق عبد الله شحاته، ط1، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي.

25- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري 1994م، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق الشيخ عادل عبد الموجود وأخرين، ط1 بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.

26- يالجن مقدار ١٩٧٧م التربية الأخلاقية الإسلامية، ط1، القاهرة مصر، مكتبة الخانجي.

أثر التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي

The impact of intellectual extremism on moral chaos

د/ أحمد عبد الرحيم حسانين مرسي

أستاذ مساعد بجامعة الطائف بالمملكة العربية السعودية

الملخص

هذا البحث يعدُّ دراسة عن أثر التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي، ويهدف البحث إلى تعرية الفكر المتطرف، وبيان خطره على المجتمع، وأثره على الانفلات الأخلاقي. وتجلّت مظاهر هذا الانفلات في: ازدياد التعصب، انتشار الخنا والفجور، ارتفاع مستوى الجريمة، انتشار الغلظة والفظاظة.

ويهدف البحث كذلك إلى ضرورة مواجهة الفكر المتطرف بسنّ التشريعات الصارمة من قبل ولاة الأمر، وتفنيد ضلالات المتطرفين، ونقد أفكارهم من قبل الدعاة والعلماء، وتعزيز الفكر الصحيح، وكشف زيف الفكر المتطرف، فلا يمكن للأمة الإسلامية أن تتقدم وتستعيد مجدها إلا بوجود أبناء يحيون بفكر معتدل.

وسلكت في البحث المنهج الوصفي، وكذلك استخدمت المنهج التحليلي، والنقدي.

وتوصل البحث لعدة نتائج منها: أن التطرف والغلو والتشدد والتنطع مصطلحات يراد بها مجاوزة الاعتدال، والتطرف عام، والغلو أخصّ منه، وكل هذه المصطلحات مذمومة في الشريعة الإسلامية. إن جذور التطرف قديمة في البشرية، ومن الظلم حصرها في دين معين وبيئة معينة؛ فقد وُجد التطرف في قوم نوح وعند اليهود والنصارى والعرب قبل الإسلام، كما وُجد في المجتمعات الغربية الحديثة، ووُجد عند المسلمين في العصور الأولى من رسالة الإسلام، وتمثل ذلك في مقولات الفِرَق المنتسبة للإسلام كالخوارج والرافضة والقدَرية والجهمية والمعتزلة وسائر الفرَق، ووُجد في العصر الحديث بإحياء عقائد الفرق القديمة من جهة، ومن جهة أخرى بالتأثر من المذاهب الفكرية المعاصرة التي نشأت في الغرب، ثُمّ تسلّلت إلى المسلمين. للتطرف الفكري صلة وثيقة بالإرهاب والعنف والتردّي الأخلاقي، ومن أوجه الإفادة من البحث: ضرورة التربية الإيجابية على التكاتف من كل فئات المجتمع للوقوف في وجه التطرف الفكري والقائمين عليه من أفراد ومؤسسات وجمعيات.

الكلمات الافتتاحية: التطرف، الفكري، الانفلات، الأخلاقي.

Abstract

The impact of intellectual extremism on moral chaos

This research is a study on the impact of intellectual extremism on moral immorality, and the research aims to expose extremist thought, its danger to society, and its impact on moral immorality. The research also aims at the necessity of confronting extremist thought by enacting strict legislation by the rulers, refuting the delusions of extremists, criticizing their ideas by preachers and scholars, promoting correct thought, and exposing the falsehood of extremist thought. The Islamic nation cannot progress and regain its glory without the presence of children who live with moderate thought. .

The research adopted the descriptive approach, as well as the analytical and critical approaches.

Including: that extremism, extremism, extremism, and extremism are terms intended to transcend moderation, extremism is general, and extremism is more specific than it, and all of these terms are reprehensible in Islamic la and it was found among Muslims in the early ages of the message of Islam, and this was represented in the statements of the sects affiliated with Islam, such as the Kharijites, the Rafidah, the Qadariyyah, the Jahmiyyah, the Mu'tazila and other sects, and it was found in the modern era by reviving the doctrines of the sects Ancient on the one hand, and on the other hand, influenced by contemporary intellectual sects that originated in the West, then infiltrated Muslims.

Among the aspects of benefiting from the research: the necessity of positive education on the solidarity of all segments of society to stand up to intellectual extremism.

Key words: Extremism, intellectual, lawlessness, moral.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الدعاة وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد:

إنّ مصطلح التطرف الفكري من المصطلحات التي شاعت في هذا العصر، وشَغل أمرُه الخاصّة والعامة، نظرًا لما يترتّب عليه من فتن ومشكلات اكتوى بنارها جميع الناس طائعهم وعاصيهم، عالمهم وجاهلهم؛ هكذا شأن الفتن لا يصيب أذاها فاعلها فحسب، بل يطال جميع أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال:25]. وسبب شيوع التطرف

وانتشاره أنه يتمسّح بالمعتقد الديني –لما له من هيبة في قلوب المتدينين– فيحاول المتطرف إضفاء القداسة على فكره الخاطئ بإلباسه ثوب الشريعة زورًا وبهتاناً، فينساق العوام لاعتناق هذا الفكر، وهم يجهلون حقيقته، خاصةً أنه قُدّم لهم مُغلفًا بالنصوص الشرعية التي طُوّعت تدليسًا وتلفيقًا لخدمة أهواء ما أنزل الله بها من سلطان، وغدا هؤلاء ومتبعوهم مِعوَلَ هدمٍ في ثوابت الأمة ومقدساتها، فصار ملتصقًا بالدين ما ليس منه، بغلو الغالين وتطرف المتطرفين؛ لذا وجب على ولاة الأمر وعلماء الأمة الوقوف في وجه هذه الشرذمة المخربة، بسَنّ التشريعات الرادعة من قبل ولاة الأمر، وتفنيد ضلالاتهم وردّ الأمور لصوابها الفكري من قبل الدعاة والعلماء، صوناً للمجتمعات من الانفلات الخلقي، وهذا ما جعل الباحث يلجُ في هذا الباب إعذارًا إلى الله ، وقيامًا بحقّ الدعوة، سائلاً المولى عز وجل العون والسداد.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع للبحث لعدّة أمور وأبرزها الآتي:

1–حفاظاً على المجتمع من الفكر المتطرف، فأثاره السيئة تصيب الجميع الطالح والصالح، والعاصي والطائع، والمنحرف والمستقيم على شرع الله عز وجل.

2–خدمة الدعوة الإسلامية بتعرية الفكر المتطرف، وردّ الأمور لما تركنا عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

3–الإسهام في الدفاع عن المجتمع من كل ما يمكن أن يلحق به الضرر، وتحقيق الأمن المجتمعي.

أهمية البحث:

يأمل الباحث أن يحقق من خلال هذا البحث الأهداف الآتية:

1–تعرية الفكر المتطرف، وبيان فساده وخطره على عقيدة المسلم، وأثره السيء على المجتمعات؛ فالفكر المتطرف آفة المجتمعات الحديثة، ومما يؤسف له وجود شريحة كبيرة مؤهَّلة للسير في ركابه، وتكثر سواده، ولعل أعظم خطر يحدثه التطرف الفكري هو خطره على العقيدة الإسلامية، وبضعفها يحدث الخلل، وينتشر الفساد، وتتعدد مظاهره، وتكثر صوره، من فوضى ثقافية وأخلاقية وقيمية.

2– إبراز خطر التطرف الفكري على الأمن المجتمعي؛ إذ يعدُّ التطرف الفكري من الظواهر المفزعة التي تهدّد أمن المجتمعات. والواقع أن التطرف الفكري لدى البعض في عقائدهم وسلوكهم وأفكارهم واتجاهاتهم تجاه بعض القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية، لهِيَ ظاهرة أصبحت تؤرق وتفزع كل المجتمعات في القديم والحديث، ولكنها أخذت شكلاً جديداً في المجتمعات الحديثة، لا سيما عندما أثمرت شجرة التطرف ما يمكن أن يطلق عليه ظاهرة العنف والإرهاب وإحداث الفوضى والخلل في الأمن المجتمعي، لذا كان على الحريصين على أمن البلاد، واستقرار أمور العباد، مقاومة هذ الفكر بكل سبل المقاومة الثقافية والعلمية والعقابية، والمتمثلة في سَنّ القوانين الرادعة لحملة هذ الفكر، صوناً لسفينة المجتمع من الغرق.

3–بيان الصلة الوثيقة بين الانفلات الأخلاقي، وبين شيوع الأفكار المتطرفة، ولا ريب أن الصلة بينهما واضحة غاية الوضوح، فحيثما انتشر التطرف الفكري، شاعت الأخلاق الفاسدة، حتى إنها صارت كمُسَلمات منطقية، ونتائج مترتبة على أسباب حتمية تؤدي إليها؛ من سفك الدماء، وانتشار العنف والإرهاب وترويع الآمنين، وارتفاع معدل الجريمة، وتنوع أشكالها.

4–ترسيخ الفكر الصحيح، وكشف زيف الفكر المتطرف، فلا يمكن للأمة الإسلامية أن تتقدم وتستعيد مجدها إلا بوجود أبناء يحيون بفكر معتدل قائم على القرآن الكريم والسنة النبوية العَطِرة، وبَثْر كل بذرة من بذور التطرف الفكري بكل صوره، والعمل الدؤوب على مواكبة التطورات العلمية الحديثة بشرط عدم التعارض بينها وبين شرع الله عز وجل.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في التشويش على الثوابت والمقدسات والذي يصدر من التطرف الفكري، المتمسّح بمُسحة الدين فيُوهِم العوام ومحدودي الثقافة بصواب ما يقدم لهم من فكر. ويجيب هذا البحث عن الأسئلة الآتية:

1-ماذا يعني التطرف الفكري؟

2-هل التطرف الفكري قديم أم حديث؟

3-هل أفكار المتطرفين نافعة للدين أم ضارة له؟

4-ما آثار التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي؟

5-ماذا لو أغفل المصلحون مواجهة التطرف الفكري؟

6-ماذا لو لم يتعرض القرآن الكريم والسنة النبوية لمعالجة التطرف الفكري؟

أهداف البحث:

الدراسات في التطرف الفكري، وهذا البحث واحد منها، يأمل الباحث من خلاله أن يحقق الأهداف الآتية:

1-بيان خطر التطرف الفكري على الأمن المجتمعي؛ إذ يعدُّ التطرف الفكري من الظواهر المفزعة التي تهدد أمن المجتمعات، لذا كان على الحريصين على أمن البلاد، واستقرار أمور العباد، مقاومة هذ الفكر، بكل سبل المقاومة الثقافية والعلمية والعقابية، والمتمثلة في سَنّ القوانين الرادعة لحملة هذا الفكر، صوناً لسفينة المجتمع من الغرق.

2-تعرية الفكر المتطرف، وبيان فساده وخطره على عقيدة المسلم، وأثره السيء على المجتمعات.

3-تعزيز الفكر الصحيح، وكشف زيف الفكر المتطرف، فلا يمكن للأمة الإسلامية أن تتقدم وتستعيد مجدها إلا بوجود أبناء يحيون بفكر معتدل قائم على القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة، وبَتْر كل بذرة من بذور التطرف الفكري بكل صوره، والعمل الدؤوب على مواكبة التطورات العلمية الحديثة بشرط عدم التعارض بينها وبين شرع الله عز وجل.

4-بيان الصلة الوثيقة بين الانفلات الأخلاقي، وبين شيوع الأفكار المتطرفة، ولا ريب أن الصلة بينهما واضحة غاية الوضوح، فحيثما انتشر التطرف الفكري، شاعت الأخلاق الفاسدة، حتى إنها صارت كمُسَلمات منطقية، ونتائج مترتبة على أسباب حتمية تؤدي إليها، من سفك الدماء، وانتشار العنف والإرهاب وترويع الآمنين، وارتفاع معدل الجريمة، وتنوع أشكالها.

منهج البحث:

سلكت في البحث المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وأما في منهج البحث عند الاقتباس فحرصت على أن ألتزم بما يلي:

1 -الاعتماد على المصادر الرئيسة، إلى جانب المصادر الفرعية.

2 -قمت بكتابة الآيات القرآنية متبوعة باسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.

3 -قمت بتخريج الأحاديث النبوية في الحواشي السفلية من كتب الصحاح.

الدراسات السابقة في الموضوع:

هناك العديد من البحوث العلمية التي كتبت في الحديث عن التطرف الفكري بشكل عام، لما للموضوع من أهمية بالغة، لاسيما في هذا العصر، منها ما يلي:

1-العنف والتطرف بين التفكير والتكفير، الدرويش، عيد، 2015، وهو بحث محكم تناول التطرف الفكري، وصلته بالتكفير، وما يترتب عليهما من العنف.

2-الإسلام وظاهرة التطرف الديني، هواري، حمادي، 2015، وهو بحث محكم تناول ظاهرة التطرف الديني بشكل عام، مبينًا: أسبابه، ومظاهره، وآثاره، وعلاجه.

3-أثر التطرف الفكري على الفرد والمجتمع، مولاي، ناجم، 2017، وهو بحث محكم: تناول الباحث فيه تعريف التطرف الفكري، وأسبابه، وآثاره على الفرد والمجتمع.

4-التطرف: أنواعه وآثاره في المجتمع، وطرق علاجه، كرار، زينب محمد إبراهيم، 2020، وهو بحث محكم، تناول تعريف التطرف، وبيان أنواعه، وأخطاره، وسبل معالجته.

ولا شك أنني قد استفدت من البحوث المتنوعة في قضية التطرف، إلا أنني لم أرصد بحثًا تفرد بذكر آثار التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي.

خطة البحث:

ضمنت البحث: مقدمةً، وتمهيدًا، وأربعة مباحث، وخاتمة.

فالمقدمة تضمنت: أسباب اختيار البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطته.

والتمهيد: التطرف والأخلاق وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التطرف وحقيقته، وبيان بعض المصطلحات المرادفة.

المطلب الثاني: التعريف بالأخلاق، والمقصود بالانفلات الأخلاق.

المبحث الأول: جذور التطرف الفكري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجذور القديمة للتطرف.

المطلب الثاني: الجذور الحديثة للتطرف.

المبحث الثاني: منهج القرآن والسنة في التحذير من التطرف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في التحذير من التطرف.

المطلب الثاني: منهج السنة النبوية في التحذير من التطرف.

المبحث الثالث: أثر التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر التطرف على انتشار الخنا والفجور.

المطلب الثاني: أثر التطرف الفكري على ارتفاع مستوى الجريمة.

المطلب الثالث: أثر التطرف الفكري على انتشار الغلظة والفظاظة.

المبحث الرابع: عناية القرآن والسنة بالسموّ الأخلاقي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عناية القرآن الكريم بالسموّ الأخلاقي.

المطلب الثاني: عناية السنة النبوية بالسموّ الأخلاقي.

والخاتمة، وفيها: جوانب الإفادة من هذا البحث، أبرز النتائج، والتوصيات، والفهارس، وتتضمن: المصادر والمراجع، الفهرس العام.

تمهيد: التطرف والأخلاق

المطلب الأول: مفهوم التطرف وحقيقته، وبيان بعض المصطلحات المرادفة

توطئة: كلمة التطرف من الكلمات التي تطلق على الانحراف عن التوسط والاعتدال، وهناك مصطلحات قريبة من هذ المعنى في لغة العرب، منها: الغلو، والتنطّع، والإرهاب، لذا لزم التعريف بهذه المصطلحات لمعرفة المراد بها.

الفرع الأول: تعريف التطرف:

(أ): تعريف التطرف في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: (طرف) الطاء والراء والفاء أصلان: فالأول يدل على حد الشيء وحرفه، والثاني يدل على حركة في بعض الأعضاء.

فالأول: طرف الشيء والثوب والحائط. ويقال ناقة طرفة: ترعى أطراف المرعى ولا تختلط بالنوق، وقولهم: عين مطروفة، من هذا؛ وذلك أن يصيبها طرف شيء ثوب أو غيره فتغرورق دمعا. ويستعار ذلك حتى يقال: طرفها الحزن.

فأما قولهم: هو كريم الطرفين، فقال قوم: يراد به نسب الأب والأم. ولا يدري أي الطرفين أطول، هو من هذا. وجمع الطرف أطراف ([61]).

وفي تاج العروس: الطرف: منتهى كل شيء، والطرف أيضا: الرغيب العين الذي لا يرى شيئا إلا أحب أن يكون له. ([62]).

وفي المعجم الوسيط: (تطرف) أتى الطرف، ويقال تطرفت الشمس دنت للغروب ومنه تنحى، وفي كذا جاوز حدّ الاعتدال ولم يتوسط والشيء أخذ من أطرافه وعدّه طريفا واستفاده حديثا ([63]).

من هذه التعاريف اللّغوية لمصطلح التطرف، يبدو جليا أنه الميل إلى أحد الطرفين، وعدم ملازمة الاعتدال للأشياء والأماكن.

(ب): تعريف التطرف في الاصطلاح: مصطلح التطرف من المصطلحات التي أصبحت تتردد بكثرة في المجتمعات الشرقية والغربية، ويختلف المراد بها باختلاف المنابع الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتي تنشأ وتتجذّر داخل صاحبها، وبالتالي فإن التعريف الاصطلاحي للتطرف سيكون مقتصراً على مفهوم التطرف في الشريعة الإسلامية.

ورَدت كلمة التطرف في مصنفات علماء المسلمين قديماً، وأطلقوا هذه الكلمة على ثلاثة أشياء هي: الشخص المخالف للشرع، والقول المخالف للشرع، والفعل المخالف للشرع. فمن الأمثلة على النوع الأول، قول ابن تيمية: "وكثيرا ما قد يغلط بعض المتطرفين من الفقهاء في مثل هذا المقام، فإنه يسأل عن شرط واقف، أو يمين حالف، ونحو ذلك: فيرى أول الكلام مطلقا أو عاما، وقد قيد في

([61]) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط1، 1399هـ، 1979م، ج3، ص447، مادة: (طرف).

([62]) الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج24، ص69.

([63]) مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، ج2، ص555، مادة: (طرف).

آخره. فتارةً يجعل هذا من باب تعارض الدليلين، ويحكم عليهما بالأحكام المعروفة للدلائل المتعارضة من التكافؤ والترجيح، وتارةً يرى أن هذا الكلام متناقض؛ لاختلاف آخره، وأوّله، وتارةً يتلدد تلدد المتحيّر، وينسب الشاطر إلى فعل المقصّر" ([64]).

ومن الأمثلة على القول الثاني، ما ورد في المسودة في أصول الفقه: "ومن الناس من لا يحكي إلا القولَيْن المتطرفين دون الوسط "([65]).

وأما الأمثلة على القول الثالث، قول القرطبي: وتكره القبلة للصائم؛ من أجل ما يخف عليه من التطرف إلى الجماع والإنزال ([66]).

مما سبق تبين أن كلمة التطرف تطلق في اصطلاح العلماء على: الإنسان المخالف لشريعة الله عز وجل، وعلى القول والفعل المخالف للشريعة الربانية.

الفرع الثاني: تعريف الغلو:

(أ): تعريف الغلو في اللغة:

يراد بمصطلح الغلو في المعاجم العربية: الارتفاع ومجاوزة الحدّ، يقال: غلا في الأمر غلوا، (جاوز حدّه)، وفي الصّحاح: جاوز فيه الحدّ، وفي المصباح: غلا في الدين غلوا تشدّد وتصلّب حتى جاوز الحدّ [(67)].

وقال ابن منظور: الغلو: الإعداء. وغلا بالسهم يغلو غُلوا وغَلوا وغالى به غلاء: رفع يده يريد به أقصى الغاية وهو من التجاوز؛ وقيل: معناه البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبّداتها ([68])، وقال الراغب: الغلو: تجاوز الحدّ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غلو وفي السهم غلو ([69]). يتضح مما سبق أن الغلو في اللغة يراد به، الارتفاع عن المنزلة المعتادة، أو مجاوزة المألوف في كل شيءٍ.

(ب): تعريف الغلو في الاصطلاح:

هناك تعريفات عديدة للغلو في اصطلاح علماء المسلمين، وكلها تعريفات متقاربة المعنى، لذا سأكتفي بذكر تعريفَين منها.

([64]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ، 1987م، ج4، ص301.

([65]) ابن تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ج1، ص232.

([66]) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1400هـ/1980م، ج1، ص346.

([67]) تاج العروس، مرجع سابق، ج39، ص178.

([68]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، ج15، ص132، مادة: (غلو).

([69]) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ، ج1، ص613، مادة: (غلو).

التعريف الأول: تعريف ابن تيمية، فعرّف الغلو، بأنه: مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمّه على ما يستحق ونحو ذلك ([70]).

التعريف الثاني: تعريف ابن حجر العسقلاني، وعرّف الغلو، بأنه: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد ([71]).

من العرض السابق لتعريف الغلو في اللغة والاصطلاح يتبين، أن التعريف الاصطلاحي للغلو لا يخرج عن التعريف اللغوي له، إذاً الارتباط بينهما قوي للغاية، فكلاهما يعني الزيادة وتجاوز الحد المشروع.

ومما سبق من التعريف لمصطلَحَي (التطرف، الغلو) يتضح أن بينهما تقارباً شديداً، ويتجلى هذا التقارب في أن كِلَيْهما يكون تارةً بمجاوزة الحدّ، في الإفراط والشطط، وتارةً بتجاوز الحد في التفريط والترك. وكلاهما تتنوع مجالاته، فيكون في العقائد والعبادات والأفكار، ويصدر عن الأفراد والجماعات.

الفرع الثالث: الإرهاب

(أ) تعريف الإرهاب في اللغة:

قال ابن منظور: رهب: رهِب، بالكسر، يرهب رهبةً ورهباً، بالضمّ، ورهبا، بالتحريك، أي خاف. ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبةً: خافه، وترهّب غيره إذا توعّده ([72]).

وقال ابن فارس: الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر على دقة وخفة.

فالأول الرهبة: تقول رهبت الشيء رهبا ورهبا ورهبة. والترهب: التعبد. ومن الباب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها.

والأصل الآخر: الرهب: الناقة المهزولة. والرهاب: الرقاق من النصال؛ واحدها رهب. والرهاب: عظم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان ([73]).

يتبين من ذلك أن مصطلح أرهب في اللغة له معان عدة، بعضها ممدوح وبعضها مذموم وبعضها لا يمدح ولا يذم، والمعنى اللغوي للإرهاب المرادف للتطرف هو المعنى المذموم ويقصد به التخويف.

(ب) تعريف الإرهاب في الاصطلاح:

عرّف علماء المسلمين المعاصرين الإرهاب بأنه: " العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغياً على الإنسان دينه، ودمه، وعقله، وماله بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أموالهم للخطر ([74]).

([70]) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ط2، 1369هـ، ص106.

([71]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج13، ص278.

([72]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص436، مادة: (رهب).

([73]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص447، مادة: (رهب).

([74]) المجمع الفقهي للإرهاب، في دورته المنعقدة بمكة المكرمة خلال الفترة من 26،1422/10/21هـ، الموافق 10،2002/1/5م.

وهذا التعريف يتوافق مع معنى الغلو والتطرف، بل يعدّ نتيجة لهما، فالمتطرف يلجأ للقتل، وترويع الآمنين، والعمل الإجرامي لكل من يخالفه في الرأي السياسي والعقدي والفكري.

وقد يدعي المغرضون أن الإسلام يحضّ على الإرهاب ويستدلون بما جاء في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

ودعواهم باطلة ولا وزن لها، فالآية الكريمة تتحدث عن ضرورة تهيئة المسلمين من قوة وعتاد، وهذا شيء درَجَت عليه الدول في القديم والحديث، فتجنّد الجنود، وتشتري الأسلحة الفتاكة، وما سمعنا عاقلًا يعترض على ذلك، قال القرطبي: " وأعدّوا لهم" أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى. فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ. وكلما تُعدّه لصديقك من خير أو لعدوك من شرّ فهو داخل في عُدّتك ([75])، والسياق القرآني للآيات يدل على التهيئة والاستعداد بالقوة والعتاد فقط، يدل على ذلك قوله تعالى في الآية التي تليها ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].

الفرع الرابع: التنطع:

جاء في المعاجم اللغوية، التنطّع في الكلام: التعمق فيه مأخوذ منه. وفي الحديث: هلك المتنطعون؛ هم المتعمقون المغالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبرا؛ قال ابن الأثير: هو مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى في الفم، قال: ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا. ([76]).

يتبين من البحث في المعاجم عن معنى كلمة التنطع أنها تدور حول معنى التكلف والتعمق والتشدد ومجاوزة الحد في القول والعمل.

المطلب الثاني: التعريف بالأخلاق، وأهميتها، والمقصود بالانفلات الأخلاقي:

الفرع الأول: التعريف بالأخلاق لغةً واصطلاحاً:

(أ): تعريف الأخلاق لغة:

قال ابن منظور: الخلق، بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان

([75]) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964 م، ج8، ص35.

(76) الفراهيدي، الخليل بن أحمد' العين' المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ج2، ص16، مادة: (عطن)، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 5، ص 440، مادة: (نطع). الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ، 1999م، ج1، ص313، مادة: (نطع)، ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج8، ص367، مادة: (نطع).

بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ([77])، وقال ابن فارس: الخلق، السجية، لأن صاحبه قد قُدِّر عليه، والخلاق: النصيب، لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه ([78])، وقال الماوردي: حقيقة الخلق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقا، لأنه يصير كالخلقة فيه([79])، وفرق الراغب بين الخَلق، والخُلق فقال: الخلق، والخُلق في الاصل واحد كالشرب والشرب والصرم والصرم لكن خصّ الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة([80])، مما سبق من تعريف الأخلاق في المعاجم اللغوية، تبين أن مصطلح الأخلاق يرجع إلى مادة (خلق) والتي من معانيها في اللغة، التقدير، والطبع، والسجية، والإنشاء، والتكوين، وهذه المعاني المتعددة تدل على فعل الله في إيجاد المخلوقات وإنشائها على غير مثال سابق، فكان بذلك شاملاً للصفات الخَلقية والخُلقية.

(ب): تعريف الأخلاق اصطلاحًا:

للعلماء تعريفات متعددة للأخلاق في الاصطلاح، نذكر منها:

تعريف الجاحظ: عرّف الجاحظ الخلق بأنه، حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزةً وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد ([81]).

تعريف الجرجاني: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة، ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سُمّيت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سُمّيت الهيئة: خلقًا سيئًا ([82]).

ولعلنا نَلحَظ التقارب الشديد بين تعريف الجرجاني وتعريف الجاحظ، ففي التعريفَين إشارةٌ إلى أن الخلق راسخٌ في النفس، وبسبب هذا الرسوخ تصدر عنه الأفعال بتلقائية وبلا تكلف وتصنع، وزاد تعريف الجرجاني، بذكر أنواع الخلق، فذكر أن الخلق نوعان محمود ومذموم، وزاد الجاحظ في تعريفه، أن الخلق منه ما يكون جبلية، ومنه المكتسب، وهناك تعاريف أخرى تتشابه مع هذين التعريفين، كتعريف ابن مسكويه، والماوردي، وابن القيم، والطاهر بن عاشور، لذا لم أذكر تعاريفهم، واكتفيت بالإشارة إليها، ففي التعاريف المذكورة ما يكفي لتعريف الخلق اصطلاحًا.

([77]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج10، ص86، مادة: (خلق).

([78]) ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص214، مادة: (خلق).

([79]) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964 م، ج18، ص227

([80]) الراغب، الغريب في مفردات القرآن، مرجع سابق، ص322.

([81]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، ط 1، 1410 هـ، 1989 م، ص 12.

([82]) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، لمحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م، ص101.

الفرع الثاني: أهمية الأخلاق

مما لا شك فيه أن قيام المجتمعات واستقرارها متوقّفٌ على رسوخ الأخلاق الكريمة، فمكارم الأخلاق ضرورةٌ لا غِنى عنها في أيّ مجتمع من المجتمعات، ومتى فُقدت الأخلاق تفكّك أفراد المجتمع، وتقاطعوا وتباغضوا وتحاسدوا، وتبلغ بهم مساوئ الأخلاق إلى الانهيار ثم الدمار.

لذا لم تخلُ أمة من الأمم في القديم والحديث –كانت هذه الأمة وارثة رسالة إلهية، وتنعم بنور الوحي، أو كانت معادية لما جاءت به الرسل– إلا وكان فيها دعاة يدعون الناس إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والتخلي عن سفسافها، فإذا كان التمسك بالأخلاق الحسنة ضرورة في نظر الفلاسفة، فهي في الإسلام أكثر ضرورة، ويدلل على ذلك أن الإسلام جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم. **ويمكن إبراز جملة من أهمية الأخلاق فيما يلي:**

1–ضبط النفس والاستعلاء على الشهوات، فمعظم الشرور تلج من غلبة الشهوات وضعف النفس عن مقاومتها.

2–تغليب الجانب الروحي على الجانب المادي، وما استحقّ الإنسان التكريم الإلهي إلا بالجانب الروحي.

3–الأخلاق كم بدّلت عدوًا وجعلته ولياً حميماً، وكم قرّبت شارداً عن الحق، وجعلته من المخبتين العابدين، وتاريخ البشرية شاهد بكثير من الأمثلة على ذلك، فانتشار الإسلام في إندونيسيا وماليزيا والصين ودول شرق أسيا مما يبرهن على ذلك.

4–ينال الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة بأخلاقه الحسنة، فقد جاءت آيات قرآنية كثيرة تمتدح المتخلقين بالأخلاق الحسنة، وتعدهم بالثواب العظيم عليها في الدنيا والآخرة.

5–الأخلاق الحسنة تحفظ للمجتمعات تماسكها واستقرارها، فعندما تحدد المجتمعات المثل العليا، وتعزز التمسك بها، وتعاقب من يخرج عليها، كان ذلك عوناً على استقرار المجتمعات ورقيّها.

الفرع الثالث: المقصود بالانفلات الأخلاقي، ومظاهره

(أ): المقصود بالانفلات الأخلاقي

يقصد بالانفلات الأخلاقي، عدم التقيد بمكارم الأخلاق التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما عدّه أصحاب الفطر السليمة في الشرق والغرب من الأفعال والأقوال والسلوكيات الحسنة.

(ب): مظاهر الانفلات الأخلاقي

للانفلات الأخلاقي مظاهر كثيرة ومتنوعة، أبرزها:

التعصب بشتى أنواعه، والغلظة والفظاظة، والكِبر، والسخرية من الآخرين، والتنابز بالألقاب، وعدم قبول الأعذار من المخطئين، والتشكيك في النوايا، والمؤاخذة بالزلّة، خاصّة إذا كانت يسيرة أو كانت صادرة من شخص له فضل، والتخاصم والتقاطع والتدابر، والحسد والحقد، وسوء الأدب.

ولمّا كانت مظاهر الانفلات الأخلاقي كثيرة ومتنوعة، يمكننا القول بأن خطر الانفلات الأخلاقي، لا يقل خطورة عن خطر الانفلات الأمني، فالأخلاق عنصر لا يغفل في استتباب الأمن، واستقرار المجتمعات، لذا كانت على الأمم والحكومات وهي تحرص على تحقيق الأمن، كذلك عليها أن تحرص على رقي الجانب الأخلاقي.

المبحث الأول: جذور التطرف الفكري

المطلب الأول: الجذور القديمة للتطرف الفكري:

توطئة: التطرف الفكري يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، فقد كان المشركون وقت تنزل الرسالات الإلهية متطرفين في عقائدهم الوثنية، وعارضوا الحق البين بالأوهام والظنون، وهذه إطلالة على التاريخ البشري القديم، إبرازاً للتطرف الفكري في هذه المرحلة، ويمكن تقسيم هذه المرحلة فيما يلي:

الفرع الأول: التطرف في الأمم السابقة:

أولًا: التطرف زمن نوح عليه السلام؛ بدأ تطرف قوم نوح عليه السلام بغلوّهم في الصالحين، فعَنْ ابن عباس رضي الله عنهما: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت.) ([83]). قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: (قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.) ([84])

يتبين من ذلك أن الشرك وقع في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين، والإفراط في التعظيم قولاً واعتقاداً.

ثانيًا: تطرف اليهود:

تمثل تطرف اليهود في عدة جوانب، منها:

(أ): الجرأة على الذات الإلهية، وتمثلت هذه الجرأة فيما يلي:

1–قولهم: إن الله فقير، قال تعالى:﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[آل عمران:].

2–قولهم: يد الله مغلولة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64].

([83]) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {ودا ولا سواعا، ولا يغوث ويعوق}، ح رقم (4920)، ج6، ص160.
([84]) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، الغنية عن الكلام وأهله، ص22.

(ب): استباحة دماء وأعراض المخالفين، قال الحاخام (رشي) إن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض أجنبي، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة، والعقد لا يوجد في البهائم، وما شاكلها. وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي وليفي وجرسون) فلا يرتكب اليهودي محرماً إذا أتى امرأة مسيحية. وقال (ميمانود) أن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات، أي غير اليهوديات!!

وقال الحاخام (تام): (إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو إناثاً لا عقاب عليه، لأن الأجانب من نسل الحيوانات.) ولذلك صرح الحاخام المذكور ليهودية أن تتزوج بمسيحي تهوَّد مع أنها كانت رفيقة له غير شرعية قبل الزواج، فاعتبر العلاقات الأصلية كأنها لم تكن لأنها أشبه شيء بنكاح الحيوانات!!) ([85]).

(ج): العنصرية المقيتة، يتسم اليهود بالعجب والفخر على سائر الجنس البشري، والزعم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار. فهم يدّعون أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزءٌ من الله كما أن الابن جزءٌ من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزةً عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات. وذكر في التلمود: أن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات ([86]).

ثالثًا: تطرف النصارى: تمثل تطرف النصارى في الغلو في عيسى ابن مريم عليه السلام، فقالوا بألوهيته، وكذلك غلوهم في رهبانهم، فقد اتخذوهم أربابا من دون الله، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31].

الفرع الثاني: تطرف الفرق المنتسبة للإسلام:

ظهرت الفرق الإسلامية على سطح الأمة الإسلامية في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت أول الفرق ظهورًا على أرجح الأقوال فرقة الخوارج، تلتها فرقة الشيعة، ثم توالت الفرق بعد ذلك، وأقبلت الفتن مهرولة يحمل رايتها التطرف الفكري، فظهر غلو الخوارج جلياً في تكفير علي بن أبي طالب وجماعة من خيار الصحابة، وكذلك تكفير مرتكب الكبيرة، والقول بخلود مرتكب الكبيرة في النار، وظهر غلو الشيعة في تقديس الأئمة، ورفعهم لمنزلة الألوهية، واعتقادهم تصرفهم في الكون، ومعرفة الغيب، وظهر غلو المرجئة في القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن أهله متساوون فيه، وظهر غلو القَدَرية في نفي القدر، والزعم بأن الله لا يعلم الأشياء إلا وقت حدوثها، وظهر غلو الجبرية في القول بالجبر، وأن الإنسان أمام أقدار الله كالريشة في مهب الريح، وظهر غلو المعتزلة في تقديم العقل على النقل، والقول بخلود مرتكب الكبيرة في النار([87]). وهكذا كان لكل فرقة من الفرق مقولات غلوا فيها، وكان لغلوهم وتطرفهم هذا عظيم الأثر على الأمة الإسلامية عبر التاريخ.

([85]) إشيل، روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص62.

([86]) المرجع السابق، ص43.

([87]) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية، القاهرة، ط1، 1426هـ ،2005م، ص 44، 84، 115، 130، 219، بتصرف يسير.

المطلب الثاني: الجذور الحديثة للتطرف

تمثلت الجذور الحديثة للتطرف في ثلاثة أمور، اثنتين منها نشأت في الغرب، ثم انتقلت للعالم الإسلامي، وواحدة ظهرت في الأمة الإسلامية، وهذه الأمور الثلاثة هي:

أولًا: ظهور المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، فقد ظهرت هذه المذاهب في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي، بهدف إسقاط الدين النصراني وتنحيته عن واقع الحياة، وإقامة الحياة على غير دين، وذلك لظروف وأسباب دفعتهم لذلك، منها: تحريف الدين النصراني عقيدة وشريعة، وفساد رجال الدين النصراني، وطغيانهم في شتى مجالات الحياة ([88]).

فظهرت العلمانية، وما تفرع عنها من مذاهب، كالليبرالية، والوجودية، والشيوعية، والعقلانية، إلى غير ذلك من المذاهب. وأهم موجة رسخت للانحراف الخلقي فلسفة الفكر التنويري، ومع أن المجتمعات الإسلامية لم توجد فيها نفس الأسباب التي أدت لنشأتها في أوروبا إلا أنه، مع الأسف، اقتحمت هذه المذاهب بلاد المسلمين، ووجد من أبناء المسلمين من اعتقد هذه المبادئ، وصار من أشد المتحمسين لها، وأراد صبغ المجتمع الإسلامي بهذه المذاهب على عوجها وانحرافها، فكانت هذه المذاهب من الروافد للتطرف الفكري.

ثانيًا: النظريات العلمية الحديثة، وأبرز هذه النظريات، نظرية داروين، وما نتج عنها من نظريات، فقد كانت نظرية داروين إيذاناً بميلاد النظريات الآتية:

1-نظرية برجسون في الروحية الحديثة. 2-نظرية فرويد في التحليل النفسي. 3-نظرية سارتر في الوجودي. 4-نظرية ماركس في المادية.

وقد أقامت هذه النظريات بنيانها على نظرية داروين، واعتمدت عليها في توجهاتها وتفسيراتها للإنسان والحياة والسلوك، فنظرية التطور البيولوجية أصبحت فكرة فلسفية تدعو إلى التطور المطلق في كل شيء، في الدين والقيم والتقاليد، وكان تأثير هذه النظرية في الغرب قويًا للغاية، تلحظ أثرها فيما يلي:

1-استمد ماركس من نظرية داروين مادية الإنسان وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على (الغذاء والسكن والجنس) مهملاً بذلك جميع العوامل الروحية لديه.

2= استمد فرويد من نظرية داروين حيوانية الإنسان فالإنسان عنده حيوان جنسي، لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب.

3= استمد دور كاييم من نظرية داروين حيوانية الإنسان وماديته وجمع بينهما بنظرية العقل الجمعي([89]).

([88]) القفاري، ناصر عبد الله، دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، دار العقيدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1442هـ، ص7.

([89]) السقاف، محمد علوي، ومجموعة من الباحثين، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، ج2، ص270، بتصرف يسير.

وعلى الرغم من أن هذه النظريات قد حطّت من قيمة الإنسان، إلا أنها قد استهْوَت الكثير من العقول، واحتكرت المنابِر في الكثير من الجامعات، ودعّمت التطرف الفكري في جميع المجالات الحياتية، فقد راح المتطرف يحطم سلسلة المعتقدات حلقة بعد حلقة، وكذلك المعايير الأخلاقية.

ثالثًا: إحياء عقائد الفرق الضالة المنتسبة للإسلام، وأبرز هذه الفرق فرقة الخوارج، التي تعدّ النواة الأولى لكل الجماعات المتطرفة والإرهابية، والتي اتخذت من التكفير والعنف سبيلا للتغيير. وهم أول من استخدم الإرهاب الفكري في وجه المخالفين ثم قتالهم، وقد تربت على عقائدهم الجماعات المتطرفة المعاصرة، وهذه الجماعات المتطرفة تتشابه مع الخوارج في الجهل بالدين، والجرأة على تكفير المسلمين، واستباحة دمائهم، والخروج على ولاة الأمر.

المبحث الثاني: منهج القرآن والسنة في التحذير من التطرف

توطئة: تأسس المجتمع الإسلامي منذ عهده الأول على الوسطية، ونبذ التطرف والغلو، والقرآن الكريم والسنة النبوية يحفلان بالكثير من النصوص الدالة على ذلك.

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في التحذير من التطرف:

ذكرت في التمهيد أن كلمة التطرف لم ترد في القرآن الكريم بهذا المصطلح، لكن ورد في القرآن الكريم لفظ مرادف للتطرف هو الغلو، ويمكن تقسيم الآيات القرآنية التي في هذا الموضوع إلى أربعة أقسام:

1-آيات تدعو إلى التعارف والتآلف، من هذه الآيات؛ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

وقوله تعالى حثًّا للمؤمنين على التعارف والتألف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

وقوله تعالى حثًا على اتباع نهج السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: 208].

وقوله تعالى حثًّا على العدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

وقوله تعالى حثًّا للمؤمنين على البر والإحسان مع المخالفين: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

وقوله تعالى مُنفِّرًا من الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، ومُرَغِّبًا في العفو وعمل الخير: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: 148 -149].

2-آيات تمتدح الوسطية واليسر، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:185]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:78].

3-آيات تنفر من اتباع الهوى وتحذر من اتباعه، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: 23]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:26].

4-آيات تحذر من الغلو والاعتداء، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: 171]. وقوله تعالى: ﴿ورهْبَانِيَة ابتدَعُوهَا﴾. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87]، يتبين من هذه الآيات تنفير القرآن الكريم من الغلو والاعتداء، ويبني مجتمعًا يقوم على المحبة والتراحم.

المطلب الثاني: منهج السنة النبوية في التحذير من التطرف

دعت السنة النبوية إلى الاعتدال والقصد، وكلتاهما رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين: فالمنزلة الدنيا: التقصير في جلب المصالح، وهو مذموم. والمنزلة القصوى: الإسراف في جلبها، ويدخل فيه الغلو في الدين والتنطع، وهو مذموم. والاقتصاد: التوسط بينهما، وهو محمود، كما قيل الحسنة بين السيئتين؛ بمعنى: أن التقصير سيئة، والإسراف سيئة، والحسنة ما توسط بين الإسراف والتقصير، وخير الأمور أوساطها ([90]).

ويمكن بيان منهج السنة النبوية في التحذير من التطرف فيما يلي:

1-أحاديث تدعو للرفق في كل أمر من الأمور:

فعن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» ([91]).

2-أحاديث ترغّب في التيسير، منها:

عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا، ولا تنفّروا» ([92]).

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدين يُسْر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» ([93]).

([90]) ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، تحقيق: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط2، 1430 هـ 2009 م، ج5، ص94.

([91]) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ح رقم: (2594)، ج4، ص2004.

([92]) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ح رقم: (69)، ج1، ص25.

([93]) المرجع السابق، باب يسر الدين، ح رقم: (39)، ج1، ص16.

3-أحاديث تنهى عن الغلو والتشدد، منها:

ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» ([94]). وعن الأحنف بن قيس، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون ([95])» قالها ثلاثا ([96]). وعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومها وإن قلّ» وقال: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون» ([97]). وعن حميد بن أبي حميد الطويل، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»([98]).

يتبين من هذه الأحاديث النبوية المتنوعة أن الإسلام يدعو إلى القصد والاعتدال، وينفر من الغلو والتنطع، ويرسخ منهجاً يقوم على التيسير والرفق.

المبحث الثالث: أثر التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي

المطلب الأول: أثر التطرف الفكري على انتشار الخنا والفجور:

توطئة: التطرف الفكري من الظواهر التي قلّما يخلو منها زمن من الأزمان، فقد وجدت هذه الظاهرة لدى كل الشعوب، وجميع الأديان، ومختلف الطوائف والأحزاب، وهي ظاهرة مذمومة عند أصحاب الفطر السليمة من الناس، وإنما مقتها المصلحون والعقلاء

([94])صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، السيوطي، ح رقم: (4445) ، ج2، ص 4445، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (2680).

([95]) المراد بالمُتَنَطِّعين المتعمقون فيما لا ينفع فيه التعمق وإن كان التعمق له مكانه، وله مجالاته، ولكن إن كان في الحقائق الناصعة فإنه يؤدي إلى خلاف المقصود. ينظر: المازري، أبو عبد الله محمد بن علي، المعلم بفوائد مسلم، المحقق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، 1988م، ج1، ص128.

([96]) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ح رقم: (2670)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص2055، وأبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ح رقم: (4608)، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ ،2009 م، ج7، ص18.

([97]) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ح رقم: (6465)، دار طوق النجاة، القاهرة، ط1، 1422هـ، ج8، ص98.

([98]) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح رقم: (5063)، ج7، ص2.

لخطرها على المجتمعات، فالتطرف يبدأ في الفكر ثم ينتقل إلى السلوك، وهنا يكمن الخطر، خاصةً إذا صاحبه التخلف والجهل والرعونة الفكرية والدينية والسياسية، أو صاحبه الطمع والأنانية والرغبة في التسلط. وللتطرف أشكال وألوان عدة؛ فهناك التطرف الفكري، والتطرف السياسي، والتطرف العرقي، والتطرف الديني والمذهبي، فالتطرف ليس نابعًا من بلد معين، أو دين معين هو من يغذي هذا الفكر المنحرف، بل تجده في كل المجتمعات الغنية والفقيرة، وفي كل الأديان وحتى المذاهب الفكرية التي اخترعتها عقول البشر، فمن الظلم البين حصر التطرف في دين معين وبيئة معينة.

الفرع الأول: أثر الفكر العلماني على الانفلات الأخلاقي:

تعرضت الأخلاق في الفكر العلماني لمشاكل كثيرة، وكان الأساس الذي قام عليه الفكر العلماني، فصل الأخلاق عن الدين، ويقوم هذا الفصل على ثلاثة مبادئ:

المبدأ الأول: مبدأ الاستغناء عن الإله والتوجه إلى الإنسان، ويقوم هذا المبدأ على الانفصال عن الإله الذي يستمد منه الإنسان تصوراته وتصرفاته، والزعم بأن الإنسان لا يحتاج إلى موجّه.

المبدأ الثاني: مبدأ الاكتفاء بالعقل، وبلغ هذا المبدأ ذروته عند (كانت) الذي أعلن استقلال العقل وعدم حاجته لغيره، وبلغ الغلو عنده أن جعل الدين تابعاً للعقل، فقد أراد تأسيس الأخلاق بعيداً عن الدين، على مبدأ الإرادة الخيرة المعتمدة على العقل ([99]).

المبدأ الثالث: مبدأ الدنيوية، ويراد به، صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها.

وقد ترتب على هذه المبادئ فصل الأخلاق عن الدين، وتأسيس نظام أخلاقي جديد لا علاقة بينه وبين الإيمان بالله تعالى، وكان الانفصال عن الأخلاق بطيئاً في البداية، وتمثل في جميع المجالات، فبدأ من المجال السياسي الذي رسخ للفكر الميكافيلي؛ الغاية تبرر الوسيلة، ونتج عن ذلك انقطاع الصلة بين الأخلاق والسياسة، ثم انفصلت الأخلاق عن الاقتصاد، فشاع أكل الربا، وتوغل النظام الرأسمالي الذي لا يهتم إلا بالربح دون النظر للأخلاق، ثم انفصلت الأخلاق في مجال العلم، حيث ظهرت أخلاقيات مقيتة في المجال العلمي، فتحول العلم إلى معول هدم للقيم والأخلاق، ثم انفصلت الأخلاق عن الفكر والإبداع، فانتشرت الروايات الهابطة التي تنشر الزيف والغش، وتعمل على إفساد العقيدة باسم حرية الفكر، ثم انفصلت الأخلاق عن مجال العلاقات الجنسية، فتحوّل الجنس لمسألة بيولوجية لا علاقة له بالأخلاق، وآخر الأمر تم تفريغ الأخلاق من مضمونها، حتى قيل إنها ليس لها وجود ذاتي، إنما هي من انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية، أو أنها من صنع العقل الجمعي([100]).

الفرع الثاني: النظريات العلمية الحديثة وأثرها على الانفلات الأخلاقي:

ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي عدة نظريات كان لها أثر بالغ على الأخلاق، وأكتفي بذكر نظرية التطور والارتقاء؛ ففيها الغنية عن ذكر ما سواها، كما أنها كانت سبباً في ظهور النظريات الأخرى.

نظرية التطور والارتقاء وأثرها على الانفلات الأخلاقي:

(أ): مؤسسو النظرية ومضمونها:

([99]) إبراهيم زكريا، كانت أو الفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة، ط1، 2020م، ص131.

([100]) الأسمري، حسن بن محمد حسن، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1433 هـ، 2012 م، ص 1050 بتصرف يسير.

ترجع هذه النظرية إلى لامارك العالم الفرنسي، وهو مؤسسها، وتشارلز داروين الإنجليزي، وهو من قام بتطويرها وحملَ لواءها حتى نسبت النظرية إليه عند الكثيرين، فصار يطلق عليها نظرية داروين، وتقوم هذه النظرية على الزعم بأن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت إلى هذه التنوعات التي نراها وعلى رأسها الإنسان ([101]). يتبين من هذا أن الإنسان عند داروين لم يخلق على هيئته وطبيعته البشرية، بل تدرج عبر مراحل طويلة من جرثومة ساذجة إلى حيوان صغير، ثم تدرج في المرحلة الحيوانية، حتى ارتقى إلى شبه إنسان ثم إنسان.

(ب): خطورة الاعتقاد بهذه النظرية على الأخلاق:

ترجع خطورة هذه النظرية فيما يتولد عن الإيمان بها من نزعات إلحادية وميول تحلّلية وجودية، تربط الإنسان بما على وجه الأرض من غرائز حيوانية وميول بهيمية وتقطع صلته بما سواها على اعتبار أن الإنسان إنما هو في الأصل حيوان ([102]).

نظرية التطور البيولوجية انتقلت لتكون فكرة فلسفية داعية إلى التطور المطلق في كل شيء، تطور لا غاية له ولا حدود، وانعكس ذلك على الدين والقيم والتقاليد، وساد الاعتقاد بأن كل عقيدة أو نظام أو خلق هو أفضل وأكمل من غيره، مادام تالياً له في الوجود الزمني.

استمدّ ماركس من نظرية داروين مادية الإنسان وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على (الغذاء والسكن والجنس) مهملاً بذلك جميع العوامل الروحية لديه.

استمدّ فرويد من نظرية داروين حيوانية الإنسان؛ فالإنسان عنده حيوان جنسي، لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب.

استمدّ دور كاييم من نظرية داروين حيوانية الإنسان وماديته وجمع بينهما بنظرية العقل الجمعي([103]).

تبين من النظريات العلمية التي تولدت عن نظرية التطور والارتقاء الأثر البالغ لهذه النظرية على انهيار القيم وإشاعة الفوضى الأخلاقية.

المطلب الثاني: أثر التطرف الفكري على زيادة جرائم القتل:

أولًا: صلة التطرف الفكري بالإرهاب:

([101]) باشميل محمد أحمد، الإسلام ونظرية داروين، دار الفتح، بيروت، ط3، 1404هـ، 1984م، ص21.

([102]) المرجع السابق ص 96.

([103]) السقاف، علوي بن عبد القادر، وآخرون، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، ج2، ص271

تمثل ظاهرة التطرف الفكري أهم الإشكالات التي تواجه عالمنا المعاصر، وزادت من تأثير تلك الظاهرة العلاقة المتينة بينها وبين الإرهاب وترويع الآمنين، والزّخم الذي تتناول به وسائل الإعلام الجرائم التي نتجت عن هذه الظاهرة، وأصبحت الجريمة الإرهابية أخطر ما تكون على الأفراد والمجتمعات.

إن التطرف الفكري يمثل أحد أعظم القضايا التي تؤرق المجتمع الدولي، ويشكل تهديداً خطيراً للتنمية والاستقرار، والفوضى الأخلاقية، فأصبح المصدر الرئيس للتفكك المجتمعي، والمنبع للعنف والإرهاب، ونتيجة لهذا التطرف الفكري؛ طفا على السطح ما يسمى بظاهرة الإرهاب الفكري، الذي تتبناه الجماعات المتعصبة، وتقترف أبشع الجرائم باسمه في القديم والحديث.

وصار التطرف الفكري لا ينفكّ عن الإرهاب في المنظور المعاصر، فالتطور النوعي الذي شهدته الكيانات الإرهابية في عدد من دول العالم أدى إلى رفع كفاءتها القتالية، وصار لها منهج منظم وقدرة على حشد الأتباع واستقطابهم، مستغلةً الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتحويلها إلى معارك حامية الوطيس، وغدا الحال شديد الخطورة على الأمن القومي في العالم كله. يقول الدكتور كمال أحمد عامر: فالتطرف الفكري والديني هو أحد المنابع التي تؤدي إلى الإرهاب، خاصة وأن (95%) من حالات الإرهاب التي اجتاحت العالم خلال السنوات الماضية كانت نتاجًا للتطرف، ومما لا شك فيه أن خطر التطرف يزداد حين ينتقل من طوره الفكري والاعتقادي والنظري إلى طور الممارسة والتطرف السلوكي، الذي يعبّر عن نفسه بأشكال مادية باستخدام وسائل العنف والقتل والإرهاب لتحقيق أهدافه.

ولقد ارتبط التطرف والإرهاب بالآونة الأخيرة بالإسلام خاصة مع ظهور الجماعات الدينية المتطرفة مثل: تنظيم داعش وغيره من التنظيمات من كافة أشكال التطرف الديني والسياسي، سواء في الفكر أو المعتقد أو السلوك. ([104]).

إن المتطرف يحاول خلق المبررات لما يفعل من جرائم وإرهاب وترويع للآمنين، مبررات تخضع لمنهجه المنحرف وفكره المغلوط، وتاريخ البشرية في القديم وفي الحديث خير شاهد على هذا، في المجتمعات الإسلامية، وفي المجتمعات غير الإسلامية؛ فالتطرف ليس وليد دين معين، ولا بيئة معينة، بل هو سلوك منحرف يوجد في أي بيئة، وإن كانت في رخاء من العيش كما يوجد في البيئات الفقيرة، ويوجد عند المسلمين وعند غيرهم، وأدلّل على ذلك بذكر مشاهد للتطرف الفكري وأثرها البين على ازدياد معدل الجريمة.

ثانياً: مشاهد من أثر التطرف الفكري على زيادة جرائم القتل

المشهد الأول: في الأمة الإسلامية:

شهد التاريخ الإسلامي منذ زمن الخلفاء الراشدين عدة مواقف للتطرف الفكري من بعض الموتورين في الأقطار الإسلامية، وقد بلغ تطرفهم ذروته بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكذلك مقتل الخليفة الرابع على رضي الله عنه على يد الخوارج، ومازالت الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر تعاني الكثير من الأفكار المتطرفة التي نتج عنها الكثير من جرائم القتل وترويع الآمنين.

([104]) د. عامر، كمال أحمد، التحالف الإسلامي العسكري لمكافحة الإرهاب، بتاريخ 14/ 2/ 2018م.

وقد آثرت ذكر مشهد من مشاهد القتل والإرهاب في بدايات التاريخ الإسلامي، لبيان أن التطرف الفكري والإرهاب الفكري، ليس وليد العصر الحديث، بل جذوره ممتدة في التاريخ الإسلامي، وما تفعله الكيانات والمنظمات الإرهابية في هذا العصر إلا اقتباس من فكر الخوارج الضال.

مقتل عبد الله بن خباب بن الأرت بيد الخوارج – الفئة الضالة– وفي مقتله ما يبرهن على التردي الأخلاقي عند المتطرفين، وقسوتهم على خصومهم.

روى أحمد بسنده عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال: دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب ذعرا يجر رداءه فقالوا: لم ترع قال: والله لقد رعتموني. قالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: نعم. قال: فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه؟ قال: نعم سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي. قال: فإن أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول. قال: أيوب ولا أعلمه إلا قال ولا تكن عبد الله القاتل. قالوا: أ أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قال: فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما أبذقر ([105]) وبقروا أم ولده عما في بطنها ([106]).

ولا زالت الأمة في واقعها المعاصر تنزف الدماء في كثير من أراضيها من جراء المتطرفين الذين فسروا الدين بهواهم، وأخضعوا النصوص المقدسة لأفكارهم المريضة، فكم من التفجيرات التي راح ضحيتها الأبرياء؟ وكم من الأبرياء الذين قتلوا غدراً لأنهم خالفوا في مسألة اجتهادية، وحقبة التسعينيات من القرن العشرين شاهدة على ذلك، وكذلك جرائم داعش في هذه الألفية من أبين الأمثلة على ذلك، والله المستعان.

المشهد الثاني: جرائم التطرف الفكري في دول غير إسلامية:

تعيش الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية واقعاً مؤلماً، تفنّن غير المسلمين فيه من التنكيل بالمسلمين، وجرائم الصين ضد مسلمي الإيجور من أبرز الأدلة على ذلك؛ ففي تحقيق بريطاني، هناك أدلة عن وجود سلوك بتفويض من الدولة يظهر نزوعاً إلى تدمير الأقلية المسلمة واسعة الانتشار في شمال غربي الصين. ويشمل ذلك إلحاق أذى متعمد بالإيغور عبر الاعتقالات وإجراءات منع النساء من ولادة مواليد جدد، (ومن ضمنها الإعقام القسري للنساء والإجهاض)، ونقل أطفال الإيغور قسراً بعيدا عن مجتمعاتهم. ويضيف التحقيق "بناءً على هذه الأدلة التي رأيناها، يخلص هذا الرأي إلى أن ثمّ "قضية ذات مصداقية كبيرة" قانونيا في أن الأفعال

([105]) قوله: "ما ابذقر" قال السندي: بموحدة وذال معجمة وقاف وتشديد راء، مثل اقشعر، في "القاموس": ما ابذقر الدم في الماء، أي: لم يتفرق أجزاؤه فيمتزج به، ولكن مر فيه مجتمعا متميزا عنه. ينظر: تحقيق شعيب الأرناؤوط، وآخرون، على مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة الرسالة، 2001م، ج34، ص543.

([106]) الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد حنبل، باب حديث عبد الله بن خباب، ح وقم: (21064)، الرسالة، ط1، 2001م، ج34، ص543، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار هجر، ج6، ص122.

التي قامت بها الحكومة الصينية ضد شعب الإيغور في منطقة شينجيانغ ذات الحكم الذاتي للإيغور، ترقى إلى أن تكون جرائم ضد الإنسانية وجريمة إبادة" (107).

وجرائم النصارى ضد المسلمين في أفريقيا الوسطى، والهندوس والبوذيين في الهند ضد المسلمين، لا تقل فظاعة ووحشية عن جرائم الصين ضد الإيغور، ولولا خشية الإطالة لتعرضت لشيء منها، ولكنني سأذكر نموذجاً فردياً للتطرف الفكري في دولة غير مسلمة، للوقوف على أثر هذه الجريمة.

مذبحة مسجدي مدينة كرايست تشيرتش، بنيوزيلندا:

في يوم الجمعة 15/ 3/ 2019، اقتحم إرهابي أسترالي يدعى، برينتون هاريسون تارانت، مسجدين خلال صلاة الجمعة، ثم شرع في إطلاق النار بشكل عشوائي على المصلين، مخلفا مقتل (49) شخصاً وإصابة العشرات، وقالت رئيسة وزراء نيوزيلندا، جاسيندا أرديرن، إن المهاجم كان ينوي مواصلة هجماته، لو بقي حرّاً طليقاً ولم تقبض عليه الشرطة (108).

تبين من ذلك الصلة الوثيقة بين التطرف الفكري، والإرهاب والقتل، ففي غياب الفكر الرشيد، وعند الجنوح عن الاعتدال ينعدم التسامح وتسود الكراهية والأحقاد، ومن ثم تسفك الدماء وتعم الفوضى في كل المجالات، ومن بينها المجال الأخلاقي.

المطلب الثالث: أثر التطرف الفكري على انتشار الغلظة والفظاظة

الفرع الأول: دعوة الإسلام إلى التسامح

يعدّ التّسامح من أبرز الأخلاق الإسلاميّة، ويقصد به الرفق في التعامل مع الغير، ومقابلة السيئة بالتي هي أحسن.

أولًا: منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التسامح: جاء الخطاب القرآني داعيًا إلى التسامح ومرغبًا فيه، ويمكن الوقوف على الأسلوب القرآني في الدعوة إليه من خلال الآتي:

1-الأمر الإلهي بالعفو والإعراض عن الجاهلين قال تعالى: ﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجاهِلينَ﴾ [الأعراف: 199].

2-التسامح مع أهل الكتاب في بيان ربانية مصادرهم قبل أن تمتد إليها يد التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

3-إقرار الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين لاتّحادهم في الرسالة، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وعيسى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:136].

4-نهى المسلمين عن إكراه الغير للدخول في الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:256].

5-إباحة طعام أهل الكتاب، وحل الزواج من نسائهم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة:5].

عربي، بتاريخ BBC NEWS([107]) لانديل جيمس، الإيغور: ارتكاب الصين لجريمة إبادة ضدهم "قضية ذات مصداقية" قانونية، 2012/2/9م.

(108) جريدة العربية سكاي نيوز، أبو ظبي، تاريخ 2019/3/16.

6-الجدال بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46].
7-الإنصاف مع المخالفين، وذكر مناقبهم إن وجدت، قال تعالى: ﴿وَمِمَّن خَلَقنا أُمَّةٌ يَهدونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلونَ﴾ [الأعراف: 181].
8-مراعاة العدل مع المخالفين، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:105].

ثانيًا: منهج السنة النبوية في الدعوة إلى التسامح:

جاء الهدي النبوي داعيًا إلى التسامح ومرغبًا فيه، ويمكن الوقوف على المنهج النبوي في الدعوة إليه من خلال الآتي:

1-الترغيب في التسامح، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسمح يسمح لك" ([109]).

2-عن أنس بن مالك، قال: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم رفع إليه شيء فيه قصاص، إلا أمر فيه بالعفو» ([110]).

3-عن عقبة بن عامر، قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: " يا عقبة بن عامر، صِلْ من قطعك، واعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك" ([111]).

4-عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «رحم الله رجلا سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» ([112]).

5-عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار، على كل قريب هين سهل» ([113]).

6-عن أنس بن مالك قال: " كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة، حتى رأيت صفح -أو صفحة -عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، فقال: يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء" ([114]).

7-بيان المساواة بين الناس بغض النظر عن أعراقهم وألوانهم، فعن أبي نضرة، حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال:" يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي

([109]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، ح رقم: (2233)، ج1، ص 248، صححه الألباني، صحيح الجامع، حديث رقم: (982).
([110]) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم، (4497)، ج4، ص 169
([111]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عقبة بن عامر، ح رقم: (17452)، ج28، ص 654، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم: (2861).
([112]) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، ح رقم: (2076)، ج3، ص 57.
([113]) سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ح رقم: (2488)، ج4، ص 654.
([114]) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التبسم والضحك، ح رقم: (6088)، ج8، ص 28.

على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت"، قالوا: بلغ رسول الله، ثم قال:" أي يوم هذا؟"، قالوا: يوم حرام، ثم قال: " ي شهر هذا؟ "، قالوا: شهر حرام، قال: ثم قال:" أي بلد هذا؟، قالوا بلد حرام، قال:" فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم" قال: ولا أدري، قال: أو أعراضكم، أم لا. كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا أبلغت"، قالوا: بلغ رسول الله، قال: "ليبلغ الشاهد الغائب([115]).

8-نبذ التّمييز العنصريّ، وعَدّه من فعل الجاهلية، فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلّة، وعلى غلامه حلّة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابَبْت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» ([116]).

الفرع الثالث: أثر التطرف الفكري على انتشار الغلظة والفظاظة:

أولًا: أسباب الغلظة والفظاظة عند المتطرف: من السمات البارزة في الشخصية المتطرفة فكريًا، الانغلاق والجمود والتحجر الفكري وعدم المرونة في التعامل مع المسائل التي تقبل أكثر من رأي، ومن ثمّ تلجأ للغلظة والفظاظة مع المخالف، وسبب الغلظة والفظاظة عند المتطرف مردّها إلى أمرين، هما:

1-غياب الوعي بمقاصد التشريع الإلهي عنده، فتشريع الله للعباد مبني على التيسير والرفق.

2-التعصب للرأي والإعجاب بالنفس، فالمتطرف متعصب لرأيه، معجب بعمله، يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8].

ثانيًا: أثر التطرف الفكري على انتشار الغلظة والفظاظة:

من يتأمل أول مسألة عقدية وقع فيها الافتراق بين المسلمين يدرك جليًا الآثار المترتبة على التطرف الفكري، وصلة ذلك بانتشار الغلظة والفظاظة، وكانت مسألة الأسماء والأحكام هي أول المسائل التي وقع فيها افتراق بين المسلمين.

ويقصد بالأسماء: ما يسمى العبد به من الأسماء الدينية في الدنيا، كمؤمن، كافر، منافق، فاسق، عاصٍ.

والأحكام: ما يُحكم عليه به في الآخرة، كدخول الجنة أو الخلود في النار أو عدم الخلود فيها. وبالمقارنة بين عقيدة أهل السنة والجماعة في المسألة وبين عقيدة الفرق الوعيدية ([117]) فيها يتبين بوضوح أثر التطرف الفكري في زيادة الغلظة والفظاظة.

([115]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ح رقم: (23489)، ج38، ص 474، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح رقم: (2700).

([116]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ح رقم: (30)، ج1، ص 15، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، ح رقم: (1661)، ج3، ص 1282.

([117]) تطلق "الوعيدية" غالباً على من قال بنفاذ وعيد الله تعالى، ومن قال: إن مرتكب الكبيرة كافر، أو في منزلة بين المنزلتين هذا في الدنيا، أما في الآخرة فهو خالد مُخلّد في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، وهذا القول حمل لواءه الخوارج والمعتزلة. ينظر: مجموع الفتاوى، ج3، ص374، بتصرف يسير.

* عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يتحقق بثلاثة أمور: (قول باللسان–اعتقاد بالقلب–عمل بالجوارح والأركان)، مع زيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية، وهذا الاعتقاد مستفاد من استقراء القرآن الكريم والسنة النبوية، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لهما، ودلالة لغة العرب لألفاظهما.

وبناء على ما تقدم فإن العبد عند أهل السنة اسمه في الدنيا مؤمن ما لم يكن صاحب كبيرة مُفسِّقة أو مُكفِّرة، فإن كانت له كبيرة مُفسقة فيسمونه مؤمنا ناقص الإيمان بحسب معصيته، أو مؤمنا فاسقا، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه بكبيرته أو غفر له برحمته، وإن عذبه بها فإنه لا يخلد في نار جهنم لأنه مسلم معه أصل الإيمان.

* عقيدة فرق الوعيدية في المسألة:

ترى الخوارج، أن مرتكب الكبيرة اسمه في الدنيا كافر، وعليه فدمه وماله ليسا معصومين. وأما حكمه في الآخرة فهو مخلد في النار.

وقالت المعتزلة: مرتكب الكبيرة في الدنيا يسمى فاسقًا ليس بمؤمن ولا كافرًا فهو في منزلة بين **المنزلتين، وحكمه في الآخرة مخلد في النار.**

النتائج المترتبة على التطرف في مسألة الأسماء والأحكام

لما قالت الخوارج إن مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا، مخلد في النار في الآخرة، ترتب على ذلك استحلال دمه، واسترقاقه، وسلب ماله، وتطليق زوجته منه، وترك الصلاة عليه عند موته، ودفنه مع غير المسلمين.

ووافقهم المعتزلة في حكم يوم القيامة فقط، وكلاهما ضيق على الناس على المسلمين العصاة، فضيقوا واسعًا وحجروا فضل الله الواسع على العباد.

وقد تأثر بفكر الخوارج في العصر الحديث جماعة التكفير والهجرة في مصر، وحسبي أن أشير إلى آثار تلك الفرقة في الناس:

١–اعتزال أفرادها المجتمع المصري لأنه كافر؛ ولأنه راضٍ بالكفر.

٢– تصفية وقتل كل من خالفهم أو رد عليهم –ومنهم ذهبي مصر– لأن من خالفهم فهو كافر، حيث قامت عليه الحجة فلم يقتنع بها، وتجرى عليه أحكام المرتد.

٣– عندهم كل من لم يحكم بغير ما أنزل الله يكون كافرا كفرا مخرجا عن الملة جملة، دون التفصيل، كما هي طريقة المحققين من أهل السنة في وجوب التفصيل.

٤– التكفير بالمعاصي والحكم على صاحبها الخلود بها في نار جهنم.

وهذا من أعظم المسوغات لحصول التكفير والتفجير والقتل واستباحة الدماء والأعراض والأموال والسعي في الأرض فساداً، وتخويف الآمنين، وإشاعة الفوضى والخوف بين المجتمعات الآمنة.

٥ –تشويه صورة سماحة الإسلام بين الناس– ووافق ذلك لمزهم بالتطرف والإرهاب، التشدد وجماعة التكفير والهجرة – وتفرق المسلمين، وبثّ الفوضى والخوف وعدم الأمن بينهم، وهذا مشاهد في أماكن شتّى عند أضراب هؤلاء، ومع الأسف الشديد فإنهم يعتقدون أن تصرفهم هذا ديانةٌ لله وجهادٌ، وما هو إلا جهلٌ بالعلم، والدين ومقاصده! ([118]).

([118]) الشبل، علي بن عبد العزيز، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص62.

المبحث الرابع: عناية القرآن والسنة بالسمو الأخلاقي

المطلب الأول: عناية القرآن الكريم بالسمو الأخلاقي:

عني القرآن الكريم عناية كبيرة بالسمو الأخلاقي للإنسان والارتقاء به، ليتمكن من القيام بواجب الاستخلاف في الأرض؛ فالعنصر الأخلاقي أعظم ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات في الأرض، وللقرآن الكريم منهج متفرد في تعزيز الأخلاق والسمو بها، فجعلها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقائد والعبادات والمعاملات بشتى أنواعها، إضافة إلى ارتباطها بمقاصد الشريعة عموماً وبحفظ الضرورات الخمس خصوصًا. ويمكن إبراز عناية القرآن الكريم بالسمو الأخلاقي في الآتي:

1-ربط الأخلاق بالعقيدة، فالأخلاق للعقيدة كالثمر للشجرة، والسلوك الإنساني ثمرة لما يحمله الإنسان من معتقد، فإذا صحّ معتقده استقام خلقه، وإذا فسد معتقده ساء خلقه على الأغلب، ومن الآيات القرآنية التي تربط بين الأخلاق والعقيدة قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

2-ربط الأخلاق بالعبادات، تُعدّ العبادات التي يؤديها المسلم تمارين منتظمة تجعله يحيا بأخلاق حميدة، ويظل متحليًا بها، مهما تغيرت حياته، ورمته بغير ما يُحِبّ، ومن الآيات التي تبرز ارتباط الأخلاق بالعبادات قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: 45].

وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103].

وقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197].

3-ربط الأخلاق بالمعاملات بشتى أنواعها، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:29]، ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:22-23]، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:264.262]، ﴿وَآتِ ذَا القربى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء:26-27]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:29].

4-كثرة الآيات القرآنيَّة المتعلِّقة بقضية الأخلاق، أمرًا بالحسن منها، ومدحًا للمتَّصفين بها، ونهيًا عن السيء منها، وذم المتَّصفين بها، وهذه جملة من الآيات التي ترغب في خلق معين، منها:

* آيات قرآنية تحثُّ على الصدق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 33]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة: 119].

* آيات قرآنية تحث على التواضع منها، قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: 88]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: 63]، ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83]، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]، ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُون فأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:39- 40].

* آيات قرآنية تحث على العفو منها، قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[الحجر: 85]، ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: 37]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 40]، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

* آيات قرآنية تحث على الإحسان منها، قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26]، ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112]، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: 134]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾،[الكهف: 30]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.[الذاريات: 15-16].

* آيات قرآنية تحثُّ على الصبر منها، قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[البقرة: 153]، ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155- 157]، ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. [آل عمران: 186]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

* آيات قرآنية تحثُّ على التعاون منها، قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:2]، ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:95].

* آيات قرآنية تحثُّ على الوفاء بالعهد منها، قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: 32].

* آيات قرآنية تحثُّ على العدل منها، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: 152]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8].

المطلب الثاني: عناية السنة النبوية بالسمو الأخلاقي:

اعتَنَتْ السنة النبوية بالسمو الأخلاقي عنايةً بالغة، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال الجوانب الآتية:

1-ربط الأخلاق بالعقيدة، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً» ([119]).

2-ربط الأخلاق بالعبادة، «من ذلك، ما جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يَدَعْ قولَ الزّور والعَمَل به، فليس لله حاجةٌ أن يدَعَ طعامه وشرابه» ([120]).

3-بيان الآثار المترتبة على حسن الخلق، فقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك، منها:

(أ): حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» ([121]).

وفي رواية الترمذي: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة» ([122]).

(ب): حسن الخلق من دلائل كمال الإيمان، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» ([123]).

(ج): الأخلاق ترتقي بصاحبها حتى يبلغ منزلة الصائم القائم، عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله عز وجل، لكرم ضريبته، وحسن خلقه» ([124]).

([119]) مسند الإمام أحمد، حديث السيدة عائشة رضى الله عنها، ح رقم: (24721)، ج6، ص99، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم: (1590)، ج4، ص120.

([120]) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، ح رقم: (1903)، ج3، ص33.

([121]) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، دار الكتاب العربي، بيروت، ح رقم: (4801)، ج 4، ص400.

([122]) سنن الترمذي، باب ما جاء في حسن الخلق، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395 هـ، 1975م، ح رقم:(2003)، ج4، ص363، والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح رقم: (876) ج2، ص535.

([123]) سبق تخريجه ص 20.

(ج): حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة، فعن أبي هريرة قال: سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسُئِل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج» ([125]).

([124]) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح رقم: (7052)، ج11، ص628، صحيح ابن حبان، ذكر رجاء نوال المرء بحسن الخلق درجة القائم ليله الصائم نهاره، ح رقم: (480)، ج2، ص229، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم: (522)، ج2، ص54.

([125]) سنن الترمذي، باب ما جاء في حسن الخلق، ح رقم: (2004)، ج3، ص431، صحيح ابن حبان، باب ذكر البيان بأن من أكثر ما يدخل الناس الجنة التقى وحسن الخلق، ح رقم: (476)، ج2، ص224، والحديث حسنه الألباني، في السلسلة الصحيحة، ح رقم: (977)، ج2، ص669.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد هذا التطواف في ثنايا هذا البحث بين تمهيده ومباحثه ومطالبه وفروعه، بداية من بيان مفهوم التطرف، وبيان بعض المصطلحات المرادفة، والتعريف بالأخلاق، والمقصود بالانفلات الأخلاقي، ثم جذور التطرف، ومنهج القرآن والسنة في التحذير منه، وأثر التطرف الفكري على الانفلات الأخلاقي، وأخيرًا عناية القرآن والسنة بالسمو الأخلاقي، تحصّلت هذه النتائج مشمولةً بالتوصيات وجوانب الاستفادة من البحث، ويمكن عرضها كالآتي:

أولاً: نتائج البحث:

1-إن التطرف والغلو والتشدد مصطلحات يراد بها مجاوزة الاعتدال، والتطرف عام، والغلو أخص منه، وكل هذه المصطلحات، مذمومة في الشريعة الإسلامية.

2-جذور التطرف قديمة في البشرية، ومن الظلم حصرها في دين معين وبيئة معينة، فقد وجد التطرف في قوم نوح عند اليهود والنصارى والعرب قبل الإسلام، كما وجد في المجتمعات الغربية الحديثة، ووجد عند المسلمين في العصور الأولى من رسالة الإسلام، وتمثل ذلك في مقولات الفرق المنتسبة للإسلام كالخوارج، والرافضة، والقدرية، والجهمية، والمعتزلة، وسائر الفرق، ووجد في العصر الحديث بإحياء عقائد الفرق القديمة من جهة، ومن جهة أخرى بالتأثر من المذاهب الفكرية المعاصرة التي نشأت في الغرب، ثم تسلّلت إلى المسلمين.

3-للتطرف الفكري صِلة وثيقة بالإرهاب والعنف والتردّي الأخلاقي.

4-عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة بالسمو الأخلاقي.

ثانيًا: توصيات البحث:

أولا :التركيز على رفض فكرة إلصاق التطرف بالإسلام والمسلمين، لأن التطرف جذوره قديمة فقد وجد قبل ظهور الإسلام، كما وجد في العصر الحديث عند المسلمين وعند الغرب، عند أتباع كل الأديان، وعند من لا دين لهم.

2-التركيز على عقد الندوات والمحاضرات في الجامعات والمدارس والمساجد التي تُعنى ببيان خطر التطرف الفكري، وكيفية مواجهته، وبيان عناية الدين الإسلامي بتحصين أتباعه من التطرف.

3-ضرورة تكاثف جميع فئات المجتمع على نبذ التطرف والتنديد به والتحذير منه، وبيان أن الانفلات الأخلاقي لا يقلّ خطرًا عن الانفلات الأمني.

ثالثًا: الاستفادة من البحث:

1-التربية الإيجابية على التكاثف من كل فئات المجتمع للوقوف في وجه التطرف الفكري والقائمين عليه من أفراد ومؤسسات وجمعيات، فالدولة بجميع مؤسساتها عليها مسؤولية كشف التطرف الفكري وتعريته ومواجهته، وعلى العلماء والمصلحين توعية الناس وتثقيفهم وتوضيح الطريق الموصلة إلى الله تعالى بالمنهج والطريقة التي شرعها الله ورسوله، والبعد عن الإحداث في الدين والبدع فيه، وبيان ذم المنهج الإسلامي للمعرضين عن منهج الله ورسوله.

2-العناية بالجانب الأخلاقي في التربية، وضرورة تهيئة البيئة النقية التي تترعرع فيها الأخلاق الحميدة، ففي غياب الأخلاق الخسران المبين، وفي تزكيتها الفوز العظيم، لذا كانت رسالة الإسلام رسالة أخلاقية، وما أكثر الآيات القرآنية التي جاءت تُربّي على الأخلاق الكريمة وتُحذّر من الأخلاق الذميمة، وكذلك حفلت السنة النبوية بكثير من الأحاديث التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وتحذّر من سفاسفها، ولمّا كانت الأخلاق بهذه المنزلة كان على الأمة، حكومات وأفراد، حماية الأخلاق، ومواجهة ما يؤثر عليها، ولا شك أن التطرف الفكري هو أحد معاول الهدم، بل هو أعتاها على الإطلاق ضررًا على الجانب الأخلاقي.

3-يمكن للقائمين على العملية التعليمية إضافة محتوى تعليمي في جميع المراحل الدراسية عن الأفكار المتطرفة في القديم والحديث، مع تفنيدها وإبطال حججها، ورد باطلها باستخدام المنهج العاطفي والمنهج العقلي، وكذلك اغتنام الطابور الصباحي في المدارس بإعطاء نبذه مختصرة عن فكرة متطرفة، وبيان انحرافها عن المنهج الحق، مع ذكر ضررها والآثار التي يمكن أن تترتب حال فشو هذه الفكرة المتطرفة.

المراجع والمصادر

1-أثر التطرف الفكري على الفرد والمجتمع، مولاي، ناجم، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر، العدد الخامس، 2017م.

2-أثر التطرف الفكري في هدم المقاصد الشرعية، فرج، سعيد بن أحمد صالح، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، مصر، العدد 34، 2018م.

3-الإسلام وظاهرة التطرف الديني، هواري، حمادي، جامعة مصطفى اسطمبولي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد العاشر، 2015م.

4-الإسلام ونظرية داروين، باشميل محمد أحمد، دار الفتح، بيروت، ط3، 1404هـ، 1984م.

5-الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، دار هجر، مصر، ط1، 1433هـ، 2012م.

6-اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ط2، 1369هـ.

7-تاج العروس، الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية. مصر، ط1، 1965م.

8-التحالف الإسلامي العسكري لمكافحة الإرهاب، عامر، كمال أحمد، بتاريخ 14/ 2/ 2018م.

9-التطرف: أنواعه وآثاره في المجتمع، وطرق علاجه، كرار، زينب محمد إبراهيم، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة الإسلامية، العدد 97، 2020م.

10-التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، لمحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م.

11-تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964 م.

12-تهذيب الأخلاق، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الصحابة للتراث، ط 1، 1410 هـ، 1989 م.

13-جريدة العربية سكاي نيوز، أبو طبي، تاريخ 2019/3/16.

14-الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، الغنية عن الكلام وأهله، دار المنهاج، مصر، د ت، د ط.

15-دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، القفاري، ناصر عبد الله، دار العقيدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1442هـ.

16-السقاف، محمد علوي، ومجموعة من الباحثين، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

17سنن ابن ماجة، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

18-سنن ابي داود، السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، دار الكتاب العربي . بيروت، د ت، د ط.

19-سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.

20-الشبل، علي بن عبد العزيز، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

21-شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي، تحقيق: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط2، 1430 هـ 2009 م.

22-صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1987 م.

23-صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، محمد بن ناصر، المكتب الإسلامي، لبنان، ط3، 1888م.

24-صحيح مسلم، القشيري مسلم بن حجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، د ط.

25-العنف والتطرف بين التفكير والتكفير، الدرويش، عيد، وزارة الثقافة، سوريا، العدد: 623، 2015م.

26-الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ، 1987م.

27-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

28-القواعد الأصولية والمقاصدية المؤثرة في علاج التطرف والإرهاب، الجزار، سعد زينهم، 2021م.

29-الكافي في فقه أهل المدينة، القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، تحقيق: محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1400هـ/1980م.

30-كانت أو الفلسفة النقدية، إبراهيم زكريا، دار مصر للطباعة، ط1، 2020م.

31-الكنز المرصود في قواعد التلمود، لوران، روهلنج إشيل، ترجمة: نصر الله، يوسف مطبعة المعارف، مصر ط1، 1899م.

32-لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

33-المجمع الفقهي للإرهاب، في دورته المنعقدة بمكة المكرمة خلال الفترة من 26،1422/10/21هـ، الموافق 10،2002/1/5م.

34-مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، مصر، ط1، 1416 هـ، 1995 م.

35-المسودة في أصول الفقه، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، ط1، 1384 هـ، 1964م.

36-المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد، وآخرون، دار الدعوة، القاهرة، ط1، 1980م.

37-المعلم بفوائد مسلم، المازري، أبو عبد الله محمد بن علي، المحقق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، ط2، 1988 م.

38-المفردات في غريب القرآن، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.

39-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المكتبة العصرية، القاهرة، ط1، 1426هـ 2005،م.

40-مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط1، 1399هـ، 1979م.

41-النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها، الأسمري، حسن بن محمد حسن، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1433 هـ، 2012 م.

العدل وآثاره في ترسيخ مفهوم المواطنة في ضوء الحديث النبوي الشريف

أ.د رائد محمد عبد العبيدي

أستاذ الحديث وعلومه للدراسات العليا في الجامعة العراقية

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث

ملخص البحث

تحقيق العدل يعد علامة الايمان الصادق بوحدانية الله تعالى، وتعظيم وامتثال أوامره؛ لأجل هذا أمر الإسلام إقامة العدل حتى مع اصحاب الخصومة والأعداء، قال تعالى: (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى).

وأمر الإسلام على تطبيقه في جميع الأمور سواء أكان بالقول أم بالعمل، وسواء أكانت العلاقة مع قريب أو بعيد، أوصديق أو عدو، أو رئيس أو مرؤوس، ومن أجل تحقيق ذلك وضع الإسلام القواعد التي تفرض العدل وتحرم الظلم بمختلف صوره وأشكاله، وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقد ذكرنا في هذا البحث مجموعة من الأحاديث النبوية، والتي تعد من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يكلف بالرئاسة، ولافراد الأمة، وكيف سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لإرساء قواعد العدالة بكافة صورها، ابتداءً من مراقبة النفس ووصولًا إلى احتساب ثروة المكلف قبل التكليف؛ ليسأل عن الزيادة إن كان هنالك زيادة.

وقد جاء هذا البحث بمبحثين، المبحث الأول : مفهوم العدل، فقد أوضحنا فيه معنى العدالة من خلال بيان مفهومها في ضوء الشريعة الإسلامية، والمبحث الثاني: أنماط عدالة رئيس الدولة وصورها، ويختصر في خمس مسائل مهمة :

الأولى : أجر وجزاء الرئيس العادل.

الثانية: تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من غش الرئيس لرعيته وعدم عدله.

الثالثة: التحذير من الظلم.

الرابعة: المساواة بين الناس، فالأحكام الشرعية تطبق على كافة الناس شريفهم ووضيعهم.

الخامسة: التطبيق العملي لتحقيق العدل بكافة صوره، ويتلخص بالآتي:

1- محاسبة النفس وعدم الإغترار بالمنصب.

2- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

3- محاسبة الولاة.

4- السؤال والتثبت عن عدالة المكلف بوظيفة قضاء أو إمارة.

5- تعيين مراقب على عمل الولاة

6- الجولات التفقدية

ومن أهم النتائج التي توصلنا اليه من خلال هذا البحث أن دولة الإسلام هي دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية، تتصف بصفات العدالة، وتمنع الظلم عن رعيتها، وتحفظ كرامة ابنائها، وتعصم دماءهم، وممتلكاتهم، ومعتقداتهم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم وخطاهم إلى يوم الدين.

وبعد، فهنالك سؤال يطرح، وكثيرًا ما يطرق السمع بين الفَيْنَةِ والأخرى، هل الإسلام دولة دينية أم مدنية؟ والدولة التي أسسها وأقام أركانها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، كانت دولة دينية أم مدنية؟ وهل حققت العدالة بين مواطنيها من مسلمين وغير مسلمين؟ ويجيب المنضرون على حسب فهمهم ونظرتهم للدولة الدينية التي قامت في اوربا المسيحية عندما يأمر البابا بأمر فيعتبر أمره هو حكم الله تعالى، ومن خالفه يعد كافرًا، وبعد ذلك أي بعد الثورة على الكنيسة، أصبحت الدولة خارج سلطة الكنيسة وبدء عصر جديد في أوربا، الا وهو عصر المدنية فنشأ مصطلح الدولة المدنية التي تحكم بقوانين وانظمة خارج الكنيسة.

وهذا السؤال بهذه الطريقة لا يقبل، وكذا الإجابة حسب هذا المفهوم، لماذا؟ لأن الإسلام عندنا أصل، ولا يمكن ان يقاس الإسلام بميزان الغرب، فيجب ان يكون السؤال، هل يقبل الإسلام الدولة المدنية والدينية، حينئذ تكون الإجابة، بما وافق الشرع قبلناه، وما خالف الشرع رفضناه، ولهذا دولة الإسلام هي دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية، تتصف بصفات العدالة والمساواة وتمنع الظلم عن رعيتها، وتحفظ كرامة ابنائها من مسلمين وغير المسلمين، وتعصم دماءهم، وممتلكاتهم.

ومن المعلوم ان المواطن يزداد شعوره بالمواطنة، وحب الوطن، حينما تتحقق قيم العدالة والمساواة مع ابناء جلدته التي يرتبط معهم بالعيش في هذا الوطن، ويكونون سواسية أمام القانون، لا فرق بين غني وفقير، ولا بين شريف وضعيف، ولذلك أكد ديننا الحنيف على العدالة بين ابناء الوطن بكل معانيها، وليس عنا ببعيد المخزومية التي سرقت، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: (أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ؟، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله؟، ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)، هذه المرأة جاء في بعض الروايات: أنها كانت تستعير المتاع، وتجحده، وكانت امرأة شريفة، قرشية من بني مخزوم، فهؤلاء من قريش كرهوا أن تقطع يدها، أهمَّهم شأنها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟، يعني: من يشفع لها؟، "فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ، حِبُّه أي أنه محبوب

رسول الله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ كان يحبه، "فكلمه أسامة"، بمعنى أنهم كلموا أسامة وطلبوا منه أن يشفع، فكلم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حد من حدود الله؟، ثم قام فاختطب، يعني: قام فخطب)[126]، وقول الصديق رضي الله عنه عندما تولى الخلافة : (.. والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى أرجعَ إليه حقَّه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذَ الحقَّ منه إن شاء الله..)[127].

وقد عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه إلى مالك بن الأشتر حينما ولاه على مصر بقوله: (وأشعر قلبك بالرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليه سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق)[128].

فما ذكر انفًا غيض من فيض، مما عليه ديننا الإسلامي من عدالة بين رعيته، وسأقوم في هذا البحث ببيان مفهوم العدالة بين المواطنين وآثارها في ترسيخ مفهوم المواطنة، وذلك من خلال النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح.

وقد اقتضت متطلبات البحث ان يقسم على مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي :

المبحث الأول : مفهوم العدل.

المبحث الثاني : أنماط عدالة رئيس الدولة وصورها.

الخاتمة : وقد تكلمت فيها عن أهم النتائج التي توصلت اليها.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

---

(1) أخرجه البخاري : 3/ 1282(3288).

127() البداية والنهاية، لابن كثير: 8/ 89.

128() مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ): 7/3.

المبحث الأول

مفهوم العدل

العدلُ: هو القصد في الأمور، والأنصاف والمساواة بين الناس، وهو مطلب الإنسانية في كل زمان ومكان.

والتزام الحاكم بالعدل في إدارة شؤون الناس، هو الأساس الذي لا قيام لدولة بدونه ولا بقاء لأمة بفقده[129].

ومن خلال تحقيق العدل بين المواطنين تتحقق كرامة الإنسان في الوطن الذي يعيش فيه، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)، والتزام العدل يعد المعيار الصادق على الإيمان بوحدانية الله والاستسلام لارادته سبحانه وتعالى، وبما ان الشرك يمثل أعظم أنواع الظلم، قال تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم)، فلاشك أن تحقيق العدل يعد علامة الايمان الصادق بوحدانية الله تعالى وتعظيم وامتثال أوامره؛ لأجل هذا أمر الإسلام إقامة العدل حتى مع اصحاب الخصومة والاعداء، قال تعالى (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى).

والإسلام الذي جاء بالعدل وقام عليه حرص على تطبيقه في جميع الأمور سواء أكان بالقول أم بالعمل، وسواء أكانت العلاقة مع قريب أو بعيد، أوصديق أو عدو، أو رئيس أو مرؤوس، ومن أجل تحقيق ذلك وضع الإسلام القواعد التي تفرض العدل وتحرم الظلم بمختلف صوره وأشكاله، وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[130].

والعدل هو الميزان الذي يزن به الإنسان أموره فيعطى كل ذي حق حقه، فإذا مآل أو حاد عن صراط الله المستقيم فقد وقع في الظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة.

---

(1) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة: 233.

130 () سورة النحل ، آية : 90 .

وان تحقيق العدل من أهم واجبات رئيس الدولة؛ لكونه المسؤول الاول عن تحقيق العدل بين مواطنيه وترسيخ مفهوم المواطنة، ولم يجعل الإسلام الإلتزام بهذا الأمر خاصًا برئيس الدولة فحسب، بل أمر كل إنسان بالعدل في جميع أموره التي يزاولها سواء في ذلك ما يتصل بالأسرة أو بالجار أو بغير ذلك.

وقد تطابق على وجوب العدل آيات الكتاب الحكيم وأحاديث رسول الله ﷺ.

أما الآيات الدالة على وجوب العدل فكثيرة منها:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[131].

2- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[132].

3- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[133].

وأوجب الله سبحانه وتعالى العدل حتى مع الأعداء، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ﴾[134]، وأمر نبيه داود عليه السلام بالحكم بالعدل ونهاه عن اتباع الهوى مع أنه نبي معصوم، فقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[135].

أما الأحاديث النبوية الدّالة على وجوب العدل فكثيرة، منها:

---

[131] سورة النحل، الآية :90.

[132] سورة الأنعام، جزء من آية : 152.

[133] سورة النساء ، آية : 58.

[134] سورة المائدة ، جزء من آية : 8 .

[135] سورة ص ، آية ، 26 .

1- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الامام العادلُ وشابُ نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلقُ بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجلُ طلبته امرأة ذات منصبٍ وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[136].

2- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا ، لا يكفه إلا العدل أو يوبقه الجور)[137].

3- وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ : (إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا)[138].

4- وأخرج أبو عبيد بسنده إلى أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لعمل الإمام العادل في رعيته يومًا واحداً أفضل من عبادة العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما)[139].

والله عز وجل قد وعد العادل بالجنة من خلال أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فمن هذه الأحاديث:

1- عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : (وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيفٌ متعففٌ ذو عيال)[140].

2- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من طلب قضاء المسلمين حتى ينالهُ ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدلهُ فله النار)[141].

---

(136) أخرجه مالك في كتاب : الجامع ، باب : ما جاء في المتحابين في الله (1501) ، وأحمد (9288) ، والبخاري في كتاب : الاذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (629) ، ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة (1031) ، والترمذي في كتاب : الزهد عن رسول الله ﷺ ، باب : ما جاء في الحب في الله (2391) ، والنسائي في كتاب : آداب القضاة ، باب : الإمام العادل (9288) .

(137) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه : 6 / 421 (32556) ، وأحمد (9204) ، والدارمي في كتاب : السير ، باب : في التشديد في الإمارة (2403) ، والبيهقي في الكبرى : 10 / 95 ، وقال عنه الهيثمي : إسناده جيد ورجاله رجال الصحيح .

(138) أخرجه أحمد (6603) ، ومسلم في كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق (1827) ، والنسائي في كتاب : آداب القضاة ، باب : فضل الحاكم العادل في حكمه (5379) .

(139) أبو عبيد بن سلام ، الأموال : 13.

3- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : (إنّ أحبَّ الناس إليَّ الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل)[142].

4- وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل يوم القيامة قالوا الله ورسوله أعلم قال الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سألوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم)[143].

ومقابل ذلك ندد الإسلام بالظلم والظالمين وتوعدهم والأحاديث في هذا كثيرة منها:

1- عن معقل بن يسار قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس من والى أمةٍ قلت أو كثرت لا يعدل فيها إلا كبه الله تبارك وتعالى على وجهه في النار)[144] .

2- عن سعد بن عبادة قال إنَّ رسول الله ﷺ قال: (من شدَّد سلطانه بمعصية الله أوهن الله كيده يوم القيامة)[145].

3- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (وإني لأعلم أول ثلاثة يدخلون النار سلطانُ متسلط وذو ثروة من مالٍ لا يؤدي حقّهُ وفقيرٌ فخور)[146].

4- عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدَّهُ عذاباً إمامٌ جائرٌ)[147].

---

[140] أخرجه أحمد (16837) ، ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها واهلها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة (2865) ، وابن حبان : 16 / 490 (7453) ، والحاكم في المستدرك : 4 / 99 (7005) .

[141] أخرجه أبو داود في كتاب : الأقضية ، باب : في القاضي يخطيء (3575).

[142] أخرجه أحمد (10745) و (11099) ، والترمذي في كتاب : الأحكام عن رسول الله ﷺ ، باب : ما جاء في الإمام العادل (1329) .

[143] أخرجه أحمد (23243) و(23262)

[144] أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه : 6 / 420 (32555) ، وأحمد (19407).

[145] أخرجه أحمد (23892).

[146] أخرجه أحمد (10208) .

[147] أخرجه أحمد (11099) و(10745) والترمذي بلفظ (وابغض الناس إلى الله وابعدهم منه مجلساً إمام جائر) في كتاب : الأحكام عن رسول الله ﷺ ، باب : ما جاء في الإمام العادل (1329) .

المبحث الثاني

أنماط عدالة رئيس الدولة وصورها

من واجبات رئيس الدولة أن يعدل بين مواطنية، وأن يكون العدل صفة بارزة للحكم ولقيادة الأمة؛ لغرض ترسيخ مفهوم المواطنة.

وسنتكلم عن عدالة رئيس الدولة من خلال ما يأتي:

أولًا: أجر وجزاء الرئيس العادل، وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة عن أجر الحاكم العادل، منها:

1- عن أَبي هُريرةَ، عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قال: (سَبعَة يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُل قَلبُهُ مُعَلَّق فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُل طَلَبَتهُ امرَأَة ذَاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ، فقال: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُل تَصَدَّقَ، أَخفَى حَتَّى لَا تَعلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُل ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَت عَينَاهُ)[148]، وأول هؤلاء السبعة: الإمام العادل وَهُوَ أقرب النَّاس من الله يوم القيامة، وَهُوَ عَلَى منبر من نور عَلَى يمين الرحمن عز وجل، وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عَن تنفيذ مَا تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مَعَ قدرته عَلَى بلوغ غرضه من ذَلِكَ؛ فإن الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقالَ: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد روي أَنَّهُ ظل الله فِي الأرض؛ لأن الخلق كلهم يستظلون بظله، فإذا عدل فيهم أظله الله فِي ظله[149].

2- عن عبد اللهِ بنِ عمرٍو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ المُقسِطِينَ عِندَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُورٍ، عَن يَمِينِ الرَّحمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلتَا يَدَيهِ يَمِين، الَّذِينَ يَعدِلُونَ فِي حُكمِهِم وَأَهلِيهِم وَمَا وَلُوا)[150].

3- عن عبدالرحمن بنِ شُمَاسَةَ قَال: أَتَيتُ عائشةَ أَسأَلُهَا عَن شَيءٍ؟ فَقَالت: مِمَّن أَنتَ؟ فَقُلتُ: رَجُل مِن أَهلِ مِصرَ، فَقَالت: كَيفَ كَانَ صَاحِبُكُم لَكُم في غَزَاتِكُم هَذِهِ ؟ فَقَال: مَا نَقَمنَا شَيئًا إِن كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا البَعِيرُ فَيُعطِيهِ البَعِيرَ، وَالعَبدُ فيعطِيهِ العَبدَ، وَيَحتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فيعطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالت: أَمَا إِنَّهُ لا يَمنَعُنِي الذِيفعل في مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكرٍ أَخِي أَن أُخبِرَكَ مَا سَمِعتُ مِن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في بَيتِي هَذَا: (اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ مِن أَمرِ أُمَّتِي شَيئًا فَشَقَّ عَلَيهِم فَاشقُق عَلَيهِ، وَمَن وَلِيَ مِن أَمرِ أُمَّتِي شَيئًا فَرَفَقَ بِهِم فَارفُق بِهِ)[151].

ثانيًا: حذر النبي صلى الله عليه وسلم من غش الرئيس لرعيته وعدم عدله، ولقد وردت أحاديث نبوية عن ذلك، منها:

(148) أخرجه البخاري في كتاب : الاذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد: 1/ 133(٦٦٠).
(149) فتح الباري، لابن رجب :6/ 46.
(150) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة: 3/ 1458(١٨٢٧).
(151) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة: 3/ 1458(١٨٢٨).

1- عن الحسن البَصرِيّ قَال: (دخل عُبيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ، على مَعقَلِ بنِ يسارٍ، وهو وَجِع، فَسَأَلَهُ، فقال: إِنّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا لَم أَكُن حَدَّثتُكَهُ إِنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَسترَعِي اللهُ عَبدًا رَعِيَّةً، يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشّ لَهَا، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ، قال: أَلَّا كُنتَ حَدَّثتَنِي هَذَا قَبلَ اليَومِ؟ قال: "مَا حَدَّثتُكَ، أَو لم أَكُن لِأُحَدِّثَكَ")[152].

2- وعنه أيضًا: أَنَّ عَائِذَ بنَ عمرٍو، وَكان من أَصحابِ النبِيّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيَادٍ، فَقَال أَي بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعتُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِنَّ مِن شَرِّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ، فَإِيَّاكَ أَن تَكُونَ مِنهُم""، فَقَال لَهُ اجلِس، فَإِنَّمَا أَنتَ مِن نُخَالةِ أَصحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَقَال: وَهَل كَانت لَهُم نُخَالة؟ ! إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالةُ بَعدَهُم، وَفِي غَيرِهِم)[153]، قال النووي : ("إن شر الرعاء الحطمة"، قالوا : هو العنيف في رعيته لايرفق بها في سوقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها)[154].

3- عن أَنسٍ، قال قال رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسئُول عَن رَعِيَّتِهِ، وَالأَمِيرُ رَاعٍ وَمَسئُول عَن رَعِيَّتِهِ، فَأَعِدُّوا لِتِلكَ المَسَائِلِ جَوَابًا قَالُوا: يَا رسول اللَّهِ وَمَا جَوَابُهَا؟ قال: أَعمَالُ البِرِّ)[155]، قال أَبو نُعَيمٍ: (والعبدُ لَا يُنَجِّيهِ منَ اللَّومِ وَالعَذلِ إِلَّا الِاستِقَامَةُ وَالعَدلُ")[156].

4- عن عياض بن حمارٍ المُجاشِعِيّ، أَنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:(... وَأَهلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَة ذُو سُلطَانٍ مُقسِط مُتَصَدِّق مُوَفَّق، وَرَجُل رَحِيم رَقِيقُ القَلبِ لِكُلِّ ذِي قُربَى وَمُسلِمٍ، وَعَفِيف مُتَعَفِّف ذُو عِيَالٍ، قال: وَأَهلُ النَّارِ خَمسَة: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبرَ لَهُ، الَّذِينَ هُم فِيكُم تَبَعًا لَا يَبتَغُونَ أَهلًا وَلَا مَالًا، وَالخَائِنُ الَّذِي لَا يَخفَى لَهُ طَمَع، وَإِن دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُل لَا يُصبِحُ وَلَا يُمسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَن أَهلِكَ وَمَالِكَ، " وَذَكَرَ البُخلَ أَوِ الكَذِبَ وَالشِّنظِيرُ الفَحَّاشُ")[157].

5- عن مَعقِلِ بنِ يَسَارٍ، قال: سَمِعتُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: (لَيسَ مِن وَالِي أُمَّةٍ، قَلَّت أَو كَثُرَت، لَا يَعدِلُ فِيهَا، إِلَّا كَبَّهُ)[158].

ثالثًا: التحذير من الظلم.

ولقد وردت أحاديث نبوية عن ذلك، منها:

1- عن جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِيَّاكُم وَالظُّلمَ، فَإِنَّ الظُّلمَ ظُلُمَات يَومَ القِيَامَةِ)[159].

---

(152) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان: 1/ 125(١٤٢).

(153) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة: 3/ ١٤٦١(1830).

(154) شرح النووي على مسلم : 12/ 216.

(155) أخرجه أبو نعيم في فضيلة العادلين من الولاة: ص 92(6).

(156) فضيلة العادلين من الولاة، لأبي نعيم: ص92.

(157) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها :4/ 2197(٢٨٦٥).

(158) أخرجه أحمد في مسنده: 33/ 409(٢٠٢٩٠)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي.

2- وعن أَبي موسى، عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُملِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَم يَنفَلِت، ثُمَّ تَلَا: {وَكَذَلِكَ أَخذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَة إِنَّ أَخذَهُ أَلِيم شَدِيد})[160].

رابعًا: صور عدالة رئيس الدولة.

وللعدالة الرئيس صور عديدة، منها

1- المساواة بين الناس، فالأحكام الشرعية تطبق على كافة الناس شريفهم ووضيعهم، ومن ذلك إقامة حد السرقة على المرأة المخزومية.

2- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

3-محاسبة العمال : (عن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قال: استَعمَلَ النبي صلى الله عليه وسلم رَجُلًا مِنَ الأَزدِ، يُقَالُ لَهُ ابنُ الأُتبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قال: هَذَا لَكُم وَهَذَا أُهدِيَ لِي، قال: فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيتِ أَبِيهِ أَو بَيتِ أُمِّهِ، فَيَنظُرَ يُهدَى لَهُ أَم لَا؟ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يَأخُذُ أَحَد مِنهُ شَيئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ يَحمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِن كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاء، أَو بَقَرَةً لَهَا خُوَار، أَو شَاةً تَيعَرُ ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَينَا عُفرَةَ إِبطَيهِ: اللَّهُمَّ هَل بَلَّغتُ، اللَّهُمَّ هَل بَلَّغتُ، ثَلَاثًا)[161].

4- القدوة في العدالة، (عن حبان بن واسع، عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار قال: وهو مستنتل من الصف، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح في بطنه، وقال: " استو يا سواد" فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالعدل، فأقدني قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:"استقد"، قال: يا رسول الله إنك طعنتني وليس علي قميص قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: "استقد"، قال: فاعتنقه، وقبل بطنه، وقال: "ما حملك على هذا يا سواد؟" قال: يا رسول الله، حضرني ما ترى، ولم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير)[162].

5- الزيارات التفتيشية: (عن أَبي هريرةَ أَنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى صُبرَةِ طَعَامٍ فَأَدخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَت أَصَابِعُهُ بَلَلًا فقال: "مَا هَذَا يَا صاحِبَ الطَّعَامِ؟" قال : أَصَابَتهُ السَّمَاءُ يَا رسول اللهِ، قال: أَفَلَا جَعَلتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَن غَشَّ فَلَيسَ مِنِّي)[163].

وقد سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لإرساء قواعد العدالة بكافة صورها، ابتداءً من مراقبة النفس وصولًا إلى احتساب ثروة المكلف قبل التكليف؛ ليسأل عن الزيادة إن كان هنالك زيادة.

---

(159) أخرجه أحمد في مسنده : 22/ 352(١٤٤٦١)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(160) أخرجه أبو يعلى في مسنده: 13/ 273 (٧٢٨٧).

(161) أخرجه البخاري في كتاب:الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب:من لم يقبل الهدية لعلة:3/ 159(٢٥٩٧).

(162) معرفة الصحابة لابي نعيم: 3/ 1404(3550)، ومعرفة الصحابة لابن منده : 802.

(163) أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان، باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم " من غشنا فليس منا": (101).

وقد اتخذت عدالة الخلفاء رضي الله عنهم لترسيخ مفهوم المواطنة صور عديدة، منها:

1- محاسبة النفس وعدم الإغترار بالمنصب .

(قال أَنَس: وَسَمِعتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ يَومًا، وَخَرَجتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا[164]، فسَمِعتُهُ يَقُولُ: وَبَينِي وَبَينَهُ جِدَار، وَهُوَ فِي جَوفِ الحَائِطِ: عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ، بَخٍ بَخٍ، وَاللَّهِ يَا ابنَ الخَطَّابِ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهَ، أَو لَيُعَذِّبَنَّكَ)[165]، والمعنى أنه لا يغرنك إمارتك ولا زهدك وعبادتك فإنه لا خلاف في العقبى إلا بكمال التقوى في الدنيا، وفي هذا نهاية تواضعه مع ربه وعدم غروره وعجبه بفضائله ومنصبه[166].

2- محاسبة الولاة:

كان عمر يحاسب عماله عن أخطائهم، وبخاصة تلك التصرفات التي تدل على الفخر، والتميز والتعالي وهدر الأموال العامة، وهذا الموقف، نابع من واقع موقفه من الأمة الإسلامية حيث كانت الأمة في نظره، أي جماعة المسلمين، متساوين في الحقوق والواجبات، فإذا برزت مؤشرات تدل على سوء تصرف الوالي، يستدعيه إلى المدينة مثلما حدث مع أبي موسى الأشعري حاكم البصرة عندما رفعت شكوى ضده، فاستدعاه عمر وحقق معه بنفسه ، وكان يحصي وضع العامل المالي وقت إرساله، ثم يشاطره ماله وقت عزله إذا زاد رأس ماله بشكل يثير الشبهة، وكان يقول لعماله: "نحن إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارًا"، على أن هذه الشدة في محاسبة الولاة لم يكن يقصد منها إضعاف سلطتهم، فقد كانت لهم الحرية المطلقة في إصدار الأحكام وتنفيذها، وسلطاتهم مساوية لسلطات عمر ما لزموا العدل)[167].

3- السؤال والتثبت عن عدالة المكلف بوظيفة قضاء أو إمارة.

عن الأسودِ، قال: " كان عمر رضي اللهُ عنهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيهِ الوُفُودُ سَأَلَهُم عَن أَمِيرِهِم: " أَيَعُودُ المَرِيضَ؟ أَيُجِيبُ العَبدَ؟ كَيفَ صَنِيعُهُ؟ مَن يَقُومُ عَلَى بَابِهِ؟ " فَإِن قَالُوا " لِخَصلَةٍ مِنهَا: لَا، عَزَلَهُ[168].

4- تعيين مراقب على عمل الولاة.

(164) أي بستان.

(165) أخرجه مالك في الموطأ : 2/ 170(2092).

(166) المهيأ في كشف أسرار الموطأ، عثمان بن سعيد الكماخي (المتوفى: ١١٧١ هـ)، تحقيق وتخريج: أحمد علي، دار الحديث، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م : 4/ 280.

(167) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية: ص336.

(168) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى:10/ 185.

راقب الفاروق رضي الله عنه عمل الأمير، حتى يعلم بمجريات الأمور صغيرها وكبيرها، فعن ابن طاوس عن أبيه، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قال: " أَرَأَيتُم إِنِ استَعمَلتُ عَلَيكُم خَيرَ مَن أَعلَمُ، ثُمَّ أَمَرتُهُ بِالعَدلِ، أَقَضَيتُ مَا عَلَيَّ؟ قَالُوا: نَعَم، قال: لَا، حَتَّى أَنظُرَ فِي عَمَلِهِ، أَعَمِلَ بِمَا أَمَرتُهُ أَو لَا "[169].

فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حريصًا على أن يقف على دقائق الأمور في تصرف ولاته، وما كان يجري في كل ولاية؛ اختار رجلًا من خيرة رجاله تقوى وقوى، وأمانة وسنا وتجربة، هو محمد بن مسلمة الأنصاري؛ ليكون مراقبه الخاص على العمال، وأعمالهم والنظر في الشكاوي المرفوعة لهم، ويذكر أبو يوسف: "فدعا، أي عمر، محمدًا بن مسلمة، وكان رسوله إلى العمال، فبعثه وقال: إئتيني به، أي بوالي الذي خالف الشروط، وهو عياض بن غنم، على الحال الذي تجده عليها، قال: فأتاه فوجد على بابه حاجبًا، فإذا عليه قميص رقيق، قال: أجب أمير المؤمنين، قال: دعني أطرح على قبائي، قال: لا إلا على حالك هذه فقدم به عليه، أي على عمر في المدينة"[170].

وسار علي بن أبي طالب رضي الله عنه على هذا المنهج في مراقبة العمال والولاة، كتب رضي الله عنه إلى كعب بن مالك، وهو عامله: " أما بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم حتى تمر بمن كان منهم فيما بين دجلة والفرات[171].

5- الجولات التفقدية: عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه:(لئن عِشتُ، إِن شَاءَ اللَّهُ، لَأَسِيرَنَّ فِي الرَّعِيَّةِ حَولًا، فَإِنِّي أَعلَمُ أَنَّ لِلنَّاسِ حَوَائِجَ تُقطَعُ دُونِي، إِمَّا هُم فَلَا يَصِلُونَ إِلَيَّ، وَإِمَّا عُمَّالُهُم فَلَا يَرفَعُونَهَا إِلَيَّ، فَأَسِيرُ إِلَى الشَّامِ فَأُقِيمُ بِهَا شَهرَينِ ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى الجَزِيرَةِ فَأُقِيمُ بِهَا شَهرَينِ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى مِصرَ فَأُقِيمُ بِهَا شَهرَينِ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى البَحرَينِ فَأُقِيمُ بِهَا شَهرَينِ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى الكُوفَةِ فَأُقِيمُ بِهَا شَهرَينِ، ثُمَّ أَسِيرُ إِلَى البَصرَةِ فَأُقِيمُ بِهَا شَهرَينِ، وَاللَّهِ لَنِعمَ الحَولُ هَذَا)[172].

خامسًا: نصرة المظلوم، حرم الله سبحانه وتعالى الظلم، فعن أبي ذر، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا روى عن اللهِ تباركَ وتعالَى أَنَّهُ قال: (يا عبَادِي إِنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلَى نَفسِي، وَجَعَلتُهُ بَينَكُم مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا)[173]، ومن الظلمِ خُذلان المظلوم والتخلّي عن نُصرته، فإن ذلك مُؤذِن بالعقوبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخُذوا على يديه أوشكَ أن يعُمَّهم الله بعقابٍ)[174]، والظلم من أسباب هلاك الدولة قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَة إِنَّ أَخذَهُ أَلِيم شَدِيد﴾، قال شيخ الإسلام ان تيمية رحمه الله تعالى: (العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم امر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، وإن لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزي به في الآخرة)[175].

---

(169) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى :8/ 282.

(170) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية :ص335.

(171) الخراج، لأبي يوسف : ص131.

(172) تاريخ المدينة، لابن شبة: 3/ 821.

(173) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب: 4/ 1994(٢٥٧٧).

(174) أخرجه الترمذي في أبواب الفتن: 4/ ٤٦٧ (٢١٦٨).

(175) الحسبة، ابن تيمية: 94.

ومن أعظم الظلم أن يبدل الحاكم شريعة الإسلام ويقضي بغير ما أنزل الله تعالى، وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب الولاية من ظلم رعيته، منها: عن بريدة عن رسول الله ﷺ قال: (القُضَاةُ ثَلَاثَة، اثنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِد فِي الجَنَّةِ: رَجُل عَلِمَ الحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الجَنَّةِ، وَرَجُل قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُل جَارَ فِي الحُكمِ فَهُوَ فِي النَّارِ")[176].

وسار الخلفاء رضي الله عنهم على نهج حق التقاضي مكفول للجميع، وقبول دعوة المظلوم، فمن ذلك:

1- ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لرجل شكا إليه أن عاملًا قطع يده:(لئن كنت صادقًا لأقيدنك) منه، عن عائشةَ، قالت: كانَ رجُل أَسوَدُ يَأتِي أَبَا بَكرٍ فَيُدنِيهِ، وَيُقرِئُهُ القُرآنَ، حَتَّى بَعَثَ سَاعَيًا، أَو قال: سَرِيَّةً، فقال: أَرسِلنِي مَعَه، قال: بَل تَمكُثُ عَندَنَا، فَأَبَى، فَأَرسَلَهُ مَعَه، وَاستَوصَى بِهِ خَيرًا، فَلَم يَغبُر عَنهُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَ قَد قُطِعَت يَدُه، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكرٍ فَاضَت عَينَاه، وَقال: مَا شَأنُكَ؟ قال: مَا زِدتُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُوَلِّينِي شَيئًا مِن عَمَلِهِ، فَخُنتُهُ فَرِيضَةً وَاحِدَةً، فَقَطَعَ يَدِي، فقال أَبُو بَكرٍ: تَجِدُونَ الَّذِي قَطَعَ هَذَا يَخُونُ أكثَرَ مِن عِشرِينَ فَرِيضَةً، وَاللَّهِ لَئِن كُنتَ صَادِقًا لأُقِيدَنَّكَ مِنه، قال : ثُمَّ أَدنَاهُ وَلَم يُحَوِّل مَنزِلَتَهُ الَّتِي كَانَت لَهُ مِنه، قال: وَكَانَ الرَّجُلُ يَقُومُ مِنَ اللَّيلِ فَيقرَأ، فَإِذَا سَمِعَ أَبُو بَكرٍ صَوتَهُ قال: يَالَلَّهِ لِرَجُلٍ قَطَعَ هَذَا، قال: فَلَم يَغبُر إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى فَقَدَ آلُ أَبِي بَكرٍ حُلِيًّا لَهُم وَمَتَاعًا، فقال أَبُو بَكرٍ: طُرِقَ الحَيَّ اللَّيلَةَ، فَقَامَ الأَقطَعُ فَاستَقبَلَ القِبلَةَ، وَرَفَعَ يَدَهُ الصحِيحَةَ وَالأُخرَى الَّتِي قُطِعَت، فقال: اللَّهُمَّ أَظهِر عَلَى مَن سَرَقَهُم أَو نَحوَ هَذَا وَكَانَ مَعمَر رُبَّمَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَظهِر عَلَى مَن سَرَقَ أَهلَ هَذَا البَيتِ الصَّالِحِينَ، قال: فَمَا تَنَصَّفَ النَّهَارُ حَتَّى عَثَرُوا عَلَى المَتَاعِ عَندَه، قال فقال لَهُ أَبُو بَكرٍ: وَيلَكَ إِنَّكَ لَقَلِيلُ العِلمِ بِاللَّهِ، فَأَمَرَ بِهِ، فَقُطِعَت رِجلُهُ[177]، فكان أبو بكر , يقول: "لجراءته على الله أغيظ عندي من سرقته، قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن أبي بكر أن اسمه جبر أو جبير[178].

2- وثبت عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقيد من نفسه، فعن أبي فراس قال: (خطبنا عمر بن الخطاب، فقال: إني لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، فمن فعل به غير ذلك فليرفعه إلي أقصه منه، قال عمرو بن العاص: لو أن رجلا أدب بعض رعيته أتقصه منه؟ قال: إي، والذي نفسي بيده ألا أقصه، وقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقص من نفسه)[179].

3- عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي: أن رجلًا كان مع أبي موسى الأشعري وكان ذا صوت ونكاية في العدو فغنموا فأعطاه أبو موسى الأشعري بعض سهمه فأبى أن يأخذ إلا جميعًا، فضربه عشرين سوطًا وحلق رأسه، فجمع شعره ورحل إلى عمر فدخل عليه، قال جرير بن عبد الله: وأنا أقرب الناس مجلسًا من عمر، فأخرج شعره فضرب به صدر عمر، وقال: أما والله لولا فقال عمر: لولا ماذا؟ صدق والله لولا النار؟ فقال: كنت ذا صوت ونكاية في العدو، ثم قص قصته على عمر، فكتب عمر إلى أبي موسى: إن فلانًا قدم علي فأخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك به فعزمت عليك إن كنت فعلت به ذلك في ملأ من الناس، فعزمت عليك لما جلست له في ملأ من الناس حتى يقتص منك، وإن كنت فعلت به ذلك في خلاء لما جلست له في خلاء حتى

(176) أخرجه ابن ماجه في أبواب الأحكام: 3/ 412(٢٣١٥)، قال الشيخ شعيب: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(177) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (9/ 369 .

(178) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه: 10/ 189 .

[179]() أخرجه أبو داود في كتاب الديات : 6/ 594(4537)، وحسنه الشيخ شعيب الارنؤوط.

يقتص منك فقال له الناس: اعف عنه فقال: لا والله لا أدعه لأحد، فلما قعد أبو موسى للقصاص رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم قد عفوت عنه[180].

(180) المحلى بالآثار، ابن حزم: 8/ 440.

الخاتمة

وفي هذه الخاتمة نحمده سبحانه وتعالى ان من علينا لإنجاز هذا البحث، سائلًا المولى عز وجل ان يكون خالصًا لوجهه الكريم

وأما أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث، فيمكن تلخيصها بالآتي:

1-دولة الإسلام هي دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية، تتصف بصفات العدالة، وتمنع الظلم عن رعيتها، وتحفظ كرامة ابنائها، وتعصم دماءهم، وممتلكاتهم، ومعتقداتهم.

2-ان تحقيق العدل من أهم واجبات رئيس الدولة، ولم يجعل الإسلام الالتزام بهذا الأمر خاصًا برئيس الدولة فحسب، بل أمر كل إنسان بالعدل في جميع أموره التي يزاولها سواء في ذلك ما يتصل بالأسرة أو بالجار أوبغير ذلك.

3-عدالة رئيس الدولة لها أنماط عدة ، منها:

-توليه أصلح الأفراد للمناصب القيادية للقيام بأعبائها.

-المساواة بين الناس.

-منع الظلم وإزالته عن المظلوم.

-فضُّ الخصومات والمنازعات بين المواطنين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

المراجع

القرآن الكريم

1- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي (ت 450 هـ) ، شركة ومطبعة البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة لسنة 1393 هـ ، القاهرة . مصر .

2- أصول الدعوة . عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة لسنة 1423 هـ ، بيروت . لبنان .

3- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، د محمد سهيل طقوش، دار النفائس.

4- تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت.

5- الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى : ١٨٢هـ)، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.

6- سنن البيهقي الكبرى . أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت458) , تحقيق : محمد عبد القادرعطا , مكتبة دار الباز , لسنة 1414 هـ , مكة المكرمة . السعودية .

7- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت 279 هـ) ، تحقيق أحمد شاكر واخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان

8- سنن الدارقطني . أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي , (ت385 هـ)،تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني , دار المعرفة , سنة 1386 هـ , بيروت . لبنان.

9- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة لسنة 1407 هـ ، بيروت . لبنان .

10- صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،(261هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان .

11- كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، كامل صكر القيسي.

12- فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ Kتحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، واخرون، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.

13- فضيلة العادلين من الولاة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، دار الوطن – الرياض.

14- المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى لسنة 1411هـ ، بيروت . لبنان.

15- مسند الامام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون.

16- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري.

17- معرفة الصحابة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة.

18- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض.

19- المهيأ في كشف أسرار الموطأ، عثمان بن سعيد الكماخي (ت ١١٧١ هـ)، تحقيق وتخريج: أحمد علي، دار الحديث، القاهرة – جمهورية مصر العربية.

20- نظام الحكومة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت.

جهود الصحابة رضوان الله عليهم في التثبّت من الرواية "صحيح مسلم انموذجاً"

د : إيهاب محمد مهدي البصري

كلية العلوم الإسلامية/جامعة بغداد

الملخص

هذا البحث قمت فيه بجرد الأحاديث في صحيح مسلم، وقد اعتمدت على مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري (656هـ)، وقمت بجمع الأحاديث التي تدل على تثبت الصحابة رضوان الله عليهم في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قمت بذكر الحديث سندا ومتناً، ثم خرجت الحديث من الكتب الستة، ثم حاولت صياغة قاعدة أو عبارة عن معنى التثبت في الحديث، ولم أزيد على ذلك لأن البحث متعلق بالتثبت عند الصحابة فأحببت أن اقتصر على ذلك والله الموفق.

Abstract

In this research, I made an inventory of the hadiths in Sahih Muslim, and I relied on the summary of Sahih Muslim by al-Hafiz al-Mundhiri (656 AH), and I collected the hadiths that indicate the confirmation of the Companions in the narration on the authority of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, and I mentioned the hadith in its chain of transmission and text, and then I came out The hadith is one of the six books, then I tried to formulate a rule or a phrase about the meaning of confirmation in the hadith, and I did not add to that because the research is related to verification among the Companions, so I wanted to confine it to that, and God is the conciliator.

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى، وعلى آله وأصحابه الشرفا، أما بعد:

كان للصحابة ﷺ دور عظيم في تلقي حديث رسول الله ﷺ ، فلقد نقلوها بكل أمانة وحرص، لمعرفتهم لمكانة السنة النبوية، وقد وضع كل صحابي له طريقة في الحفظ والتلقي، وحرصوا لإيصال ما تقلوه عن النبي ﷺ للجيل الذي أتى بعدهم بأفضل وأصدق طريقة، وكان الباعث خدمة السنة، وحفظها من كل دخيل، وصيانتها من كل عليل، واعتقادهم أنها دين، يثبت به تحليل وتحريم، وحظر وإباحة.

ولكن لا يمكن اعتبار منهجهم في التثبت منهج للصحابة كلهم؛ لأن كل صحابي كان له طريقة في الحفظ، وقد يتفاوت حفظ صحابي عن أخر، بل كثير من الصحابة تورعوا من الرواية خوفا من الغلط في حديث رسول الله ﷺ، وهذا يدلنا على مكانة الصحابة ودورهم الكبير في نقل أحاديث رسول الله ﷺ .

مشكلة البحث "سؤال البحث":

ما هي الوسائل التي اعتمدها الصحابة ﷺ في حفظ حديث رسول الله ﷺ؟

ما هي طرق التثبت من الحديث إذا لم يسمعه الصحابي من رسول الله ﷺ؟

أسباب اختيار البحث:

إن مسألة النقد نشأة منذ نشأة البشرية فهي جبلة في الإنسان، والنقد في نقل الأخبار نشأ قديما، ولكن أهمية نقل رواية الرسول ﷺ هي من أهم ما شغل الأمة من بزوغ نور الإسلام، فكان الوقوف على المحاولات الأولى للنقد عند الصحابة ﷺ هي من أهم الأسباب.

أهمية البحث:

إن معرفة الوسائل وطرق التثبت عند الصحابة ﷺ تبرز جهودهم في تحمل السنة، وإيصالها للجيل الذي جاء بعدهم، وتبين لنا بعض هذه الأسس التي وضعها عدد من الصحابة ﷺ، التي كانت أساس لوضع علم الحديث.

خطة البحث:

فقد قسمته لمقدمة ومبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالإمام مسلم وبصحيحه.

المبحث الثاني: الأحاديث التي ورد فيها التثبت رواية الحديث.

ثم خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و صلِ اللهم على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول

التعريف بالإمام مسلم وصحيحه

أولا: التعريف بالإمام مسلم:

• **أسمهُ:** هو الإمام مُسلم بن الحجاج بن مُسلم بن ورد بن كوشاذ القُشيري النيسابوري[181] .

• **نسبهُ:** قال ابن الصلاح: (..القُشيري النسب، النيسابوري المَوطن، عربيُ صَليبة، أحد رجال الحديث من أهل خُراسان ..)[182].

وقال النووي: (هُو الإمام أبو الحُسين مُسلم بن الحَجَاج بن مُسلم القُشيري، من بني قُشَير، قبيلةٌ من العرب معروفة، النيسابوريِ، إمام أهل الحديث)[183].

والقُشَيري: بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنيين، وفي آخرها الراء، (بعدها ياء النسبة؛ نسبة إلى بني قُشير)[184].

إذن: كان مُسلم من بيت علم، وفضل، والظاهر أن لوالدهِ الأثر والفضل في تشجيعه في طلب العلم، حتى برز ونبغ فيه هذا النبوغ.

•**كُنيتُه:** هو أبو الحُسين، كما ذكر كُلُّ من ترجم له، إذ لم أجد اختلافا بين علماء في ذلك قال الإمام الذهبي ' وهُو يُترجم للإمام مُسلم:(... الإمام الحافظ، حجة الإسلام أبو الحُسين القُشَيْري...)[185].

•**مَولدُهُ:** المشهور من تاريخ مولده أنهُ ولِدَ سنة أربع ومائتين في مدينة نيسابور وهذا ما ذكره غيرُ واحدٍ من أهل العلم، ممن ترجم وأرخَ لسيرته[186] .

---

[181] تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي (ت463ه): 100/13، برقم: (7089)، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت571ه): 85/58، برقم: (7417)، وتهذيب الكمال، المزي (ت742ه): 499/27، برقم: (5923)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (ت748ه): 558/12، برقم: (217).

[182] صيانة صحيح مُسلم من الإخلال والغلط: ابن الصلاح (ت643ه): ص 2.

[183] تهذيب الأسماء واللغات، النووي (ت676ه): 89/2 –90، برقم:(131).

[184] تبصير المنتبه بتحرر المشتبه: ابن حجر العسقلاني (ت852ه): 126/1.

[185] تذكرة الحفاظ: الذهبي (ت748ه): 125/2 برقم: (613)، وينظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (ت463ه): 100/13، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (ت571ه): 85/58.

مؤلفاته:

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: "وصنَّف مسلم رحمه الله كتبا كثيرة.

1- منها كتاب الصحيح الذي مَنَّ الله الكريم -وله الحمد والنعمة والفضل والمنة- به على المسلمين أبقى لمسلم به ذكرا جميلا وثناء حسنا إلى يوم الدين مع ما أعد له من الأجر الجزيل في دار القرار وعم نفعه المسلمين قاطبة. 2- ومنها الكتاب المسند الكبير على أسماء الرجال. 3- وكتاب الجامع الكبير على الأبواب. 4- وكتاب العلل. 5- وكتاب أوهام المحدثين. 6- وكتاب التمييز. 7- وكتاب من ليس له إلا راو واحد. 8- وكتاب طبقات التابعين. 9- وكتاب المخضرمين. وغير ذلك". انتهى[187].

وذكر الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ نقلا عن الحاكم عشرين مؤلفا لمسلم هي بالإضافة إلى ما تقدم:

10- كتاب الأسماء والكنى. 11- كتاب الأفراد. 12- كتاب الأقران. 13- كتاب سؤالات أحمد بن حنبل. 14- كتاب حديث عمرو بن شعيب. 15- كتاب الانتفاع بأهب السباع. 16- كتاب مشايخ مالك. 17- كتاب مشائخ الثوري. 18- كتاب مشائخ شعبة. 19- كتاب أولاد الصحابة.20- كتاب أفراد الشاميين[188].

مهنته: وكان الإمام مسلم رحمه الله بزازا كما في تهذيب التهذيب[189]. وقال الذهبي في كتابه العبر: "وكان صاحب تجارة وكان محسن نيسابور وله أملاك وثروة"[190].

وفـاتُه : قال ابن الصلاح في سبب موتهِ:(وكان لموتهِ سبب غريب، نشأ من غمرة فكرةٍ علميةٍ،)[191].

وقد ذكر أغلب من تعرض وأرخ لوفاة الإمام مُسلم أنَّهُ مات بعدما(عُقد لأبي الحسين مُسلم بن الحجاج مَجلس للمُذاكرة ،فذُكر لهُ حديث لم يعرفهُ فأنصرف إلى منزلهِ، وأوقدَ السَّراج وقالِ لمن في الدار: لا يدخلنَّ أحدكم هذا البيت، فقيل لهُ أهديتَ لنا سلةَ فيها تمر فقال : قدموها إلي ، فقدموها إليه ، فكان يَطلب الحديث ويأخذ تمرةً ، تمرةً يمضغها فأصبح وقد فُني التمرُ ، ووجدَ الحديث ، قال محمد بن عبد الله: زادني الثقةُ من أصحابنا أنَّهُ ، منها مات، وقال أيضاً :سمعتُ مُحمد بن يَعقوب أبا عبد الله الحافظ ،يقول: تُوفي مُسلم بن حجاج عشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين، لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين و مائتين)[192].

---

[186] ينظر: العبر في خبر من غبر: الذهبي (ت748هـ): 375/1، البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي (ت774هـ): 555/14.

[187] تهذيب الأسماء واللغات، النووي (ت676هـ): 91/2.

[188] تذكرة الحفاظ، الذهبي (ت748هـ): 126/2.

[189] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): 127/10.

[190] العبر في خبر من خبر، الذهبي (ت748هـ): 29/2.

[191] صيانة صحيح مسلم: لابن الصلاح (ت643هـ): ص 5.

[192] تاريخ بغداد: للخطيب (ت463هـ): 103/13، وتاريخ دمشق: لابن عساكر(ت571هـ): 94/58، وفيات الأعيان وأبناء الزمان: ابن خلكان (ت681هـ): 195/5 برقم (717)، وتهذيب الكمال: للمزي (ت742هـ): 506/27، برقم: (5923) وتهذيب التهذيب: ابن حجر،(ت852هـ): 10 /1414 برقم:(227)

ثانياً: التعريف بصحيح الإمام مسلم

اسمه: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمالمعروف بصحيح مسلم، وهو أشهر كتبه، ومن أمهات كتب الحديث النبوي، وهو أحد كتب الجوامع، وثاني الصحيحين بعد صحيح البخاري، وأحد الكتب الستة.

فقد انتخب الإمام مسلم أحاديث الصحيح من ثلاثمئة ألف حديث مما يحفظ، ولم يروِ في الكتاب إلا الأحاديث التي أجمع العلماء على صحّتها، قال الدهلوي: "توخّى تجريد الصحاح المجمع عليها بين المحدثين المتصلة المرفوعة"[193] فلم يستوعب الإمام مسلم في الكتاب جميع الأحاديث الصحيحة، قال: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه"[194]. وقد عمل الإمام مسلم على تنقيح الكتاب ومراجعته وعَرَضه على عدد من شيوخ وقته منهم الإمام أبو زرعة الرازي ، قال مسلم: "عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي، فكل ما أشار أن له علة تركته، وكل ما قال إنه صحيح وليس له علة خرّجته"[195].

عدد الأحاديث:

ذكر النووي في التقريب أنها نحو أربعة آلاف بإسقاط المكرَّر وقال العراقي في نكته على بن الصلاح: "ولم يذكر – يعني النووي – عدته بالمكرر وهو يزيد على عدة كتاب البخاري لكثرة طرقه وقد رأيت عن أبي الفضل أحمد بن سلمة أنه اثنا عشر ألف حديث". انتهى. وقد عد أحاديثه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي من المعاصرين وبلغت عنده بدون المكرَّر ثلاثة آلاف وثلاثة وثلاثين حديثا[196].

الشروحات على كتاب الصحيح:

1. المعلم بفوائد مسلم/تأليف المازري ت536 هـ / تحقيق الشاذلي النيفر/ الناشر دار الغرب الإسلامي / 3 مجلدات.
2. إكمال المعلم / تأليف القاضي عياض ت 544 هـ /تحقيق يحيى إسماعيل/ الناشر دار الوفاء / في 9 مجلدات وطبع أيضا في مطبعة السعادة ومعه مكمل إكمال الإكمال.
3. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط .. / تأليف ابن الصلاح ت 642 هـ / تحقيق موفق عبد القادر / الناشر دار الغرب الإسلامي / في مجلد. وطبع مع الصحيح في بيت الأفكار الدولية. وهو شرح لكتاب الإيمان من صحيح مسلم.

---

[193] الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، الشاه ولي الله الدهلوي: 55/1.

[194] صحيح مسلم، طبعة البابي الحلبي، دار الكتب العلمية: 304/1.

[195] صيانة صحيح مسلم، ابن الصلاح (ت 643هـ): ص 67.

[196] الإمام مسلم وصحيحه، عبد المحسن العباد: ص 42.

4. المفهم شرح تلخيص صحيح مسلم / تأليف أبي العباس القرطبي ت656 هـ / تحقيق محيي الدين مستو وجماعة / الناشر دار ابن كثير/ في 7 مجلدات ، وقد طبع في دار الكتاب المصري بتحقيق الحسني أبو الفرجة في 3 مجلدات ، وحقق في قسم السنة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
5. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ تأليف النووي ت 676 هـ / طبع عدة طبعات من أحسنها طبعة دار المعرفة / تحقيق خليل مأمون شيحا في 10 مجلدات
6. إكمال إكمال المعلم / تأليف الأبي ت 728 هـ / طبع ومعه
7. مكمل إكمال المعلم للسنوسي ت892 هـ / الناشر مطبعة السعادة / في 7 مجلدات وطبعا أيضا في دار الكتب العلمية في 9 مجلدات
8. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج/ تأليف السيوطي ت 911 هـ / تحقيق أبي إسحاق الحويني / الناشر دار عفان / في 6 مجلدات ، وطبع في عام 1299هـ في المطبعة الوهبية بتحقيق بديع السيد اللحام في مجلدين
9. حاشية على صحيح مسلم / تأليف السندي ت1136 هـ/ طبعت في باكستان
10. وشي الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج/ تأليف علي بن سليمان البجمعوي ت1298 هـ / الناشر المطبعة الوهبية في مجلد ، وهو مختصر الديباج للسيوطي.
11. السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج/ تأليف صديق خان القنوجي ت 1307هـ/ الناشر المطبع الصديقي عام 1302هـ في مجلدين ، وطبع في وزارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر طبعة خيرية /في 13 مجلد وهو شرح لمختصر صحيح مسلم للمنذري .توجد منه نسخة في مكتبة جامعة الإمام ونسخة في مكتبة الملك عبد العزيز.
12. الحل المفهم لصحيح مسلم / من إفادات الشيخ رشيد الكنكوهي الأنصاري ت 1323هـ / طبع الجزء الأول منه عام 1403هـ بتعليق محمد زكريا الكاندهلوي في كراتشي باكستان .
13. فتح الملهم بشرح صحيح مسلم / تأليف شبير العثماني ت1369 هـ / الناشر المكتبة الرشيدية / في 3 مجلدات وصل إلى كتاب الرضاع.
14. تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم /تأليف محمد تقي العثماني / الناشر مكتبة دار العلوم / في 6 مجلدات
15. فتح المنعم شرح صحيح مسلم /تأليف موسى شاهين لاشين /الناشر مؤسسة عز الدين / في 5 مجلدات.
16. المعلم بشرح المختار من صحيح مسلم / تأليف محمد محمد السماحي من علماء الأزهر / شرح فيه 18 حديثا مختارة من صحيح مسلم

17-منة المنعم شرح صحيح مسلم / تأليف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري / الناشر دار السلام عام 1421هـ / في 4 مجلدات[197].

الطبعة التي اعتمدتها في البحث:

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5.

الطبعة للمختصر التي اعتمدتها في الجرد:

مختصر صحيح مسلم، المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت656 هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، 1407 هـ - 1987 م. عدد الأجزاء: 2

[197] ملتقى أهل الحديث، https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=7269

المبحث الثاني

الأحاديث التي ورد فيها معنى التثبت عند الصحابة رضوان الله عليهم

الحديث الأول: باب: من الإيمان تغيير المنكر باليد واللسان والقلب

35 – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ "مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ". قَالَ أَبُو رَافِعٍ فَحَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَأَنْكَرَهُ عَلَيَّ فَقَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَنَزَلَ (بِقَنَاةَ) فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَعُودُهُ فحدّثت عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَلَمَّا جَلَسْنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثَنِيهِ كَمَا حَدَّثْتُ ابْنَ عُمَرَ[198].

القاعدة: إنكار الصحابة بعض الأحاديث للتأكد من روايتها.

الحديث الثاني: باب: تيمم الجنب

166 – عَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَ أَبُو مُوسَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا كَيْفَ يَصْنَعُ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لَا يَتَيَمَّمُ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا فَقَالَ أَبُو مُوسَى فَكَيْفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ في سُورَةِ الْمَائِدَةِ {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ في هَذِهِ الْآيَةِ لَأَوْشَكَ إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمْ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا بِالصَّعِيدِ فَقَالَ أَبُو مُوسَى لِعَبْدِ اللهِ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ في الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ ضَرْبَةً وَاحِدَةً ثُمَّ مَسَحَ الشِّمَالَ عَلَى الْيَمِينِ وَظَاهِرَ كَفَّيْهِ وَوَجْهَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ أَوَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ – رضي الله عنهما –؟[199].

---

[198] أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 50) برقم: (50) (كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) ، (1 / 51) برقم: (50) (كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) وابن حبان في "صحيحه" (1 / 403) برقم: (177) (كتاب الإيمان ، ذكر إطلاق اسم الإيمان على من أتى جزءا من بعض أجزائه) ، (14 / 72) برقم: (6193) (كتاب التاريخ ، ذكر البيان بأن الأنبياء كان لهم حواريون يهدون بهديهم بعدهم) .

[199] أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 77) برقم: (345) (كتاب التيمم ، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم) ، (1 / 77) برقم: (346) (كتاب التيمم ، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم) ، (1 / 77) برقم: (347) (كتاب التيمم ، باب التيمم ضربة) ومسلم في "صحيحه" (1 / 192) برقم: (368) (

القاعدة: عدم الاقتناع بالرواية أو من مصدر الرواية.

الحديث الثالث: باب: الميت يعذب ببكاء الحي

465 – عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ – رضي الله عنهما – أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – وَذُكِرَ لَهَا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ وَلَكِنَّهُ نَسِيَ أَوْ أَخْطَأَ إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى يَهُودِيَّةٍ يُبْكَى عَلَيْهَا فَقَالَ إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ في قَبْرِهَا[200].

القاعدة: تصحيح الصحابة بعض لبعض في الرواية وبيان الخطأ.

الحديث الرابع: باب: الاستئذان والسلام

1421 – عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا أَبُو مُوسَى السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا الْأَشْعَرِيُّ ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ رُدُّوا عَلَيَّ رُدُّوا عَلَيَّ فَجَاءَ فَقَالَ يَا أَبَا مُوسَى مَا رَدَّكَ كُنَّا فِي شُغْلٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ قَالَ لَتَأْتِيَنِّي عَلَى هَذَا بِبَيِّنَةٍ وَإِلَّا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى قَالَ عُمَرُ – رضي الله عنه – إِنْ وَجَدَ بَيِّنَةً تَجِدُوهُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ عَشِيَّةً وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجِدُوهُ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ بِالْعَشِيِّ وَجَدُوهُ قَالَ يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ أَقَدْ وَجَدْتَ قَالَ نَعَمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ عَدْلٌ قَالَ يَا أَبَا الطُّفَيْلِ مَا يَقُولُ هَذَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ ذَلِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَلَا تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّمَا سَمِعْتُ شَيْئًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَثَبَّتَ.

الحديث الخامس: باب: صفة حديث النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

1583 – عَنْ عروة بن الزبير قَالَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ وَعَائِشَةُ رضوان الله عليها تُصَلِّي فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ آنِفًا إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ[201].

كتاب الحيض ، باب التيمم) ، (1 / 193) برقم: (368) (كتاب الحيض ، باب التيمم) والنسائي في "الكبرى" (1 / 194) برقم: (304) (كتاب الطهارة ، تيمم الجنب) وأبو داود في "سننه" (1 / 126) برقم: (321) (كتاب الطهارة ، باب التيمم).

[200] أخرجه مسلم في "صحيحه" (3 / 43) برقم: (929) (كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه) ، (3 / 44) برقم: (930) (كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه) ، (3 / 44) برقم: (932) (كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه) والنسائي في "الكبرى" (2 / 392) برقم: (1994) (كتاب الجنائز ، النياحة على الميت) ، (2 / 393) برقم: (1997) (كتاب الجنائز ، النياحة على الميت) وأبو داود في "سننه" (3 / 163) برقم: (3129) (كتاب الجنائز ، باب في النوح).

القاعدة: الحرص على رواية الأحاديث والتأكد من صحتها من كبار الصحابة، وفيه ان كثرة التحديث كان مما يعاب على الصحابي به.

الحديث السادس: باب: في منع العراق درهمها

2033 – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَنَعَتْ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا وَمَنَعَتْ الشَّامُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ[202].

القاعدة: التأكد على السماع والحلف عليه.

الحديث السابع: باب: صفة الدَّجال وخروجه وحديث الجسّاسة

2054 – عن عَامِرِ بْنِ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ شَعْبُ هَمْدَانَ أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَتْ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ فَقَالَ حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ فَقَالَتْ لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ فَقَالَ لَهَا أَجَلْ حَدِّثِينِي فَقَالَتْ[203]

[201] أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 190) برقم: (3567) (كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم) ومسلم في "صحيحه" (8 / 229) برقم: (2493) (كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت فِي الحديث وحكم كتابة العلم) وأبو داود في "سننه" (3 / 358) برقم: (3654) (كتاب العلم ، باب في سرد الحديث).

[202] أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 175) برقم: (2896) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عَنْ جبل من ذهب)

[203] أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 203) برقم: (2942) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الْأرض ونزول عيسى وقتله إياه) ، (8 / 205) برقم: (2942) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الْأرض ونزول عيسى وقتله إياه) ، (8 / 206) برقم: (2942) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الْأرض ونزول عيسى وقتله إياه) ، (8 / 206) برقم: (2942) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الْأرض ونزول عيسى وقتله إياه) والنسائي في "الكبرى" (4 / 249) برقم: (4244) (كتاب المناسك ، دور مكة) وأبو داود في "سننه" (4 / 204) برقم: (4325) (كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة) ، (4 / 207) (بدون ترقيم) (كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة) ، (4 / 209) (بدون ترقيم) (كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة) والترمذي في "جامعه" (4 / 104) برقم: (2253) (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب) وابن ماجه في "سننه" (5 / 190) برقم: (4074) (أبواب الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج).

الحديث الثامن: باب: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال

2058 – عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ رَهْطٍ مِنْهُمْ أَبُو الدَّهْمَاءِ وَأَبُو قَتَادَةَ قَالُوا كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ نَأْتِي عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ إِنَّكُمْ لَتُجَاوِزُون إِلَى رِجَالٍ مَا كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنِّي وَلَا أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ مِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنْ الدَّجَّالِ[204].

القاعدة: ذكر الصحابي انه يعلم وسمع ما لم يسمع غيره.

[204] أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 207) برقم: (2946) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فِي بقية من أحاديث الدجال) ، (8 / 207) برقم: (2946) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فِي بقية من أحاديث الدجال) والحاكم في "مستدركه" (4 / 528) برقم: (8705) (كتاب الفتن والملاحم ، فتنة الدجال أكبر عند الله من كل الفتن) وأحمد في "مسنده" (7 / 3540) برقم: (16511) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنهما) ، (7 / 3540) برقم: (16513) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنهما) ، (7 / 3542) برقم: (16523) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنهما) ، (7 / 3542) برقم: (16525) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين ، حديث هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنهما)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطبين الطاهرين وبعد....

فهذه خاتمة بحثي في جهود الصحابة في التثبت من الرواية صحيح مسلم انموذجا، وقد توصلت إلى بعض النتائج وضعتها في هذه النقاط الآتية:

لم أقف على قواعد عامة متعارفة عند الصحابة في نقدهم للرواية فيما بينهم.

كانت هناك بوادر للنقد من بعض الصحابة الكبار، وذلك لعدم سماعهم بحديث فطلب التأكد منه.

كان النقد في هذه الفترة قليل، ويمكن عزو ذلك لعدم حاجتهم له وقلة الكذب فيهم.

الأحاديث منتشرة وثابته وعمل الناس عليها وقرب عصر النبوة كل ذلك لم يجعلهم يأسسون قواعد للنقد.

لم يظهر في عهدهم فكرة جمع السنة ولا تدوينها فلم تبرز في عصرهم مناهج عامة ولا قواعد خاصة.

ولكن في العموم إن الناظر في بعض الروايات التي وصلت إلينا نجد أن هذه الجهود في النقد والتثبت موجودة ولكن بنسبة قليلة ومن أشخاص معدودين من الصحابة لعدم الحاجة إليها في وقتهم، والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد العالمين

نبينا محمد صلى الله عليه واله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1-الإمام مسلم وصحيحه، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثالثة – العدد الأول، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

2-الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ "الشاه ولي الله الدهلوي" (ت ١١٧٦هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النفائس – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤

3-البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، دار الفكر، 1407هـ - 1986م.

4-تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ - 2002م.

5-تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت571هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م.

6-تبصير المنتبه بتحرر المشتبه: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

7-تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)
وضع حواشيه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م

8-تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت 676هـ، عنيت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، د.ط (دار الكتب العلمية، بيروت : د.ت).

9-تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.

10-تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت742هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1400 - 1980

11-سنن ابي داود ، سليمان بن الاشعث ابو داود السجستاني (ت275هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر . بيروت .

12-سنن النسائي الكبرى،النسائي- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: 303هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ/1986م

13-سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ - 2006م.

14-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

15-ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، (ت354هـ) تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 هـ . 1988 م.

16-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

17-صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، المحقق: موفق عبدالله عبدالقادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨

18-المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية بن نعيم بن الحكم الصنبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن الربيع (ت 405هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.

19-مسند احمد بن محمد بن حنبل(ت: 232هـ) دار قرطبة، القاهرة

20-ملتقى أهل الحديث

https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=7269

21-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت

استثمار النّصّ القرآنيّ في معالجة المشكلات الاقتصاديّة

أ. د. رياض فرج بن عبدات

أستاذ الدّراسات العليا بجامعة سيئون – اليمن

الملخص

تناول موضوع البحث استثمار النّصّ القرآنيّ في معالجة المشكلات الاقتصاديّة اغتنام النّص القرآنيّ وتوظيفه في معالجة المشكلات الاقتصاديّة، إفادة من معطيات الوحيّ، ومخرجات العقل الإنسانيّ؛ ليكون ذلك إسهامًا في إسعاد البشريّة، وتأهّل الإنسان لإقامة غاية الإيجاد، وتمكنّه من عمارة الأرض قطعًا لأسباب التّخلف العاثرة، وتحقيقًا لأدوات التّأهّل الرّافعة.

تكمن أهميّة الموضوع في قيمته العلميّة والعمليّة؛ كونه يتناول موضوعًا يلامس مشكلات النّاس ومعاناة المجتمع اقتصاديًّا، ويحاول معالجة قضاياهم برؤى علميّة عمليّة، جامعةً بين عطيّات الوحيّ الرّاشدة، ومثمّرات معارف العقل البشريّ.

يهدف الموضوع إلى بيان استثمار النّصّ القرآنيّ في معالجة المشكلات الاقتصاديّة.

وقد سلك الباحث منهجًا وصفيًّا استقرائيًّا، واصفًا الظاهرة ومستقرئًا النّصوص القرآنيّة بما يحقّق استثمارها، واغتنام رؤاها لمعالجة المشكلات الاقتصاديّة.

وقد انتظم الموضوع في مقدّمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

المطلب الأوّل: استثمار النّصّ القرآنيّ في تمكين الأفراد من العيش الكريم.

المطلب الثّاني: استثمار النّصّ القرآنيّ في سدّ خلّة المجتمعات.

المطلب الثّالث: استثمار النّصّ القرآنيّ في تفعيل النّشاط الاقتصاديّ.

والخاتمة: وفيها أهمّ النّتائج والتّوصيات.

أهمّ نتائج البحث:

1- عني النّصّ القرآنيّ بالمشكلات الاقتصاديّة، ووضع معالجات وقائيّة وعلاجيّة وبنائيّة، بَدءًا بتكريم الإنسان معاشًا ومعادًا، ومرورًا برعايته والنّفقة عليه، وانتهاء به عضوًا فاعلًا في الأمّة، ينتظم في علاقات اجتماعيّة محكومة بعقود وصيغ تحفظ بها الحقوق، وتقام بها الواجبات، وجعل ذلك حقًّا مفروضًا يؤديه الفرد والمجتمع.

2- جاد العقل البشريّ بحلول ومعالجات لمشكلات المجتمع الاقتصاديّة، مغتنمًا النّصّ القرآنيّ ومستثمرًا عطيّاته في كثير من المشروعات التّنمويّة: الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والتعليميّة.

أهمّ التّوصيات:

1- العناية بالدّراسات القرآنيّة المرتبطة بالإنسان والأرض والموارد، وإمكاناتها في التّطوّر المجتمعيّ.

2- دراسة موضوعات تُعنى بالشّأن اليمنيّ من خلال النّصّ القرآنيّ، من ذلك مثلًا: (موارد اليمن وآثارها في تحقيق رَغد العيش في ضوء سورة سبأ).

Abstract

The research topic has tackled the Quranic text to address economic problems and to exploit and invest it to address them by making use of the Divine revelation and the human minds outcomes so as to take part to enjoy humankind, and to enable Man to achieve the destination of his existence and enable him to promote growth and prosperity on earth and to block the reasons of stumbling backwardness, ands to achieve the tools lifting up qualification.

The importance of the topic lies on its scientific and practical value because it tackles an issue that touches the people problems and the communities economical sufferings and also it tries to provide a scientific and practical solution to these issues gathering between the data of Divine Revelation and the human mind outcomes.

The topic aims to demonstrate the investment of the Quranic text in addressing economic problems.

The researcher took a descriptive and inductive approach, describing the phenomenon and extrapolating the Qur'anic texts in a way that achieves its investment, and seizing its visions to address economic problems.

The topic is organized into an introduction, three articles and a conclusion.

The first topic: Investing the Quranic text to enable individuals to live a dignified life.

The second topic: Investing in the Quranic text to fill the gaps among societies.

The third topic: investing the Quranic text in activating economic activity.

The close: It consists of the findings and recommendations.

The main findings:

1- The Quranic text deals with economic problems, and put preventives and constructive treatments to them. It starts with honoring the human being to live a decent life and to take care of him and spending on him to be an active member of the nation. Starting a social relation governed

by contracts and formulas that preserve rights and fulfill duties, and make that a right imposed on the individual and society.

2. To provide the human thoughts with solutions and treatments for the society economic problems making use of the Quranic text in several developmental projects: social, economic and educational.

Main recommendations:

1- Taking care of Quranic studies related to Man, land and resources, and their potential for societal development.

2- Studying topics that concerns about Yemeni issues by making use of the Quranic texts for instance: (Yemen resources and their impact on to achieve to lead a comfort and good life in the light of Sabah Sura).

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا المجتبى، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى.

وبعد:

كان الوجود الإنسانيّ رحمة مقصودة، لا حاجة مفقودة؛ فالله غنيّ عن العالمين، وإنّ من عظيم نِعم الله أن جعل النّاس من تراب، ثمّ إذا هم بشر ينتشرون ، إذ التّراب بارد يابس وذلك طبع الموت، والحياة تقتضي حرارة ورطوبة؛ فالله خلق من ذلك البارد اليابس مخلوقًا حيًّا مُدركًا[205]. سبحان الله ربّ العالمين.

وإنّ الإنسان المزيج من الحياة والموت، البرودة والحرارة، اليبس والرّطوبة أُسكن الجنّة منزلًا أصيلًا، يأكل منها رَغدًا حيث يشاء، حكمة بالغة. غير أنّ اعتلاج النّفس، واعتراك مكنوناتها طبعيّات ومُدركات أمر واقع؛ فإنّ النّزغ نزع عن الإدراك إلى الطّبع، وأخذ من السّموّ وإهباط إلى الأرض مستقرًّا ومتاعًا إلى حين

ولمّا كان استقرار الإنسان في الأرض تحقيقًا لمقصد الاستخلاف، وعمارة الأرض أوجد الله أسباب التّأهّل وأدوات التّمكّن، وهيّأ له من أمره رشدًا؛ ليمكن من الغاية وأسبابها، غير أنّ المسبّبات مرتّبة بأسبابها، وإنّ التّخلّف عنها كُلًّا أو جزءًا قعود عن الغاية، ونكوص عن الأهليّة، وممّا له أثر مباشر في هذا التّخلّف المشكلات الاقتصاديّة؛ إذ كيف يمكن لمن لم يكن عاملًا بالقوّة تأهّلًا أن يكون مؤثّرًا بالفعل واقعًا؟!

ولأهميّة أهليّة الإنسان في إقامة واجب الاستخلاف تمكّنًا وقدرةً، وفعلًا وتفاعلًا عني النّصّ القرآنيّ عناية فائقة بالمعوّقات كلّها، وفي مقدّمتها المشكلات الاقتصاديّة، وهو الأمر الّذي يستهوي الباحثين ويدعوهم إلى (استثمار النّصّ القرآنيّ في معالجة المشكلات الاقتصاديّة).

أهميّة موضوع البحث:

تكمن أهميّة موضوع البحث في قيمته العلميّة والعمليّة؛ كونه يتناول قضيّة تلامس مشكلات النّاس، وتعسّ معاناة المجتمع اقتصاديًّا، ويحاول معالجة قضاياهم برؤى علميّة عمليّة، جامعة بين عطيّات الوحيّ الرّاشدة، ومثمّرات معارف العقل البشريّ.

سبب اختيار موضوع البحث:

أهميّة موضوع البحث وآثاره المجتمعيّة؛ فإنّه جذوة من الوحيّ، وقبس معرفيّ يسهم في صناعة رؤية واضحة المعالم لصانع القرار، يبدّد من خلالها مشكلات المجتمع الاقتصاديّة، ويرفع أنّات جراحاته.

([205]) ينظر ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، طبعة الدار التونسية للنشر – تونس، (1984 هـ)، (21/ 70).

أهداف موضوع البحث:

يهدف موضوع البحث إلى بيان استثمار النّص القرآنيّ في معالجة المشكلات الاقتصاديّة.

مشكلة موضوع البحث:

تكمن مشكلة موضوع البحث في إيضاح إمكانيّة استثمار النّصّ القرآنيّ في معالجة المشكلات الاقتصاديّة.

المنهج المتّبع:

سلك الباحث منهجًا وصفيًّا استقرائيًّا، واصفًا الظاهرة ومستقرئًا النّصوص القرآنيّة بما يحقّق استثمارها، واغتنام رؤاها لمعالجة المشكلات الاقتصاديّة.

وقد انتظم الموضوع في مقدّمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

المطلب الأوّل: استثمار النّصّ القرآنيّ في تمكين الأفراد من العيش الكريم.

المطلب الثّاني: استثمار النّصّ القرآنيّ في سدّ خلّة المجتمعات.

المطلب الثّالث: استثمار النّصّ القرآنيّ في تفعيل النّشاط الاقتصاديّ.

والخاتمة: وفيها أهمّ النّتائج والتّوصيات.

المطلب الأوّل:

استثمار النّصّ القرآنيّ في تمكين الأفراد من العيش الكريم.

لمّا كان الإنسان معقد عمارة الكون، وعنوان تحقّق الاستخلاف فيه عني به النّصّ القرآنيّ، وخصّ تفصيلات حياته بمزيد نظر، خاصّة المشكلات الاقتصاديّة؛ فإنّه وضع لها معالجات خاصّة وعامّة، من ذلك أنّ الله كرّم النّوع الإنسانيّ، وجعله نفيسًا في ذاته ومعاشه، متمكّنًا من المعارف والصّنائع، قابلًا للتّطور في أساليب حياته وحضارته ، فإنّ الإنسان مكرّم بجميع وجوه الإكرام.

وقد جعل الله معاش الإنسان مقرونًا بأسباب تُرتّب عليها المصالح وتقرن بها، غير أنّها قد تعثر الأسباب وتتخلّف مسبّباتها، وشأن ذلك تعكير صفو العيش الكريم؛ فجعل النّصّ القرآنيّ معالجات ناجعة دالّة على جنسها ومثيلاتها ، فاليتم حالة من مظنونات الضّعف الإنسانيّ، والتّنغيص الاقتصاديّ، عظمت معالجاتها، فجاءت معطيات الوحيّ ناصّة على إواء اليتيم وتعاهده، وعدم قهره[206]، وحاضّة على كفالته ورعايته، وعدّت خير بيت في المسلمين بيتًا فيه يتيم يحسن إليه، وشرّ بيت بيتًا فيه يتيم لا يحسن إليه[207]، وحذّرت من كلّ أساليب أكل ماله مباشرة كانت أم غير مباشرة، من تحايل وتغرير وممانعة ونحو ذلك[208].

ثمّ جاء العقل الإنسانيّ الفقهيّ المقتدر من مكنونات النّصّ، المتمهّر في دلالاته، جاء سابرًا أغواره، ناظرًا أسراره، مستنبطًا أحكامه وحِكمه؛ مقرّرًا وجوب كفالة اليتيم وتأديبه، بل جعلها من آكد الواجبات؛ "صونًا له إذا أهمل من فساد طبيعته، وعيثه بالضرر في أهل جبلّته"[209]. كما تعاطى العقل البشريّ مع النّصّ تعاطيًا واقعيًّا وتوقعيًّا؛ فقرّر مشروعيّة كلّ وسيلة من شأنها إقامة كفالة اليتيم بصورة مثلى، ممّا لم يرد فيها نهي، ولا في معنى ما ورد فيه النّهي، من ذلك إنشاء مؤسّسات تعنى باليتيم كفالة ورعاية تربية وتعليمًا وتأهيلًا، وصاغ جملة من عقود الإرفاق مشروعات استثمارية، وقفًا ونذرًا وهبة ونحوها، وجعل ذلك فرضًا متأرجحًا بين الكفائي والعينيّ وفقًا وحيثيات كلّ منهما؛ تكريمًا لليتيم، ليكون عنصرًا إيجابيًّا في المجتمع.

([206]) قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (الضحى: ٦ – ٩).

([207]) عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين) يشير بإصبعيه. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، الأدب المفرد، باب خير بيت بيت فيه يتيم يحسن إليه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، (1409هـ – 1989م)، (ص 61)، برقم (137).

([208]) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠).

([209]) القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1418 هـ)، (470/9).

ومن تلك الحالات الّتي تناولها النّصّ القرآنيّ مثالًا لجنسها المسكنة ، فالمسكين من يملك مالًا لا يقع كفايته؛ فيتقاصر النّاس عن الالتفات إليه، ويغضّون أبصارهم عنه؛ لأنّ المال خيّل لهم عدم حاجته[210]، وهو أمر ينسب صاحبه إلى التّقصير[211]؛ فإنّ الوحي أوجب الإحسان إلى المسكين وإطعامه، وفرض له حقًّا في مال الزّكاة، وهذا الواجب يحتّم التماس كلّ وسيلة توصل الحقّ إلى مستحقّه؛ فكان التّعنيف والتّشنيع على أشدّه نكارة وتوبيخًا بشأن كلّ ما يصدق عليه أنّه تقصير، من ذلك تخلّف المجتمع عن التّواصي والحضّ على الإحسان إلى المسكين وإطعامه[212]؛ لأنّ " أفراد الأمّة متكافلون. وإنّه يجب أن يكون لبعضهم على بعض عطف بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، مع التزام كلّ لما يأمر به، وابتعاده عما ينهى عنه"[213]. وإنّ أمّة لا يحضّ بعضها بعضًا على إطعام المسكين أنّى لها المسارعة في إطعامه، فهذا من باب أولى.

ومن مخرجات العقل البشريّ حرصه المتفاعل على تحقّق كفاية المسكين؛ فإنّ حضّ الشّارع على الإطعام في حقيقته أمر بتحصيل كلّ ما من شأنه سدّ حاجته وحصول كفايته جسمًا وعقلًا وشهوة، إحسانًا وإطعامًا، رعاية ومعالجة، تعليمًا وتدريبًا، تسكينًا وتزويجًا، وشراء آلة إنتاج" وسائر ما لا بدّ منه على ما يليق بالحال، من غير إسراف ولا تقتير للشّخص، ولمن هو في نفقته"[214] العمر الغالب.

المطلب الثّاني:

استثمار النّصّ القرآنيّ في سدّ خلّة المجتمعات:

إنّ صناعة أمن المجتمعات، وقيام استقرارها: الدّينيّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والسّياسيّ يعتمد كليًّا على سدّ خلته، وتلبية حاجياته عاجلًا وآجلًا؛ إذ كيف يمكن لمجتمع تقصر به النّفقة في تلبية متطلّباته الآنيّة العاجلة أن يحلم برغد العيش والتّنمية، أو التّطلّع إلى المستقبل بنظرة مبلّلة بالأمل، فضلًا عن أن يقوم بالرّسالة، ويؤدّي واجب الشّهادة على النّاس؟!

ولمّا كان الأمر من الأهميّة بمكان جاء النّصّ القرآنيّ مستوعبًا مسارب الإضعاف، ومتلمّسًا ثقوب الإسقاط، آخذًا بحُجز القوّة، ونواصي التّمكين، فإنّ النّصّ القرآنيّ جاء جامعًا ألوان الضّعف المجتمعيّ، المستنزف لموارد القوّة كلّها إن لم يُحسن معها صُنعًا، وهي في الحقيقة مواطن القوّة ومؤل المجتمعات؛ لأنّ الله جعلها طهرة من كلّ رِجس ونقيصة.

([210]) قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (سورة الكهف: آية ٧٩).

([211]) قال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ (سورة المدثر: آية ٤٢ – ٤٤).

([212]) قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (سورة الحاقة: آية ٣٣ – ٣٤).

([213]) القاسمي، محاسن التأويل، (470/9).

([214]) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (1412هـ – 1991م)، (311/2).

ولأهميّة الأمر وعظم منزلته حدّد الوحي المستحقّين للمال الواجب من فقراء ومساكين، مستثنيًا منهم كلّ غنيّ ذي مرّة سويّ، قويًّا شديدًا سليم الأعضاء[215]، وكذا العاملين عليها، وهم من اتّخذهم الحاكم لجمع المال وتوزيعه، وأنّه لا حقّ لهم غير ما قُرّر وإلّا فإنّه خيانة،[216]، إضافة إلى المؤلّفة قلوبهم، الّذين يُستمالون إلى الإسلام ثباتًا عليه أو نصرة له، أو دفعًا لعداوتهم، وتحرير المماليك من رقّ العبوديّة، وسداد الدّيون الواقعة من طاعة أو مباح، وفي سبيل الله، وهم المجاهدون الّذين يعلون كلمة الله، ويدفعون عن الدّين وأهله السوء، كما بيّن من تحلّ له المسألة ممّن لا تحلّ[217]، وابن السّبيل، الّذي خصّه الوحي بمزيد إحسان وعناية[218]؛ فجعل له حقًّا في الزّكاة والفيء والغنيمة[219].

استثار النّصّ القرآنيّ العقل الفقهيّ، وهزّ مكنوزه المعرفيّ؛ ليفزّ إلى مغارز هذه المعاني الكليّة ويستثمرها، وينهض إلى مواطن النّظر فيستصلحها، ويخرج للحياة معالجات متساوقة ومستجدّات مشكلات المجتمع الاقتصاديّة، يبرأ بها الحاضر، ويُحصّن بها المستقبل؛ لأنّ الله " جعل الصدقة في معنيين: أحدهما سدّ خلّة المسلمين. والآخر معونة الإسلام وتقويته"[220]، من ذلك استيعاب المستحقين

([215]) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي) أخرجه أبو داود في سننه، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، أبواب الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى، تحقيق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، طبعة دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، (1430 هـ – 2009 م)، (76/3)، (1634).

([216]) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هدايا العمال غلول)، أخرجه أحمد في مسنده، ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1421 هـ – 2001 م)، (23601).

([217]) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لعامل عليها، أو لغاز في سبيل الله، أو غني اشتراها بماله، أو فقير تصدق عليه، فأهداها لغني أو غارم) أخرجه ابن ماجه في سننه، ابن ماجه: أبو عبد الله محمد ابن يزيد القزويني (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، أبواب الزكاة، باب من تحل له الصدقة، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، طبعة دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، (1430 هـ – 2009 م)، (3/ 49)، (1841).

([218]) قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ (سورة النساء: آية ٣٦).

([219]) قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (سورة الأنفال: آية 41).

([220]) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، (1422 هـ – 2001 م)، (11/ 523).

بالعطاء، وإعطاء ثلاثة من كلّ صنف، وإعطاؤهم العمر الغالب، وأنّ الإعطاء إغناء، وتلبية للكفاية من أكل وشرب وسكن، وزواج ومواصلات، واستشفاء ومعالجات وآلات إنتاج، واستيعاب مستجدّات الحاجات من تشريد ولجواء ونحو ذلك، وتأهيل العاملين، وتطوير معارفهم ومهاراتهم، وحصولهم على أجرة المثل، وأنّ هدايا العمال غلول، وأنّه يمكن إعطاء الحكومات غير المسلمة لتناصر الإسلام والمسلمين في المحافل الدّوليّة، ومناصرة القضايا الحقوقيّة للمسلمين، من خلال مشروعات إنسانيّة، كما يمكن فكّ الأسارى، وإنشاء مؤسّسات رعاية المسلمين الجدد، وتحرير الشّعوب المسلمة المحتلّة من الكافرين، وذلك من سهم المؤلّفة قلوبهم، وإعانة المتضرّرين من الكوارث والجوائح، وإقامة مشروعات تنمويّة مجتمعيّة نهضويّة، وخدمات عامّة، يقوم بذلك أفراد أو مؤسّسات ثمّ يعطون من سهم الغارمين، وإقامة الصناعات الحربية، ومراكز البحوث المعرفيّة العسكرية للابتكار والتّطوير، ومجالات الإعلام الدّاعي إلى دين الله بأنواعه المختلفة، وكلّ ما من شأنه إعداد أسباب قوّة الأمّة إفادة من سهم في سبيل الله، كذلك يُفاد من سهم ابن السبيل (من أنشأ سفرًا، أو كان مجتازًا) في دعم الطّلّاب المبتعثين، والاختصاصيّين والخبراء، الّذين يسافرون ولا يجدون ما يحقّق الغاية؛ فيُعطون نفقاتهم ذهابًا وإيابًا وإقامةً(على تفصيل في نفقة الإقامة)، وفي معنى ذلك اللّاجئون والمشرّدون واللّقطاء. كلّ ذلك مع الاجتهاد المستمر في وجود بيانات موثوقة لكلّ الحالات، مشخّصة أنواعها وتفصيلاتها وحاجاتها.

المطلب الثّالث:

استثمار النّصّ القرآنيّ في تفعيل النّشاط الاقتصاديّ.

تعيش المجتمعات المسلمة عثارًا اقتصاديًّا وضنكًا معيشيًّا، يلقي بكلّ أسباب الوهن، وعنوانات الضّعف، ويخطّ في وجوه المجتمعات قسمات الكآبة، وهو الأمر الّذي يستدعي ألفاظ التّعجب من وُكُناتها! ويفرغ معاجم الحيرة من ألفاظها، ويرسل بساط التّساؤلات، كيف يكون ذلك؟ ألسنا نملك من نصوص الوحيّ ما يجعل النّشاط الاقتصاديّ أوّل الأولويات، ورأس الاهتمامات؟! أين استثمار النّصّ القرآنيّ في تفعيل النّشاط الاقتصاديّ؟ وهي أمانة عظيمة تحمّلها كلّ مسلم حسب قدرته وطاقته ومسؤولياتهوإنّ واجب التّحمل أداء.

ومن لطف الله بالإنسان أن جاء النّصّ القرآنيّ فاسحًا كلّ ألوان النّشاط الاقتصاديّ وأشكاله ما لم يكن منهيًّا عنه، أو في معنى ما نُهي عنه، وهو شيء يسير لا يعدّ شيئًا مذكورًا ، فالله أحلّ كلّ بيع تبايعه المتبايعان جائزي الأمر فيما تبايعاه عن تراض منهما، ممّا لم ينه عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الأصل في البيوع كلّها الإباحة[221].

وقد نظّم الوحي العقود والتّواصل البشريّ في قاعدة ، والباطل كلّ أنواع المكاسب غير الشّرعيّة، " كأنواع الرّبا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحِيَل" [222]، وحضّ على الوفاء بالالتزامات كلّها حفظًا للمصالح، ودفعًا لتعطيل السّير الحياتيّ؛ لأنّ العقود شرعت لسدّ حاجات الأمّة، والأمر منه سبحانه للوجوب؛ فإنّ الإيفاء بالعقد لمن التزمه واجب عليه.

([221]) ينظر الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي، (ت 204 ه)، الأم، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، طبعة دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، (2001 م)، (4/ 5).

([222]) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774ه)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1420ه – 1999 م)، (2/ 268).

وقد نوّع الشّارع العقود بيعًا وشراء، إجارة[223]، وجعالة[224]، مزارعة ومساقاة[225]، قراضًا وشركة[226]، وكالة وصلحًا[227]، وديعة وعاريّة، رهنًا وضمانًا[228]، وقفًا وهبة[229]، وأمر بالإشهاد عليها[230]، وكتابة الحقوق[231]؛ ليحصي هذا التّنوّع كلّ صغير وكبير من تواصلات البشر، ويُحكم ذلك في عدل وحفظ وسلامة، ممّا يصنع نشاطًا اقتصاديًّا نشطًا متطوّرًا، يواكب تفاعلات الحياة، ويلبّي تطلّبات النّفس البشريّة، وسعارها الرّغبويّ، دون بطر أو غمط.

([223]) قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ (سورة القصص: آية ٢٦).

([224]) قال تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾ (سورة يوسف: آية 72).

([225]) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع) أخرجه البخاري في صحيحه، البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت 256)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب المزارعة، باب المزارعة بالشطر ونحوه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، (1407 هـ - 1987م)، (2/ 820)، (2203)، ومسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب المساقاة، باب المساقاة، والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت، (3/ 1186)، (1551).

([226]) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان خرجت من بينهما) أخرجه الحاكم في المستدرك، الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري الحاكم (ت: 405هـ)، وقال: "وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، (1411 هـ- 1990 م)، (2/ 60)، (2322).

([227]) عن عروة البارقي رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه دينارًا يشتري له به شاة، فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه)، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه و سلم آية فأراهم انشقاق القمر، (3/ 1332)، (3443).

([228]) قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٨٣).

([229])عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب أصاب أرضًا بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه و سلم يستأمره فيها، فقال يا رسول الله إني أصبت أرضًا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به ؟ قال (إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها). قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، (2/ 982)، (2586)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوقف، (3/ 1255)، (1632).

([230]) قال تعالى: ﴿ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٨٢).

لمّا كانت نصوص الوحيّ عذبة المورد، خصبة المرعى استهوت العقل الفقهيّ؛ فأخذ يرسل وارده، ويدلي دلوه، وينفش فيه نظره راجعًا بالبُشرى، من ذلك أنّ منهج التّعاطي مع ما تقذفه الحياة من بياعات، ومستجدّات العقود من معاملات يعتمد أصلَ الإباحة عند انتفاء المعارضة، ويراعي حقائق الأمور ومآلاتها، من مصالح تستجلب ومفاسد تدرأ، وأنّ النّشاط الاقتصاديّ وجد ليمكّن الإنسان من الكفاية، والهناءة، والمجتمعات من التّنمية والتّطوّر في أمن عريض عن المستورد بن شداد رضي الله عنه، قال: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: (مَن كان لنا عاملًا فليكتسب زوجة؛ فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنًا) قال: قال أبو بكر: أخبرت أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم – قال: (من اتّخذ غير ذلك فهو غال أو سارق) [232]، فإنّ من حقوق العامل " السكنى والخدمة، فإن لم يكن له مسكن وخادم استؤجر له من يخدمه فيكفيه مهنة مثله، ويُكترى له مسكن يسكنه مدة مقامه في عمله" [233]، فالعامل في بيت المال يأخذ ممّا في تصرفه قدر مهر زوجة ونفقتها وكسوتها، ومسكن، دون إسراف وتنعّم، وله أخذ ما يحتاج إليه ضرورة بلا زيادة.

فاجتهد العقل الإنسانيّ لصناعة شبكة علاقات اقتصاديّة آمنة من خلال المصارف الإسلاميّة، وقنّن معاملاتها، وأرسى قواعد تعاملاتها، وضبط تواصلاتها واتصالها بالبنوك التّقليديّة، وأسواق المال وغيرها، كما حَوْسب أنظمتها، وأبان طرائق الضّمانات والتّأمينات، وعمد إلى العقود فجدّد صورها وحفظ قُصدها؛ لتكون مركّبة من مجموعة عقود جائزة التّصرف مع التّيقّظ للمحترزات، والتّنبّه للاعتراضات، مثل عقود المقاولات والتّصنيعات، والتّمويلات والتّوريدات، والصّيانات، وأقام الشّركات، ونوّع مصادر تمويلها من خلال الأسهم والصّكوك وغير ذلك، وفتح أبواب التّواصل الاقتصاديّ مع العالم كلّه بما يحقّق إسعاد الإنسان في غير حرام صرف، وما كان دون ذلك حاكمه إلى المصالح الشّرعيّة والقواعد المرعيّة.

الخاتمة

يبقى النّصّ القرآنيّ عظيم الثراء، واسع العطاء، يساقط ثمرًا مباركًا بإذن ربّه، رحمة ورضا.

النتائج:

1- عالج النّصّ القرآنيّ صورًا من مظنونات الضّعف في الأمّة دالّة على جنسها ومثيلاتها، من ذلك اليتيم والمسكين، فجاءت معطيات الوحيّ ناصّة على الإحسان إليهما وتعاهدهما، والتّعنيف والتّشنيع على أشدّه نكارة وتوبيخًا بشأن كلّ ما يصدق عليه أنّه تقصير في حقّهما.

([231])قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٨٢).

([232]) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في أرزاق العمال، (4/ 566)،(2945).

([233]) الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، معالم السنن، طبعة المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى (1351 هـ – 1932 م)، (3/ 7).

2- حدّد النّصّ القرآنيّ المستحقّين للمال الواجب، جامعًا جماع الضّعف المجتمعيّ، مرشدًا إلى أنّ صناعة أمن المجتمعات، وقيام استقرارها: الدّينيّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والسّياسيّ يعتمد كليًّا على سدّ خلّته، وتلبية حاجياته عاجلًا وآجلًا.

3- تفاعل العقل البشريّ المؤهّل مستثمرًا النّصّ القرآنيّ فقرّر أنّ حضّ الشّارع على إطعام أجناس الضّعف في حقيقته أمر بتحصيل كلّ ما من شأنه سدّ حاجتهم وتحصيل كفاياتهم جسمًا وعقلًا وشهوة، إحسانًا وإطعامًا، رعاية ومعالجة، تعليمًا وتدريبًا، تسكينًا وتزويجًا، وشراء آلة إنتاج وسائر ما لا بدّ منه على ما يليق بالحال، من غير إسراف ولا تقتير للشّخص، ولمن هو في نفقته العمرَ الغالب.

4- نوّع الشّارع العقود ليحصي هذا التّنوّع كلّ صغير وكبير من تواصلات البشر، ويُحكم ذلك في عدل وحفظ وسلامة، ممّا يصنع نشاطًا اقتصاديًّا نشطًا متطوّرًا، يواكب تفاعلات الحياة، ويلبّي تطلّبات النّفس البشريّة، وسُعارها الرّغبويّ، دون بطر أو غمط.

5- أدرك العقل الفقهيّ خبرةً ومعرفةً أنّ منهج التّعاطي مع ما تقذفه الحياة من بياعات، ومستجدّات العقود من معاملات يعتمد أصلَ الإباحة عند انتفاء المعارضة، ويراعي حقائق الأمور ومآلاتها، من مصالح تستجلب ومفاسد تدرأ، وأنّ النشاط الاقتصاديّ وجد ليمكّن الإنسان من الكفاية، والهناءة، والمجتمعات من التّنمية والتّطوّر.

6- اجتهد العقل الإنسانيّ لصناعة شبكة علاقات اقتصاديّة آمنة من خلال المصارف الإسلاميّة، وعمد إلى العقود فجدّد صورها وحفظ قُصدها؛ لتكون مركّبة من مجموعة عقود جائزة التّصرّف مع التّيقّظ للمحترزات، والتّنبّه للاعتراضات، مثل عقود المقاولات والتّصنيعات ونحوها، وأقام الشّركات، ونوّع مصادر تمويلها من خلال الأسهم والصّكوك وغير ذلك، وفتح أبواب التّواصل الاقتصاديّ مع العالم كلّه بما يحقّق إسعاد الإنسان في غير حرام صرف، وما كان دون ذلك حاكمه إلى المصالح الشّرعيّة والقواعد المرعيّة.

التّوصيات:

1- العناية بالدّراسات القرآنيّة المرتبطة بالإنسان والأرض والموارد، وإمكاناتها في التّطوّر المجتمعيّ.

2- دراسة موضوعات تعنى بالشّأن اليمنيّ من خلال النّصّ القرآنيّ، من ذلك مثلًا: (موارد اليمن وآثارها في تحقيق رغد العيش في ضوء سورة سبأ).

المصادر والمراجع:

1- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1421 هـ – 2001 م).

2- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، طبعة الدار التونسية للنشر – تونس، (1984 هـ)، (21/ 70).

3- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1420هـ – 1999 م).

4- ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، طبعة دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، (1430 هـ – 2009 م).

5- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، ، تحقيق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، طبعة دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، (1430 هـ – 2009 م).

6- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت 256)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، (1407 هـ – 1987م).

7- البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، (1409هـ – 1989م).

8- الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري الحاكم (ت: 405هـ)، وقال: "وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، (1411 هـ– 1990 م).

9- الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، معالم السنن، طبعة المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى (1351 هـ – 1932 م).

10- الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي، (ت 204 هـ)، الأم، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، طبعة دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، (2001 م).

11- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، (1422 هـ - 2001 م).

12- القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1418 هـ).

13- مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.

14- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (1412هـ - 1991م)، (311/2).

لوازم وضوابط معاير الخطيب الناجح بين الواقع والطموح

أ.د. ضياء محمد محمود المشهداني

الجامعة العراقية كلية العلوم الإسلامية قسم الحديث

الملخص

الإسلام الحنيف، فيه الحل لكل مشاكلنا اليوم، فهو دواء لمعالجة، سوء الأخلاق، وبنائها بعيداً عن العنف والتطرف، الذي خطط إليه أعداء الإسلام من خلال إشاعة روح الفساد والإفساد للقيم الأخلاقية التي بناها الإسلام الحنيف، فقصدهم هدم المعاني السامية التي تدعو إلى القيم الأخلاقية ،فمن هذا وغيره أحببت أن أكتب هذا البحث ، لبيان أهمية الخطيب الناجح في حياة الفرد والأمة والمجتمع والدولة، في ظل السنة النبوية، إذ انعدام الأخلاق، نتيجة لإهمال الدولة، والمصلحين بل حتى الأفراد، لهذا الجانب ولعدم التطبيق السليم للقرآن والسنة النبوية هدمت أسس المنظومة الخلقية، فلذلك كان موضوع بحثي بعنوان (لوازم وضوابط معاير الخطيب الناجح بين الواقع والطموح).

Abstract

True Islamic as the solution to all our problems today. It is a medicine to treat bad morals and build them away from violence and extremism, which the enemies of Islam planned by spreading the spirit of corruption and corruption of the moral values that were built by true Islam. Their intention is to destroy the sublime meanings that call for moral values. It is from this and others that I liked to write this research, to show the importance of a successful orator in the life of the individual, the nation, society and the state, in light of the Prophet's Sunnah, as the lack of morals, as a result of the neglect of the state, reformers and even individuals, for this aspect and the lack of proper application of the Qur'an and the Sunnah of the Prophet demolished the foundations of the moral system Therefore, the subject of my research was entitled (Nutrients and Controls of Criteria for a Successful Orator, Between Reality and Ambition).

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا من المسلمين، وله الحمد والشكر إذ بعث فينا خاتم النبيين والمرسلين، ليعلّمنا أحكام الدين، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[234].

أما بعد:

فإن حال الإسلام والمسلمين وما آل إليه وضعهم السياسي والاجتماعي والثقافي، بل وحتى الديني والإيماني ،يجعل من يشعر بانتمائه إلى هذا الدين العظيم وتلك الأمة الوسط، أن يحاول بما في وسعه إصلاح ما قد فسد ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولعل في تشخيص الداء والمرض كما قيل نصف العلاج أو نصف الطريق الى العلاج، وإنني ومن هذا المنطلق أحببت أَن اشغل الفكر وأُعمِل النظر واسخر جزءاً من عمر الشباب بغية الوصول إلى ما يسهم في إصلاح الحال وسلامة الأجيال، فكان موضوع بحثي هذا بعنوان " **لوازم وضوابط معاير الخطيب الناجح بين الواقع والطموح**".

وكلي أمل في أن يوضح هذا البحث تلك الحدود والواجبات والحقوق والمسؤوليات في تحديد لوازم وضوابط الخطيب الناجح من خلال عرضها على الواقع المعاصر للنهوض بالخطاب الديني المعتدل ومن خلاله النهوض بالفرد والمجتمع ويتمثل ذلك أن الخطيب القويم ذا التأثير والتفاعل مع الآخرين هو ذلك الذي عرف حدود حريته وحدود مسؤوليته أمام نفسه وأهله ودينه ووطنه، وهو الذي لا يضع نفسه إلا في المحل المناسب لها والمناسب لطاقاتها فيصدق فيه القول: **(رَحِم اللهُ امرَءاً عَرَفَ قَدْرَ نفسه)**[235] وَمنْ عَرَفَ قَدْرَ نفسه يعرف للآخرين قدرهم ويكون بذلك حكيماً، إذْ وضعَ الشيءَ في محله، ولا يكون ذلك إلا بالأخلاق، ولكن عندما يفقد الخطيب ذلك الأمر، اعني الاخلاق تجاه نفسه والآخرين فهو بلا شك بعيدٌ عن القيم الأخلاقية وعن وضع الأشياء في محلها، وفي ذلك القدر الكافي لإفساد المجتمع، وهو ما حذَّر منه النبي ﷺ بقوله: ((إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فارتقب الساعة))[236]، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، معناه غياب العقل

والحكمة ، والأخلاق، وغياب العدل والحق والمنطق السليم، وغياب الإحساس بالمسؤولية، وفي ذلك تضييع للأمانة ومنَ ثَمَّ اقرأ على المجتمع السلام وكبِّر عليه أربعاً.

والإسلام الحنيف، فيه الحل لكل مشاكلنا اليوم، والمتأمل يجد ذلك واضحاً فيه، فهو دواء لمعالجة، سوء الاخلاق، وبنائها بعيداً عن العنف والتطرف، الذي خطط إليه أعداء الإسلام من خلال إشاعة روح الفساد والإفساد للقيم الأخلاقية التي بناها الإسلام الحنيف،

---

[234] سورة الجمعة الآية: 2.

(235) ينسب إلى عمر بن عبد العزيز ينظر: فيض القدير تأليف: عبد الرؤوف المناوي، 29/4.

(236) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه :كتاب العلم ، باب: بَاب مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ فَأَتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ، 33/1 (59).

فقصدهم هدم المعاني السامية التي تدعو إلى القيم الأخلاقية ،فمن هذا وغيره أحببت أن أكتب هذا البحث ،لبيان أهمية الخطيب الناجح في حياة الفرد والأمة والمجتمع والدولة، في ظل السنة النبوية، إذ انعدام الاخلاق، نتيجة لإهمال الدولة، والمصلحين بل حتى الأفراد، لهذا الجانب ولعدم التطبيق السليم للقرآن والسنة النبوية هدمت أسس المنظومة الخلقية، وما هذا البحث إلا تذكيراً لأهمية هذا الجانب العظيم، في الكتاب والسنة وأثرهما في بناء المنظومة الخلقية ففيهما حل لكل شيء ، فلذلك كان موضوع بحثي بعنوان **(لوازم وضوابط معاير الخطيب الناجح بين الواقع والطموح)** وللإسلام منهجه المتفرد في تحقيق ذلك ومكافحة الانحرافات الدخيلة علينا، فهو يهتم بالجوانب التربوية والوقائية التي تمنع وقوع ذلك أصلًا، كما يهتم بالجوانب الزجرية والعقابية التي تمحو آثاره، وتمنع من معاودته وتكراره، وكل هذا يقع على عاتق الخطيب في بيان ذلك للمجتمع.

وهذا بخلاف ما عليه المناهج البشرية، والقوانين الوضعية التي تهتم بمعالجة بعد وقوعه أكثر من اهتمامها بمنع حدوثه ابتداءً.

واقتضت طبيعة الدراسة أن يقسم البحث الى مقدمة ومبحثين وخاتمة

المبحث الأول: لوازم الخطيب الناجح بين الواقع والطموح.

المبحث الثاني: ضوابط الخطيب الناجح بين الواقع والطموح.

وبعد هذه الرحلة مع هذا البحث، كانت الخاتمة فذكرت فيها أهم ما توصلت إليه. وجعلت فيها توصيات للعاملين في مجال التعليم ومقترحات لهم.

وإني لأرجو التوفيق في هذا البحث، الذي تأتي أهميته من الظروف القاسية التي يمر بها العراق العزيز خصوصاً والأمة العربية والإسلامية عموماً، والتي تحتم علينا تحمل المسؤولية والشعور بها. وتنشئة الأجيال عليها. وإن اعترى هذا البحث نقصٌ أو زلل فإن الكمال لله وحده ولكتابه العزيز. والله الكريم أسأل أن يتقبله بقبول حسن إنه نعم المؤملُ.

المبحث الأول: لوازم المسؤولية

المطلب الأول: الإلزام والالتزام الشرعي والوضعي للخطيب .

المسؤولية من حيث كونها إلزام والتزام على نوعين: مسؤولية شرعية ومسؤولية وضعية.

أما الأولى: فهي كل ما في الشريعة الإسلامية من أخلاق ومبادئ وقيم وعبادات ومعاملات ونظم على وجه التكليف والإلزام، وبالتالي فان ما قرره القرآن الكريم من حقوق وواجبات والسنة المطهرة الصحيحة وغيرهما من مصادر الشرعية الإسلامية، مما اكتسب صفة الإلزام الشرعي، فهو داخل ضمن المسؤولية الشرعية للخطيب ، وكذلك كل ما عرف عرفاً وما اتخذ عادة وسلوكاً او شرط كشرط مما لا يخالف نصاً صريحاً من كتاب الله– عز وجل– أو سنة نبيه، أو ما علم من الدين بالضرورة.

وعليه فان الكل مسؤول والكل ملزم، وكما قال عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهل وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته)[237].

أما المسؤولية القانونية: فهي تلك القوانين والشروط والالتزامات التي سنها البشر وخطتها أناملهم مما لا علاقة له بالدين بل بالدنيا وفرضت بسيف السلطان على الناس، وحكم به عنوة وقسراً أو بناء على المصالح الدنيوية مما استنتجته العقول وبشرته من التجارب وأيام الدهر.

والذي يخص بحثنا وموضوعنا هو النوع الأول الذي يتعلق به شأن الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة ودور الخطيب في ترسيخ القيم للفرد والمجتمع من خلال مسؤوليته.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[238].

فهذا النوع له علاقة وثيقة وأثر كبير على الإنسان ومستقبله الدنيوي والاخروي، ثم إن هذه المسؤولية الشرعية على قسمين:

الأول: مسؤولية خاصة ذاتية

الثاني: مسؤولية عامة جماعية

وبدايةً أقول: إن عنوان المسؤولية يشعرك من أول وهلة بأمرين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الأخر، وهو معنى الإلزام ومعنى الجزاء.

---

(237) البخاري (1/284-285)، ومسلم (3/149).
(238) سورة طه: الآيتان 123-124.

وهذين الأمرين وكأنهما ركنان في معنى المسؤولية، فالمعنى الأول جامعٌ لكل الأوصاف والألفاظ المشتركة في أداء معنى المسؤولية من (الغرض، الواجب، والأمانة...)، فكلها تعنى الالتزام في قدر كبير مشترك بينها سواء كان الملزم شرعاً أم عرفاً أم قانوناً.

والمعنى الثاني يعطي العنوان خصوصية إسلامية من حيث كون الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة لمن يقوم بما هو مسؤول عنه على أكمل صورة أو من لا يكلف نفسه حتى بمعرفة ما هو ملقى على عاتقه ومسؤول عنه.

وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[239]. ففي الآية الكريمة معنى الإلزام ومعنى الجزاء.

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ المرحوم محمد عبد الله دراز وعدّ ان فكرة الإلزام تستلزم أمرين هما المسؤولية والجزاء فقال:

(يرتبط بفكرة الإلزام ناتجان، يستلزم أحدهما الآخر بدوره، ويؤيده، ويدعمه، هما: فكرة المسؤولية، وفكرة الجزاء)، ثم يقول: (فالإلزام بلا مسؤولية يعني القول بوجود إلزام بلا فرد ملزم، وليس بأقل استحالة من ذلك ان يفترض كائناً ملزماً مسؤولاً، بدون ان تجد هذه الصفات ترجمتها وتحققها في "جزاء" مناسب، فان معنى ذلك تعرية الكلمات من معانيها)[240].

وليس من ضير أن يكون الإلزام قسماً أو قسيماً* ما دام المعنى العام للمسؤولية يشملها.

المطلب الثاني: قيادة العقلانية

وفي هذا المبحث وددتُ الإشارة إلى تلك القوى المتحكمة بأفعال العبد وردود فعله، وتصرفاته، وهي إن صح التعبير عنها قوى العقلانية وقوى العاطفة.

فالمسؤول لابد وأن يكون واقعاً تحت تأثيرها في كل تصرفاته وأفعاله وقراراته وليس من نقص في شخصية المسؤول أن يكون عاطفياً، لكن على أن لا تغلب العاطفة العقلانيةَ ومنطقَ العقل فيه.

ومن هنا كان الرجال قوّامين على النساء من حيث العمومُ؛ لغلبة العاطفة على العقل عند النساء وقِلّة ذلك عند الرِّجال.

وهذه الميزة، هي من قبيل الفضل والكرم الألهي إذ يقول القرآن: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**﴾[241].

---

[239] سورة الإسراء: الآية 14.

[240] دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للاخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق: د. عبد الصبور شاهين، مراجعة: د. السيد محمد بدوي، مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر والتوزيع، ط10، 1418هـ-1998م، ص136.

* إن قلت بان المسؤولية لها أقسام هي الإلزام والجزاء وبالتالي الإلزام هنا قسم المسؤولية وقسيم الجزاء...

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أشار إلى تلك الميزة فيمن يروم قيادة نفسه وغيره بمسؤولية وجدّيّة فقال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين))[242].

وفي رواية أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا رسول الله: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر: فانّك الآن والله أحب إلي من نفسي. فقال: الآن يا عمر))[243].

ففي ذلك إشارةٌ نبويةٌ كريمة إلى أهمية العقلانية في القيادة والمسؤولية ذاك أن هذا الحبّ: "هو الحبّ العقلي الذي يقتضي إيثار وتفضيل الأمور وأَولوياتها بناءً على ما يراه العقل السليم راجحاً مفضّلاً، وإن كان ثمة عائق نفسي أو عاطفي يصعب على النفس تقبله كالدواء المر مع المريض الذي لا تهوى نفسه شِرَبه والانتظام والالتزام به لان العقل أقر نفعه وفائدته"[244].

وينقل الإمام ابن حجر (رحمه الله) عند شرح الحديث فيقول: (فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة والمطمئّنة، فإنّ مَن رجّح جانب المطمئنة كان حبه للنبي ﷺ راجحاً، ومَن رجّح جانب الأَمّارة كان حكمُهُ بالعكس)[245].

إن التأكيد النبوي على الفاروق عمر فيه تأكيد وإشارة واضحةٌ إلى قيادة العقلانية للعاطفة وليس العكس، وهذا أمر لا يجوز غيابه عند المسؤول، أينما كان.

المطلب الثالث: مراعاة الأصلح

والمستقرئ والمتتبع للسيرة النبوية، والخلافة الراشدة، يجد هذا المعنى مطبَقاً فيمن يولى.

فقد عهد الرسول الكريم ﷺ إلى خالد بن الوليد أمر قيادة السرية منذ إسلامه، وقال: (إن خالداً سيف سلّه الله على المشركين)[246].

ولكن قد كان في سيرة خالد ما لا يرضاه رسول الله ﷺ، حتى أنه ﷺ، رفع يديه إلى السماء مرة وقال: (اللهم إني ابرأ إليك مما فعل خالد)[247]، وكان ذلك يوم قتل قوم جذيمة، وسلب أموالهم ولم يكن أمره هذا مبني على أمر قطعي بل على بعض الشبهة، والإسلام لا يجيز ذلك، فقام رسول الله ﷺ فرد عليهم أموالهم وودى قتلاهم، ولكن بقي خالد مقدما في الامارة، والقيادة لجيش الإسلام.

ومراعاة وصف الأصلح من حيث أثره على الآخرين، ومن حيث وجوده في قيادة الأمة مع من يقودها في مجالاتها الأخرى؛ لتحقيق تلك الموازنة في ذلك المقام.

---

(241) سورة النساء: الآية 34.

(242) الحديث: اخرجه البخاري 10/1، ومسلم 49/1، والنسائي 115/8، في رواية أنس ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) فتح للباري، 80/1-81.

(243) الحديث: أخرجه البخاري 10/1.

(244) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان 81/1.

(245) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، 81/1.

(246) الحديث: أخرجه أحمد 8/1، والحاكم (298/3).

(247) الحديث: أخرجه أحمد (151/2)، البخاري (4339) و (7189)، والنسائي (237/8).

لذا يرى ابن تيمية رحمه الله[248]: انه اذا كان خلف الأمير يميل نحو اللين ان يكون نائبه بعكسه، وذكر ان الصديق ﷺ، وهو صاحب القلب الكبير والارادة، والبكاء، وأرحم الأمة بالأمة.

كان قد استعمل خالداً القوي الجلد الشجاع، سيف الله، في حروب أهل الردّة وقد كان الأمر مع الخليفة عمر– رضي الله عنهم أجمعين– مختلفاً من حيث الموازنة.

إذ أراد الفاروق عمر، استعمال أبي عبيدة الجراح، والذي عرف بلينه ورحمته بدلاً عن خالد، حتى لا يغلب على أمر الحكم الشدة والقوة بل تكون ثمة موازنة ضرورية لعدالة الحكم واستمرار المسير.

والصفات هنا منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب ومنها ما هو عقلي ومنها ما هو عملي.

وأهم الصفات: الأمانة، القوة، الشجاعة، الحلم، الأناة، التوكل، ومنها الفهم والاستيعاب، والفراسة والدقة.

ومنها الشعور بالمسؤولية، والنظام، والتضحية، والايثار، والبلاغة وحسن الخطاب، وعدم المساومة.

وثمة شروط في المسؤول لا ينظر إليها من حيث تعلقها بالذات بقدر تعلقها بالآخرين، ومن هذه الصفات صفة (الأصلح)، وفي ذلك يقول النبي[249]صلى الله عليه وسلم (من ولي في أمر المسلمين شيئا، فولّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله)، وفعله ﷺ، يوم فتح مكة مع مفاتيح الكعبة إذ طلبها منه العباس، ليجمع له بين السقاية والسدانة، فأبى الرسول إلا إن يؤدي الأمانة إلى أهلها، فدفعها إلى عثمان؛ إلى بني شيبة ،وانزل الله تعالى قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[250].

ووصف الأصلح بالتأكيد يعني الكفاءة والكفاية التي تتمع بها ذات المسؤول من قوة وأمانة واخلاص وورع، الخ.

ويوم يتعارض أو يكون في الأمر اكثر من شخص تتوفر فيه الصفات المرضية، فاننا نجعل مقياس تقديم زيد على عمرو وصف الاصلح، من حيث الحال والمقام، الذي هو فيه، لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة، قدّم أنفعها لتلك الولاية، وأقلها ضرراً، فيقدم في إمارة الحروب، الرجل القويّ الشجاع، وإن كان فجورا فيها على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا)[251].

---

[248] ينظر: السياسية الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم عبد السلام بن تيمية تحقيق: عصام فارس الحريتاني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ–1993م، ص29.

[249] الحديث أخرجه الحاكم 92/4، عن ابن عباس بنحوه ولفظه (من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين).

[250] سورة النساء: الآيات 58–59.

[251] ينظر: السياسية الشرعية، ص27.

ويعلل ذلك الاختيار الإمام أحمد– رحمه الله– فيقول: (أما الفاجر القوي، فقوَته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوي الفاجر)[252]، وهو يشير إلى معنى الحديث الشريف: (ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)، وروي: (بأقوام لاخلاق لهم)[253].

أما وجود من يجمع بين الأمرين، فهذا هو من يبعثه الله تعالى على رأس كل مائة سنة؛ ليحيي أمر هذا الدين ويجدد صرحه، ولقلة هؤلاء كان الفاروق ﷺ يقول: (اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وضعف الثقة)[254].

المطلب الرابع: المسؤولية بحدود المستطاع

فإنّه (جلّ جلاله) قد حدّد المسؤولية والتكليف بحدود الاستطاعة البشرية إذا توفّرت فيها شروط التكليف، وحصرها في الطّاقة التي زوّد بها العبد، وذلك كرماً وهبة منه سبحانه، فهو الخالق العظيم اللّطيف الحكيم، قال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[255]، وقال سبحانه وتعالى:﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾[256].

وإذا كان مقدار التكليف بمقدار الِهبة الرَّبَّانية للعبد، فإنّ المسؤولياتِ بلا شك؛ تتفاوت على وفق ما أَنعم به المولى، ووفقاً لما يليق بعدالة السماء.

ومن هنا فإنّ مسؤولية الفقير ليست كمسؤولية الغني، وكذا مسؤولية ذي العذر كالمريض، أو الأعرج، أو الأعمى، ومسؤولية من أنعم الله عليه بالصّحة والسلامة مِن كلّ هذا وذاك، في ميادين الحياة ومتطلباتها الدينية والدنيوية من جهاد ورباط وعمل.

كما أنّ التّفاوت بين من نشأ في بيئة مهيأة الظروف والأسباب؛ بأن يتعلم ويتفّهم ماله وما عليه تجاه دينه وخالقه، وتجاه الآخرين، يختلف عن ذاك الذي نشأ وترعرع في بيئة تفتقر إلى كلّ ذلك، وكذا الفرق بين مسؤولية الموّسع والمقتر في ميدان الأنفاق والبذل، وهذا التفاوت سُنّةُ الله تعالى في خلقه[257].

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تحمل هذا المعنى، وتوضّحه للعباد، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾[258].

أمّا عن البيئة المساعدة والمشجّعة على الخير والمعروف، فيقول تعالى: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً**﴾[259].

---

(252) المصدر نفسه: ص27.
(253) الحديث: اخرجه أحمد 309/2، والبخاري، (3062)، (4203)، (6606)، ومسلم، (111)، والدارمي 240/2–241.
(254) ينظر:
(255) سورة البقرة: من الآية 286.
(256) سورة الطلاق: من الآية 65.
(257) ينظر: السنن الإلهية، د.عبد الكريم زيدان، ص85، 272.
(258) سورة النور: الآية 62.
(259) سورة الأحزاب: الآية 30.

فإن مَن تربّى في بيت النّبوة، أو عاش فيه، ليس كغيره، ذاك أَنّ ما يُتلى فيه من الذّكر والآيات وما يُنظر فيه من الرّحمة والبركات والأنوار والمعجزات، هو الذي رفع درجة المسؤولية إلى هذا الحدّ والمقدار.

وإنّ العدل الإلهي في الآية الكريمة بيّنٌ صريح، فكما جعل العذابَ والحساب ضعفين لتوفّر أسباب الهدي والتّقوى، إن هنَّ أتين بفاحشة –حاشاهنّ– –ورضي الله عنهن– أجمعين فكذلك من العدل الرّباني أَن يكون لهنّ الأَجر مرّتين والوعدُ بالرّزق الكريم.

وكذلك أشار القرآن إلى تفاوت المسؤولية على وفق تفاوت النعم والكرم الإلهي على العباد في باب المسؤولية بالنّفقة، إذ يقول جلّ وعلا: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**﴾[260].

وثمة وقفه نشير بها إلى أهمية ذلك التفاوت في تحقيق الامتحان الرّبّاني المشمول بعدله سبحانه وتعالى، إذ أن الفقير الذي لم يُبتلَ بالمال ومسؤوليته تراه مبتلى بالقيام بنعم الله الكبيرة الأخرى عليه، كالصّحة والفراغ والبيئة وغير ذلك من النعم، لذا كان من حكمته جلّ جلاله أن جعل أَساليب الامتحان ومظاهره متنوعة.

يقول د.عبد الرحمن حسن حنبكة: ((ولله حكمته العظيمة في شأن التّفاوت في الهبات والخصائص، منها أن يتمّ نظام الكون بهذا الإبداع الرائع الذي هو عليه، وأن تتكامل عناصره وأجزاؤهِ المختلفة تكاملاً لا نقص فيه ولا خلل، وأن يكون على أَمثل صورة يتم فيها تحقيق ظروف الامتحان الربّاني))[261].

وهذا التفاوت يتناغم وينسجم مع ما بدأنا به الموضوع، وهو أَنّ العباد مكلّفون ومسؤولون كلّ حسب طاقته وسعته، وبالتالي كان من الرّحمة والعدالة الإلهية تفاوت وتنوع تلك المسؤوليات والابتلاءات بتفاوت الوسع والطاقات.

---

(260) سورة الطلاق: الآية 7.

(261) العقيدة الإسلامية وأسسها، ص514.

المبحث الثاني: حدود وضوابط المسؤولية

المطلب الأول: المثالية والواقعية في القدوة والأسوة المحمدية

وتتجلى في قصة نفر من المسلمين على عهد رسول الله إستقلوا الطاعة، والعبادة، فقال أحدهم: أصوم، ولا أفطر، وقال الأخر: أقوم فلا أنام، وقال الثالث: لا أنكح النساء– ظنّاً أنّ هذا هو الشكل الأمثل للقيام بحق المسؤولية الدينية الذاتية، وصل خبرهم للرسول صلى الله عليه وسلم فجمع الناس وقال:

((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أَما والله إِنَي لأخشاكم لله، وأَتقاكم له ؛ لكنّي أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مِنّي))

ونصّ الحديث: ((جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلمّا أُخبروا، كأنهّم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غُفِر له ما تقدّم من ذنبّه وما تأَخّر؟ فقال أحدهم: أمّا أنا، فأنّي أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدَّهر ولا أُفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الّذين قلتم كذا وكذا؟ أَما والله إِنّي لأخشاكم لله، وأتقاكم لله، لكنّي أَصوم وأُفطِر، وأُصلي وأَرقد، وأتزوّج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منّي))[262]. وهكذا فإن الحديث الشريف يوضح حدود المسؤولية الفردية، وما هو مثالي وواقعي في آن واحد، فإن الواقعية في السلوك، والمثالية في السعي ببلوغ أفضل صورة يكون عليها سلوك، فلهما وجهان لحقيقة واحدة.

وأَهم ما يُذكر هنا: أن نعلم بأن النبي ﷺ هو الأصل والقاعدة والأسوة والقدوة والمثل الأعلى الذي تقاس على فعله الأفعال وعلى قوله الأقوال،

والله عزّ وجلّ يقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[263].

فأنّ من كان منشغلاً بالله ورضاه وبأعداد النفس للسؤال فإنّ عليه أن يفهم أن طريقه ومنطلقه وقدوته هو رسول الله ﷺ.

وفي الآية إشارة إلى صفات من قامت به المسؤولية وبانت عليه أثارها. فهو يرجو ما عند ربّه من نعيم دائم، منشغل بتلك الدار التي لا تدخل إلاّ بعد السؤال عن أمور كثيرة ونعم لا تحصى في الدنيا، وأن هذا العبد كان دائم الشعور بالمسؤولية في كل أحواله وأفعاله بدليل أنه من الذّاكرين الله كثيراً.

وبعدما تقدم يمكن وضع بعض النّقاط في حدود المسؤولية وضوابطها:

1. بشرية العباد، يلزم منها بشرية المسؤولية.
2. "أن هذا الدين متين، ولن يشاد الدين أحداً إلاّ غلبه"[264].

---

(262) الحديث، أخرجه البخاري، 2/7.
(263) سورة الأحزاب: الآية 22.

3. ان الله تعالى قد جعل للعبد في شرعه رخصاً وعزائم، وهي تناسب واقعية الإنسان، وما بداخله من طموح.
4. عدم التكلّف ما وجد الأيسر، كان ﷺ يختار من الأمور أيسرها، تقول السيدة عائشة– رضي الله عنها–: (ما خير رسول الله بين امرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن أثماً كان أبعد الناس عنه...)[265]، وقوله ﷺ: (يسرّوا ولا تعسّروا)[266]، وهذا يعين على صدور العبادة والقيام بالمسؤولية عن طيب نفس وانشراح صدر واستمرار بالعمل.
5. الوقوف والتمسك بالقدوة والأسوة ﷺ في الأفعال والأقوال والأحوال والأخلاق، قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[267].

ولابدّ من الوقوف قليلاً عند الرخصة والعزيمة، والكلام عن تلك القاعدة الأصُولية: "الحرج مرفوعٌ عن المكلّفين"[268].

ذاك أن هذه القاعدة معلّلة بعلَّتين:

الأولى: الخوف من الانقطاع وعدم الاستمرار للعمل، أو صدور الفعل عن غير طيب وضجرٍ

وملٍ وكراهية للتَّكليف، وما يشتمله ذلك الخوف من إدخال ما يؤذي الجسد، أو العقل، أو المال.

والنّاس في هذا الأمر على ضربين:

"ضربٌ يحصل له بسبب إدخال نفسه في العمل تلك المشقة الزائدة على المعتاد؛ فتؤثر، أو تحدث له ضجراً، وملاً، وقعوداً عن النشاط إلى ذلك العمل، كما هو الغالب في المكلفين ؛ فمثل هذا لا ينبغي أن يرتكب من الأعمال ما فيه ذلك، بل يترخّص فيه بحسب ما شرع له في الترخّص، إن كان مما لا يجوز تركه أو يتركه، إن كان مما له تركه، وهو مقتضى التعليل؛ ودليله قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا يقضي القاضي بين اثنين، وهو غضبان))[269]، وقوله: ((إنّ لنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، وهو الذي أشار به ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص، حيث بَلَغه انه يسرد الصّوم وقد قال بعد الكِبر: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ[270].

وضربٌ شأنه أن لا يدخل عليه به ذلك الملل، ولا الكسل؛ لوازعٍ هو أَشد من المشقة، أو حادٌّ يسهل به الصعب، أو في العمل من المحبة، ولما حصل له في هذه اللّذة؛ حتّى خَفّ عليه ما ثقل على غيره، وصارت تلك المشقة في حقّه غير مشقة، بل يزيده كثرة

---

[264] الحديث: اخرجه البخاري 39، والنسائي 121/8–128، ونص الحديث ((إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرواح، وشيء من الدلجة)).

[265] الحديث: أخرجه البخاري 230/4، ومسلم 80/7.

[266] الحديث أخرجه أحمد 130/3، والبخاري، 27/1، وفي الأدب المفرد 473، ومسلم، 141/5.

[267] سورة الأحزاب: الآية 21.

[268] ينظر : المغني، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي (ت620هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، الطبعة الثانية، 1412هـ–1992م، 125/3، 126.

[269] الحديث: أخرجه مسلم، 177، والبيهقي، 105/10.

[270] الحديث: أخرجه أحمد، 188/2، والبخاري 51/3، 40/7، ومسلم، 162/3–163.

العمل وكثرة العناء فيه نوراً، وراحةً، أو يحفظ عن تأثير ذلك المشوِّش في العمل بالنّسبة إليه أو لغيره؛ كما جاء في الحديث: "حُبِّب إِليَّ مِنْ دنياكم ثلاثٌ، قال: وجُعِلت قُرّة عيني في الصلاة))[271] وقال ﷺ لما قام حتى تورّمت قدماه: ((أفلا أكون عبداً شكوراً))[272].

وأَما الثانية: الخوف من التقصير إذا ازدحمت عليه الوظائف مع ما كُلّ ـّـّـّـِف به من طاعات وعبادات هي حقٌّ لله على العبد، حتى إذا شغل نفسه بعمل أضطره إلى قطع غيره، لا سيما حقوق الغير، إذ دخوله في عمل جديد يجعله يقصّر في غيره وفيه أيضاً، فيكون ملوماً غير معذور، إذ المطلوب القيام بالكلّ دون الأخلال بأي حق من الحقوق التي يُسأل عنها، حق النفس، وحق الأهل، وقبل هذا وذاك حق الله عزّ وجلّ.

المطلب الثاني: الاعتدالية والوسطية

فالشعور بالمسؤولية ليس إفراطاً وتطرفاً ذاك أن الشعور بها لا يعني التّنطع والتّكلف والمبالغة التي يكون معها تجاوز الحدّ الذي يصلح معه حال الفرد والمجتمع.

كما أن ذلك لا يعني اللامبالاة وترك الأسباب والاعتماد على حصول خوارق العادات ومنهجية "البرَكة".

فأمّا الطرف الأول (الإفراط) فننطلق فيه من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[273].

ومعنى الآية أن الله تبارك وتعالى قد عفا عن أشياء وترك فرضها أو تفصيلها ليكون في الأجمال ثمة سَعة ورحمة، ثم يضرب الله لنا مثلاً ببني إسرائيل فيمن كان قبلنا، (إذ كانوا يشدّدون على أنفسهم بالسؤال عن التكاليف والأحكام، فلما كُتبت عليهم كفروا بها ولو سكتوا عنها وأخذوا الأمور باليسر الذي شاءه الله لعباده ما شُدد عليهم، وما احتملوا التّقصير والكفران)[274].

وقد كان في قصة البقرة التي أمروا بذبحها خير مثال وتبيين فلو ذبحوا أَيّة بقرة لأجزأتهم ولكنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم وقد جاء في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ أنه قال: ((ذروني ما تركتكم. فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فائتمروا ما استطعتم))[275].

وقال رسول الله عليه وسلم ((إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم- غير نسيان- فلا تسألوا عنها))[276].

---

[271] الحديث: أخرجه أحمد، 128/3، والنسائي: 61/7.

[272] الحديث: أخرجه الحميدي، 759، وأحمد، 251/4، ومسلم، 141/8.

[273] سورة المائدة: الآية 101.

[274] ينظر: تفسير الظلال، 986/2.

[275] الحديث: أخرجه أحمد 313/2، ومسلم 91/7.

وبناءً على ذلك، نقول ليس من باب الشّعور بالمسؤولية أن يصل حال العبد إلى هذا المستوى المقيت، فزيادة الشيء عن الحدّ المعقول والمقبول تأتي بنتائج سلبية.

فليس التشديد أو التّنطع أو الوسوسة من قبيل الشعور المحمود بالمسؤولية ذاك أن الشّرع الحنيف إنّما جاء رحمة وكرماً من الله عزّ وجلّ وأنّ ما بُلغّ به الأنبياء والرّسل عليهم الصلاة والسلام من الوحي، إنما مقصوده أن يسعد هذا الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**﴾[277].

بل إن العبد الذي يبالغ ويكثر السؤال حتى يكون سؤاله سبباً في تحريم ما كان مسكوتاً عنه رحمةً ولطفاً من الله، إنما يكون في عداد المجرمين.

قال عليه الصلاة والسلام: ((إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً، من سأل عن شيء لم يحرّم على المسلمين فحرّم عليهم من أجل مسألته))[278].

كما أن سلوك مثل هذا الطريق، يزيد على العبد من طوله و كثرة عثراته فيصل بذا إلى مرحلة الترك للعمل والأمرِ الذي قد زاد بسؤاله وتنطّعه شدةً وعسراً ومشقةً فلا طاقة للعبد على تحمله أو الاستمرار معها على المسير، والمواصلة. لذا قال تعالى عن أولئك الذين كانوا يسألون أنبياءهم ويكثرون مسألتهم، بأنه لما كتب عليهم ما سألوا كفروا به ولم يعملوه.

قال تعالى: ﴿**قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**﴾[279]. ويقول جلّ جلاله عن أصحاب البقرة التي أمروا بذبحها فتنطّعوا: {فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ}[280] (لغلاء ثمنها ولندرة أوصافها والقيود التي كانت بسبب مسألتهم، ولتطويلهم وكثرة مراجعاتهم) [281].

وثمة اعتراض أجاب عليه الإمام القرطبي في المسألة الثامنة وهو يذكر ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**﴾[282].

فيقول رحمه الله: ((إن قائل: ما ذكرتم من كراهية السؤال والنهي عنه يعارضه قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[283].

---

[276] الحديث: أخرجه الحاكم في مستدركه، 129/4، برقم (7114). عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ والهيثمي، علي بن أبي بكر، في مجمع الزوائد، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 171/1. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، والبيهقي، في السنن الكبرى، مكتبة دار الباز مكة المكرّمة، 1414هـ-1994م، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، 12/10. واللفظ له.

[277] سورة طه: من الآية 123.

[278] الحديث: أخرجه مسلم 1831/4.

[279] سورة المائدة: من الآية 102.

[280] سورة البقرة: من الآية 71.

[281] ينظر: تفسير الشوكاني، الفتح القدير 125/1، وحاشية القوني على تفسير البيضاوي 406/3.

[282] سورة المائدة: من الآية 102.

فالجواب؛ أن هذا الذي أَمر الله به عباده هو ما تقرّر وثبت وجوبه مما يجب العمل به، والذي جاء فيه النهي هو ما لم يتعبد الله عباده به، ولم يذكره في كتابه، والله أعلم))[284].

كما ذكر ذلك الجواب الأمام الشوكاني في تفسيره فقال:

((ولا بدّ من تقييد النّهي في هذه الآية بما لا تدعو إليه حاجة كما قدمنا، لأنّ الأمر الذي تدعو الحاجة إليه في أمور الدّين والدّنيا قد أذِن الله بالسؤال عنه، فقال: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[285] وقال ﷺ: "قاتلهم الله ألا سألوا فإنما شفاء العي السؤال"))[286].

[283] سورة النحل: من الآية 43. وسورة الأنبياء : من الآية 7.

[284] أحكام القرآن الكريم 11/ 258، والآية في سورتي، النحل: 43، والأنبياء: 7.

[285] سورة النحل: من الآية 43. وسورة الأنبياء: من الآية 7.

[286] الحديث: أخرجه الحاكم في مستدركه 285/1، برقم (630)، وفي سنن الدارمي 210/1، برقم (752)، وينظر: فتح القدير، 126/1.

المطلب الثالث: إمكان العمل

فليس من المسؤولية في شيء أن تكلِّف بالنقائض والأضداد أو المحال والخيال وإنما ما يكون في الوسع والطّاقة ذاك أن الالزام في المسؤولية مشروط بكونه يسيراً على الطبيعة الإنسانية وبمعنى آخر أن يكون خاضعاً لإرادة الإنسان[287].

قال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا...**﴾[288].

وسبب نزول هذه الآية : أن الصّحابة رضوان الله عليهم اعتقدوا بادئ الأمر بأنهم مؤاخذون على كل شيء لقوله جل وعلا: ﴿**وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[289]. فعن عليّ ﷺ أنه قال، لما نزلت الآية : أحزنتنا قال: قُلنا يُحدِّث أجدُنا نفسه فيحاسب به لا ندري ما يغفر منه ولا ما لاُ يغفَر، فنزلت الآية بعدها فنسختها: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا...**﴾[290].

فظنوا أن كلّ ما يخطر بالقلب مشمول بها، وبالتالي فإن العزائم والأفكار والرّغبات، أو الهواجس، بل وحتى التخيّلات كلّ ذلك مؤاخذون عليه فكان في الأمر من الشّدة والحرج ما كان وقد ورد أنهم أتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الرُّكب وقالوا : يا رسول الله كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصوم والجهاد، والصّدقة، وقد أنزل الله هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله ﷺ: ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا: "سمعنا واطعنا" غفرانك ربنا وإليك المصير)) حتى نزلت الآية التي بعدها لتبين لهم أنّ كلّ ما هو خارج عن طاقة الإنسان وسعته في الفعل أو الترك هو خارج عن نطاق التكليف المأمور به[291]، وكذا أمر الحبّ والبغض والخوف والغضب، فإنها لا إرادية فلا تكون مناط تكليف ولكنّ دواعيها مما يُسأل عنه العبد.

فإن أمر الحب ليس إرادياً وأعلى مثل في هذا محبة الله تعالى ،فإنها حالة عاطفية وكذا محبة رسوله الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أمر ليس إرادياً يمكن أن يُكتسب بأسباب ارادية كالتّفكر والتّأمل في صفات الله عزّ وجل وسعة رحمته وصبره على خلقه ستره وعفوه وكرمه العظيم، بهذا ستتجهُ عاطفة الإنسان نحو فطرته وما جُبل عليه من حبّ من أحسن إليه، وقد ورد في الأثر قوله صلى الله عليه وسلم : ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة))[292] وهنا تجد أن الأمر بحبّ الله أصبح في حيّز المقدور، وداخل في الأرادة بعدما يتفكّر الإنسان بأَن مَن يغذوه يربيه وينعم عليه هو الله جلّ جلاله.

---

[287] دستور الأخلاق، ص87.

[288] سورة البقرة: الآية 286.

[289] سورة البقرة: الآية 284.

[290] سورة البقرة: الآية 286.

[291] ينظر: تفسير القرطبي، 3/ 427.

[292] الحديث أخرجه الترمذي، (3789).

وكذا محبة النّبي ﷺ وقوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه ولده ووالده والنّاس أجمعين))[293] وقول عمر بن الخطاب ﷺ لرسول الله: يا رسول الله لأنت أحبّ إلي من أهلي وولدي والنّاس أجمعين، إلاّ من نفسي، ثمّ ذهب متأمّلاً فعاد مِقرّاً معترفاً يشهدِ الرسولَ ﷺ بأنّه أحبّ إليه من نفسه.

وكذا الغضب في قوله ﷺ: ((لا تغضب))[294] فإن الأمر متوجه إلى آثار تلك العاطفة وليس إلى أسبابها... اي أن وقعت في هذا الحال، فاياك أن تفعل فيه ما أنت محاسب مسئول عنه.

أما قضية التكليف بما لا يطاق واختلاف أهل الكلام فيها فليس محلها ههنا.

[293] الحديث: أخرجه أحمد، 177/3 و275، ومسلم، وابن ماجة، (67)، والبخاري، (15).

[294] الحديث: أخرجه البخاري، 2267/5، صحيح بن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت 354هـ)، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ- 1993م، بيروت، 531/1.

المطلب الرابع: اليسر العملي.

"أن يكون هذا النشاط ميسّراً في واقع الحياة المحسوسة، أي يمكن ممارسته، وغير استبدادي"[295].

ومعنى ذلك أن العبد ليس مسؤولاً عمّا إن فعله أدى به إلى مشقة أو مهلكة أو عمّا إن تركه كان في الأمر مشقة وعنت يصعب على العادة الإنسانية والطّاقة البشرية تقبلها، وإن كانت في حدود طاقته، لكن مع ملازمة العنت والمشقة المانعة لديمومة واستمرار العمل.

يقول تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ**﴾[296]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[297]، ويقول تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفا**﴾[298]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[299]، فكلّ ما في هذا الدّين من تشريعات مؤطّرة بهذه الوصف الرّحيم وهذا اليسر الكبير.

وفي القرآن الكريم مظاهر عِدة على ذلك منها قوله تعالى: ﴿**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾[300].

وبداية السورة تتكلم عن منهج تعبّدي أُمِر به النبي ﷺ، من قيام الليل وترتيل القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[301]، وقد كان بعض الرّجال من صحابته رضوان الله عليهم يحاولون فعل ما يفعله النبي ﷺ، فجاءت الآية الكريمة توجّههم نحو السبيل الأقوم وتلفت أنظارهم إلى أنهم عرضة للمرض والسّفر وغير ذلك مما يصعب الالتزام بالمنهج التعبدي الذي أمر به النبي ﷺ، فجاء بما يناسب الطاقات وتستسيغه العقول والقابليات في كلّ عصر ومصر وفي كل حال وظرف بأن يقرؤوا من القرآن ما يناسب حالهم وظرفهم، ويعينهم على الاستمرارية والديمومة في تلك الطّاعات والعبادات، بل إن النبي ﷺ نصح الأمة وشدّد على عدم الإفراط في جانبٍ على حساب آخر، وأَنّ ذلك ليس من الدّين والهدي الحنيف، عندما سمع بنفرٍ من المسلمين أرادوا وضع منهج تعبدي لهم ليس فيه مراعاة لبشريتهم وما عليها من ضعف، إذ قالوا نصوم فلا نفطر ونقوم فلا ننام ونعتزل النساء، فأكد المصطفى ﷺ بأن الشعور بالمسؤولية والقيام بها حقّ قيامها إنما يكون بخلاف ذلك أن يصوم العبد ويفطر وأن يقوم وينام وإن ينكح النساء، وأَنّ هذا هو التعامل الصحيح والأمثل مع المسؤولية وحسن أداءها فعن أنس ﷺ: ((أنّ النبي ﷺ كان يُصلّي ذات ليلةٍ في حجرته، فجاء أُناسٌ فصلوا

---

[295] دستور الأخلاق، ص 87

[296] سورة البقرة: الآية 185.

[297] سورة الحج: الآية 78.

[298] سورة النساء: الآية 28.

[299] سورة الأنبياء: الآية 107.

[300] سورة المزمل: الآية 20.

[301] سورة المزمل: الآية 1-2.

بصلاته، فخفّف فدخل البيت ثم خرج، فعاد مراراً، كلُّ ذلك يصلي، فلمّا أصبح قالوا: يا رسول الله صلّيت ونحن نحبُّ أن تمدّ في صلاتك، قال: قد علمت بمكانكم وعمداً فعلتُ ذلك))[302].

وبناءً على ذلك فان الواجبات الشّرعية والمسؤوليات التي على عاتق العبد لم تغفل طبيعة هذا المخلوق والحال التي يمكن أن يكون عليه، أو الظرف الذي يشق عليه القيام بواجبه ومسؤولياته، لاختلاف الحال أو الظرف أو الزّمان والمكان.

فجاءت الشّريعة مراعية لمقتضيات ذلك الظرف بالتّغير، أو التّخفيف، أو التأجيل أو الإلغاء، ومثال ذلك.

* قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾[303]، ففي الآية الكريمة مراعاة لكلّ تلك الأعذار والعوائق وإعفاء أصحابها من واجب الدّفاع والجهاد في سبيل الله.

* قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾[304]، وهنا يسمح النّص للمسافر الذي لا يجد شيئا مما أحلّه الله عليه، أن يأكل مما حَرِم عليه، وأَن يحافظ على نفسه من الهلاك جوعاً أو عطشاً.

* قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾[305]، فقد أرجى مَنْ له عذر وظرف خاص يجعلُ من العبادة، أو القيام بالواجب فيه مشقةٌ وحرجٌ بان يؤدي ما عليه في وقت آخر أكثر ملائمة، وأفضل حالاً، ليصدر عمله عن طيب نفس وبشكل متكامل.

المطلب الخامس: التحديد والتدرج.

وهذا شرط ثالث، هو مكمّل لما سبق متعلّق بهما ومعناه، أن يكون في المأمورات والمنهيات التي تقع ضمن دائرة المسؤولية، حداً أدنى لا يمكن قبول العمل إلاّ به، على أن لهذا الأمر قابلية الزّيادة على ذلك الحدّ وضمن قدرات العبد والطّاقة البشرية ليبلغ به أعلى الدّرجات وأرفع الكمالات، المقبولة عند الشّارع الحكيم.

كما أَن هذه الزّيادة لها حدٌّ يعصمها من الوقوع في الإفراط الذي يُخرِج العمل عن دائرة المقبول شرعاً وعقلاً وعرفاً وذوقاً، لذا كان معنى هذا الشرط في المسؤولية، هو كون ما يُكَلّف به العبد وما يُؤمر به واقعٌ بين حدودٍ، بين كلّ حدٍّ وما يقابله ثمة درجات، يتفاوت بها العباد من حيث قدراتهم، وما خصّ الله تعالى كلّ عبدٍ منهم مِن نعم تختلف كَمَّاً ونوعاً عن غيره.

---

[302] الحديث : أخرجه أحمد، 103/3، وصحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (ت 311هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الاعظمي، المكتب الإسلامي 1390هـ- 1970م، بيروت- لبنان، 1627.

[303] سورة الفتح: الآية 17.

[304] سورة البقرة: الآية 173.

[305] سورة البقرة: الآية 185.

وهذه الحدود هي بين الرُّخصة والعزيمة، والإفراط والتفريط، والحلال والحرام فهناك حدٌّ معلوم للأخذ بالرُّخصة دون النزول إلى درجة التفريط وحدٌّ معلوم للعزيمة دون الوصول إلى الإفراط والتكلّف والتنطع، فقد أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال وكذا في الكفارات.

أمّا عبادة الصّيام حالة السّفر، وقوله تعالى: ﴿**وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[306] فليس في الصّيام حالة السفر مع القوة والقدرة والسّلم من تنطّع وإفراط ما دام الأمر في مقدور العبد وطاقته.

وكذا في مجال التّعامل والاجتماعيات، مثاله قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[307].

وذلك في حال الخصام والانفصال بين الزّوجين وبقاء بعض المتعلقّات المادية المستحقة، فهنا يأتي التوجيه والتحديد بالعفو، كما يمكن العفو عنه إكراماً لما كان بين الزّوجين من عِشرة وخلوة وإفضاء، وليس في ذلك العفو إفراط في تضييع الحقوق ولا تفريط في الحفاظ عليها.

وقوله تعالى: {**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[308]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[309].

(306) سورة البقرة: الآية 184.
(307) سورة البقرة: الآية 237.
(308) سورة البقرة: الآية 280.
(309) سورة الشورى: الآية 43.

المطلب السادس: صورة المسؤولية.

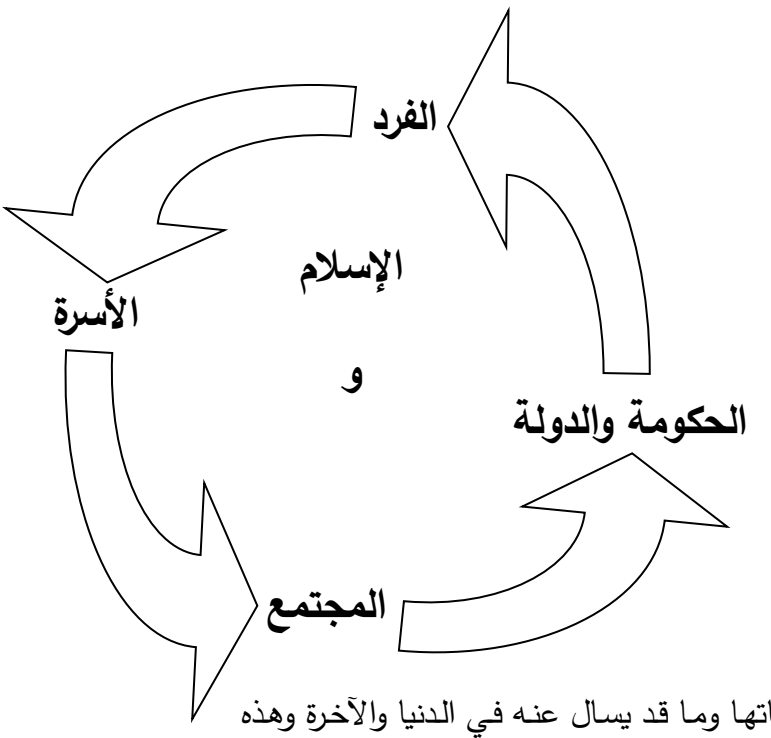

ولعلي في اختيار هذا الشكل أكون موفقاً لتوضيح معنى المسؤولية ذات الأطراف المتشابكة والفروع المتعددة، المعقدة أحياناً والواضحة البينة أحياناً أخرى.

والدائرة شكل له مدلوله عند علماء الأشكال والهندسة واستعمله كثير من العلماء والمتكلمين في توضيح ما يسمى بالدور، ولا أقول أنني سأعيد معنى المسؤولية هنا بشكل معقد فلسفي، بل بشكل توضيحي يبين كيف أن المسؤوليات العامة والخاصة؛ الفردية والجماعية يعتمد بعضها على بعض ويكملّ بعضها دور بعض...

فكما نرى ان المسؤولية تبدأ في مرحلتها الأولى بالفرد من حيث ذاته وشخصيته وما هو مسؤول عنه ثم تتطور تلك المسؤولية الفردية لتكون أوسع بقليل يوم يختار الفرد شريكاً معه في حياته ليقوما بمسؤوليتهما تجاه الالتزامات الجديدة ثم تتطور هذه العلاقة لتصبح أسرة يشترك الرجل والمرأة أو الراعي لهذه المجموعة، على القيام بواجباتها وما قد يسال عنه في الدنيا والآخرة وهذه الأسرة والمجموعة الصغيرة تتطور وتتسع حتى تكون مع مثيلاتها ذلك المجتمع الذي تظهر عليه صفات وعادات وتقاليد وأعراف ومبادئ تلك الأسر الصغيرة المكونة له وبالتالي سيكون من بين أفراد هذا المجتمع الكبير الواسع أفراداً يقودون المجتمع ويحكمونه ويسيرون أعماله ومصالحه. وإذا نظرنا إلى الشكل الدائري أدركنا أمرين:

الأول: اعتماد وجود المجتمعات على الأسر والأسرة هي اللبنة الأساسية لهذا التكوين الاجتماعي ثم ان الأسرة ما هي إلاّ أفراد يقوم بأمرها مسؤول عنها يسمى الراعي أو الأب أو الوصي أو من هو من هذا القبيل

الثاني: أن هذا الشكل فيه دلالة على ان المسؤولية في حقيقتها التزامات يتوقف بعضها على بعض ويكمل بعضها الأخر ولذا تجد ان مسؤولية فساد الدولة واختلال موازينها متوقف على عدم قيام المجتمع بواجباته وأداء التزاماته وعند الكلام عن المجتمع واختلاله فاننا سنقف على دور الأسرة وقيامها بالتزاماتها تجاه ذلك المجتمع فتاني في تقصير الأب والأم اللذين قد يلقي كلٌ طرف منهما السؤال والحساب على الآخر ويلقي باللائمة على صاحبه، والحق ان على الزوج والرجل تقع المسؤولية الأصل التي تشاركه فيها الزوجة... ثم يبين المخطط مسؤولية تلك الدولة عن ذلك الفرد ثم تعود من جديد كما بدأت.

وهكذا ومن خلال هذا المخطط والشكل الدائري المعبر عن ارتباط والتزام كل مرحلة بالتي بعدها، وإن كلّ مرحلة في الدائرة يدور حول محور الشريعة والإسلام وكلّ ما يدين به ذلك العبد وتفرض عليه سلطة الالتزام وأداء الواجب.

خلاصة القول في هذا الشكل الدائري هو تصوير الارتباط والتلازم بين كل أطراف المسؤولية.

تم البحث والحمد لله

الخاتمة

بعد اتمام دراسة هذا البحث خرج الباحث بجملة نتائج وتوصيات من أبرزها:

- ان المسؤولية الدينية هي مسؤولية عظيمة وكبيرة لا يمكن للأفراد القيام بحقها بمعزل عن الجماعات والحكومات، وبالتالي ما توقف عليه الشيء كان منه، فالكل مأمور ولا يستثنى من إقامة هذه المسؤولية أحد والخطيب أول من تناط به هذه المسؤولية.
- الخطيب مسؤول أمام الله تعالى وعباده عن كل ما يصدر عنه من فعل أو قول، فقد خصّ وكرّم بالأهلية، وبالحرية والإرادة التي تؤهله وتجعله مسؤولاً عما قد يفعله أو يتركه.
- لوازم وضوابط الخطيب محدودة مؤطّرة بالمشروع والممكن، موسومة بالواقعية والمثالية واليسر العملي مما يعطي الفعل او الترك الديمومة والاستمرارية، وهي متصفة بالتدرج والمرحلية وبالتحديد الذي يعين على صدور الفعل عن صدق وطيب وإخلاص، فالطاعة مشروطة بالاستطاعة.
- ان طرق هذا العنوان والبحث فيه هو محاولة للفت الأنظار إلى ذلك الجزء المفقود البالغ الأهمية من الأخلاقيات الأساسية لبناء المجتمعات وتحصين الحضارات وإسعاد الإنسانية وإبعادها عن المخاوف والآلام لما فيه من قوة وقدرة على التقدم والتطور والاكتفاء او الاستغناء عن الآخرين وتسليط الضوء علىعمل الخطيب الناجح.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارصي (ت739هـ)، قدّم له وضبط نصه، كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1407هـ–1987م.
- الأحكام السلطانية، والولايات الدينية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (450هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء بن محمد بن الحسين، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، 1403هـ، بيروت– لبنان.
- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، (468– 543هـ)، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد عبد القادر عطا منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، تحقيق د. سيد الجميلي، نشر دار الكتاب العربي، ط1، 1404هـ، بيروت، وطبعة صبيح، 1347هـ.
- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وبهامشه المغني عن حمل الانصار، في تخريج ما في الاحياء من اخبار، للعلاقة الحافظ العراقي، تحقيق: عصام عبد الرحيم محمد، دار ابن الهيثم، القاهرة.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، د. عبد الرحمن حسن حنبكة، دار القلم، دمشق، ط6، 1423هـ–2002م.

- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحّداد دار الغرب الإسلامي ط2، 1419هـ-1999م.
- أدب الدنيا والدين، لعلي بن محمد بن حسين الماوردي البصري البغدادي، توزيع دار الباز، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ، بيروت.
- الادب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، نشره قصي محب الدين الخطيب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1379هـ.
- الأساس في التفسير، للشيخ الإمام سعيد حوى،
- الإسلام عقيدة وشريعة، للإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق، الطبعة الثامنة عشرة، 1421هـ-2001م، القاهرة- مصر.
- الأشباه والنظائر، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، طبعة الحلبي، مصر.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ-1995م.
- أصول السرخسي، للإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهيل السرخسي، تحقيق أبو الوفا الافغاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ-1993م.
- أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار حسان للنشر والتوزيع، ط1، طهران- إيران، 1417هـ-1997م.
- أصول الفقه الميسر، د. شعبان محمد أسماعيل، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، لفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ط دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، 1396هـ.
- الأمّ، لمحمد بن إدريس الشافعي، (ت204هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، بيروت- لبنان، 1393هـ-1973م.
- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، دمشق، 1424هـ-2003م.
- البداية والنهاية، لابن كثير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- تاريخ الخلفاء، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الشرق الجديدة، بغداد، ودار العلوم الحديثة، بيروت.

الكيان الصهيوني والتطبيع في الشرق الاوسط الاسباب والأهداف

دراسة موضوعية في ضوء الفكر الاسلامي

د: شكرية حمود عبدالواحد

كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد

ملخص البحث:

يتبين من خلال البحث أن من أجل إدامة السيطرة على المنطقة العربية الاسلامية المتمثلة بدول الوطن العربي ،بصفتها قلب العالم الاسلامي قديما وحديثاً ،أنشيء الكيان الصهيوني وبالتعاون مع قوى الاستعمار القديم ،ويعتبر هذا الكيان كيان وظيفي توسعي في اصل نشأته.

وحاول البحث ان يبين ان مفهوم التطبيع يستخدم بصورة واسعة ليكون : هو استبدال مجموعة من التفاعلات التي تتسم بالطابع التعاوني والسلمي بدل مجموعة من التفاعلات ذات الطابع التصادمي والحربي ،وذلك في مختلف الاوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية ، سواء كان ذلك على المستويات الخاصة بالدولة الرسمية أو غير الرسمية.

انتهى البحث الى ان التطبيع كمفهوم سياسي حديث ، هو نتيجة التجارب والجهود البشرية منذ تأريخ اول تشكيل لملامح المجتمع البشري وحتى ظهور واستقرار الدولة بالمعنى القانوني الحديث والسيادي.

وقد ابرز البحث ان التطبيع هنا يعني التبديل من حالة غير طبيعية هي الصراع والتصادم ، إلى حالة طبيعية هي السلام والتعاون وحسن الجوار.

بين البحث ان مصطلح الصواب هو المشرق الاسلامي، والشرق الاوسط هو مصطلح يهودي ، استحدث كمقدمة اساسية للتعايش مع اليهود وتوفير مكان لليهود في المنطقة العربية.

وأكد البحث إن حالة التسوية التي يحاول الكيان الصهيوني ان يفرضها على الدول العربية الاسلامية تتجاوز انشاء علاقات بين الطرفين ، او حتى ان يكون نوع من التعاون بين دول المنطقة العربية ، بل هي محاولة إلغاء منهجي وشامل و جذري ومخطط للامة الاسلامية العربية وقيمها الاخلاقية والدينية وتأريخها وثقافتها، وشخصيتها القومية ومقاومتها ، وتحويله الى كم من الافراد في آلية ثقافية اجتماعية اقتصادية جديدة .

مفتاحية البحث: الكيان. التطبيع .اليهود. الشرق .الاوسط

Keyword: entity. Normalization. The Jews. The Middle East

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقرة عيون المؤمنين ابي القاسم محمد ، وآله الطاهرين واصحابه الغر المحجلين وعلى من تبعهم وسار على نهجهم الى يوم الدين .وبعد...

هناك الكثير من القضايا الخاصة للمجتمعات المسلمة وتعتبر القضية الفلسطينية من أكبر واطول مظلمة في التأريخ الحديث ،فلذلك لها خصوصيتها والاهتمام بها بعناية أكبر من غيرها من القضايا

التطبيع يعد طوق نجاة لليهود وخدمة لها ،وتشجيع لها على الاستمرار والدعم لاحتلالها فلسطين ومكافأة لها على الجرائم التي ارتكبتها بحق الشعب الفلسطيني منذ الاحتلال والى هذا اليوم ، وهو فتح لأبواب التجاوز والسيطرة التامة على جميع الاصعدة ..

والمراد بالتطبيع في الوقت الحاضر هو ان العرب يتجاوزون كل ما وقع من صور الاحتلال لفلسطين (تشتيت وتهجير لشعب فلسطين) ومن جرائم القتل التي لا تحصى فالتطبيع معناه طي ذلك كله، والقبول بالصهيونية (اليهود)ومنحها مكانة طبيعية داخل العالم الاسلامي (الدول العربية)حتى تكون صديقة وشريكة وجارة .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه: على مقدمة ومبحثين وخاتمة .وتناولت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناولت في المبحث الأول التطبيع حقيقته وجذوره واسبابه ووسائل تحقيق اهداف اليهود من التطبيع ،أما المبحث الثاني تناولت فيه اشكال التطبيع ووسائل القضاء على الكيان الصهيوني ، ثم ختمت هذا البحث بخاتمة أوجزت فيها أهمَّ ما توصلتُ إليه من نتائج ، وأخيرًا أسأل اللهَ أنْ اكون قد وفِّقتُ في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

المبحث الأول

التطبيع حقيقته وجذوره واسبابه ووسائل تحقيق أهداف الصهاينة من التطبيع

المطلب الأول : المفردات ذات الصلة

أولاً : مفهوم الكيان لغة واصطلاحاً:

كيان [مفرد] و كيانات (لغير المصدر) : هيئة أو بنية كيان صهيوني / رأسمالي – كيانات مصطنعة – حجر الزاوية في كيان السياسة الخارجية . ذات أو وجود في أعماق كيانه أو طبيعة وخليقة ، فالكيان الوطني : أرض الوطن بحدودها المعروفة وكافة مقومات الوطن السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها ، «كِيان» بالكسر، يقال: كان الشيء كوْنًا، وكِيانًا، وكينونةً[310]

[310] ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر، ط1،عالم الكتب : القاهرة، 1429 هـ= 2008م ، 1974.

وهو أحد الأسماء العربية الأصل، والذي يجد البعض غرابةً في استخدامه كاسم علمٍ، وهو اسمٌ يعني البنية أو الهيئة، فيقال كيان الشيء أي بنيته وهيئته، كما يعني الطبيعة والخليقة، بالإضافة إلى أنّه يحمل معنى الوجود أو الذات مثل قول (الكيان الوطني) هو أرض الوطن بحدودها المعروفة وكافّة مقوِّمات الوطن السِّياسيّة والاقتصاديّة والثَّقافيّة وغيرها [311] .

ثانياً :صهيوني

صهيون (بالعبرية: **צִיּוֹן** ومعناها الحصن) هو واحد من التلين الذين كانت تقوم عليهما مدينة القدس القديمة حيث أسس داوود عاصمته الملكية ، ووضع على ذلك التل تابوت العهد فاصبح أرضاً مقدسة[312] ، ولكن التابوت نقل لهيكل سليمان[313] بعد ان تمت عمارته على جبل المريا [314] ، فمن هاتين الآيتين يستدل بأن صهيون والمريا مرتفعين منفصلين، ومصطلح صهيون اشتمل بعدها على جبل المريا ايضاً أي حيث أقيم الهيكل المقدس[315] ، لهذا ذكرت صهيون حوالي 200 مرة في العهد القديم بينما لم يذكر المريا سوى مرتين فقط [316] ، إذاً في العهد القديم ورد اسم صهيون غالباً للحديث عن أورشليم بمجملها وذلك بصورة شعرية أو نبوية وغيرها[317].

وبالنسبة لليهود فأن صهيون هي وطن العبرانيين ورمزاً لآمالهم القومية ،ومن هذه الكلمة جاء مصطلح الصهيونية

فنشأ الصهيونية على تهجير اليهود عن فلسطين على يد البابليين في القرن السادس وعلى يد الرومان تيطس (70ب.م) ثم إصرار النصارى على عدم رجوعهم الى بيت المقدس إبان الفتح الاسلامي إلا أن ظهور منظمة تهتم بهذه الفكرة كان في اغسطس(1897م) في مدينة بازل السويسرية حين اجتمع (204)من قادة اليهود وانتخبوا هرتزل رئيساً للمنظمة وقاموا بصياغة البروتوكولات السرية التي

---

[311] ينظر: معجم المعاني الجامع :موقع الكتروني ، معنى كلمة كيان.

[312] 2 صموئيل 6: 10–12 .

[313]هيكل سليمان (بالعبرية: **מקדש שלמה**) أو الهيكل الأول (بالعبرية: **בית המקדש הראשון**) ,او البيت المقدس (بالعبرية: **בית המקדש**، بيت همقدش، بيت المقدس)، حسب التسمية اليهودية المعروف باسم بيت همقدش،وفقا للكتاب المقدس، وهو المعبد اليهودي الاول في القدس الذي بناه الملك سليمان حسب معتقدات اليهود، وقد دمره نبوخذ نصر الثاني بعد حصار القدس سنة 587 قبل الميل .ينظر: اليهود: من عهد داوود إلى دولة إسرائيل، علي محمد عبدالله ،2017م 0

[314] ملوك8: 1و2 أخبار 3 :1 و5 :2 .

[315] ينظر: اشعياء: 8: 18 و 18: 7 و 24: 23 ويوحنا 3: 17 .

[316] ينظر :تكوين 2 :22 و2 أخبار 3 :2 .

[317] ينظر: 2 ملوك :19 :21 ومزامير 48 و69: 35 و133 :3 واشعيا 1 : 8.

افتضح أمرها بعد ذلك، فالصهيونية كحركة منظمة قد أسسها تيودور هرتزل[318] ، عام 1897م،وتحملت منظمات(أحباء صهيون) [319]مسؤولية إنشاء 20 مدينة يهودية جديدة في فلسطين بين عامي 1870و1897م [320].

فـ(الكيان الصهيوني كيان وظيفي ،أُنشئ بالتعاون مع قوى الاستعمار القديم من أجل إدامة السيطرة على المنطقة العربية الاسلامية ،بصفتها قلب العالم الاسلامي، كما انه كيان توسعي في أصل)[321] .

والصهيونية :(المفهوم السياسي فهي الفلسفة القومية لليهود التي أخذ اليهود تعاليمها من التوراة والتلمود الذي سيطر هو والبروتوكولات على الصهاينة سيطرة كاملة فيسيرون على مخططاتهما واضعين مبدأ استهجان الغير مبدأهم الرئيسي، والمنظمة الصهيونية منظمة متشابكة متداخلة معقدة التركيب فليس عملها بالعمل الهين، فأصل المذهب الميكافيلي [322] هو عقيدة اليهود النفعية ؛ فلذا كانوا يستحلون قتل اليهود أنفسهم للوصول إلى أهدافهم لاعتناق الصهيونية)[323].

ثالثاً : التطبيع

تطبيع العلاقات(بالانكليزية : Normalization) من يُطبع ،أي سوّي([324] nor–mal–ize) ،وتطبيع العلاقات مصطلح سياسي يشير الى (جعل العلاقات طبيعية) بعد فترة من التوتر او القطيعة لأي سبب كان ،حيث تعود العلاقة طبيعية وكأن لم يكن هناك

---

[318] تيودور هرتزل: مؤسس الصهيونية الحديثة وهو الذي نظم المؤتمر الصهيوني الشهير في بازل بسويسرا عام 1897م، ورأس المنظمة الصهيونية العالمية التي انبثقت عن المؤتمر حتى وفاته عام 1904م.ينظر :ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

[319] أحباء صهيون :اسم يطلق على مجموعة من الجمعيات الصغيرة في روسيا (التي كانت تضم اكبر جماعة يهودية)والامبراطورية النمساوية المجرية والمانيا وانجلترا والولايات المتحدة وكانت جمعيات أحباء صهيون في غرب اوربا تضم اساساً اليهود والمهاجرين من شرق أوربا. والحركة قامت في روسيا عام 1882م فيما بعد بـ(حب صهيون) مع العلم بأن التسمية الروسية للحركة هي(حب فلسطين)(Palestine Philstvol) والشعار الذي رفعته :(الى فلسطين).ينظر :اسرائيل الكبرى ،دراسة في الفكر التوسعي ،اسعد رزوق،(مركز الابحاث–منظمة التحرير الفلسطينية :بيروت،1968م)33. أضواء على اسرائيل ،مركز الاعلام الاسرائيلي ،1998م،91 .

[320] ينظر: الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية،1984م ،المجلد 4.

[321] الكيان الصهيوني: من طور التأسيس إلى طور النَّزْع الأخير، عمرو علان ، 2021 /22/4.

[322] يُعدّ نيكولو ميكافيلي واحدًا من فلاسفة، وكُتاب، وسياسيي عصر النهضة في إيطاليا ويُنسَب إليه المذهب الميكافيلي السياسي، وُلد في إيطاليا بتاريخ 3 يناير 1469م، يعتقد اتباع المذهب الميكافيلي (بالإنجليزيّة: Machiavellianism) أنّ صاحب السلطة بإمكانه استخدام الوسيلة التي يُريدها أيّا كانت وكيفما كانت دون أيّة شروط أو قيود، ولا يُوجد أيّ أساس أخلاقي للحكم على الفرق بين الاستخدامات المشروعة وغير المشروعة في السلطة، بل على العكس من ذلك فإنّ السلطة والقوة متساويتان، فمن يَملك السلطة له الحق في تنفيذ أيّ أمر، حيث تعتمد شرعية السلطة بالكامل على استخدام القوة والتهديد، ويرى بأنّ الخداع والعنف هما الأفضل دائمًا للسيطرة على الأفراد . ينظر : موقع موضوع، المذهب الميكافيلي (مذهب فكري سياسي) ،سيف الدين قاسم، ١٥ أبريل ٢٠٢٢.

[323] عرض كتاب :(الصهيونية بإيجاز، محمد بن علي باخريبه)، موسى بن محمد بن هجاد الزهراني، كلية دار العلوم :جامعة القاهرة،2004م،10 .

[324] ينظر: المورد الحديث ،رمزي منير البعلبكي،776.

خلاف او قطيعة سابقة، أما التطبيع في علم الاجتماع ،او التطبيع الاجتماعي ،فهي العملية التي يتم من خلالها اعتبار الافكار والسلوكيات التي قد تقع خارج الاعراف الاجتماعية على انها (طبيعية)[325] .

والتطبيع حالة سياسية (Normalisation Dunesituatiqu): وهي إعادة الهدوء بعد ازمة حادة دون إيجاد حل حقيقي لها[326].

فالتطبيع كمفهوم سياسي حديث ،هو حصيلة الجهود والتجارب البشرية منذ تشكيل اول ملامح المجتمع البشري حتى ظهور واستقرار الدولة بالمعنى السيادي والقانون الحديث هو حصيلة التجارب والجهود البشرية منذ تشكلت أول ملامح مجتمع بشري حتى بروز واستقرار الدولة بالمعنى السيادي والقانون الحديث ن فان هذا المفهوم كسلوك مر بأشكال مختلفة تبعاً لطبيعة المشكلة وعمقها وعدد الافراد والقبائل المشتركة فيها، ولأنه استخدم تاريخياً لرأب الصدع او لم الشمل ،فان تسميته اختلفت تبعاً لنوع السياق الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي الذي استخدم فيه كسلوك لهذا ، فالتطبيع ينتمي بالفعل الى لغة علم السياسة وكذلك للعلوم الاجتماعية على حد سواء[327].

ومفهوم التطبيع يستخدم بصورة واسعة ليكون :(هو احلال مجموعة من التفاعلات التي تتسم بالطابع السلمي والتعاوني بدل مجموعة اخرى من التفاعلات التي تتسم بصفة التصادم الصراعي ،وذلك في مختلف الحالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ، سواء كان ذلك على المستويات الرسمية وغير الرسمية ،والتطبيع هنا يعني التحول من حالة غير طبيعية هي التصادم والصراع ، الى حالة طبيعية هي السلام والتعاون وحسن الجوار) [328].

فكلمة التطبيع مرتبطة باليهود ،ككلمة تعني تحقيق سياسات خارجية محددة، إثر توقيع المعاهدة المصرية – اليهودية 1979/3/26م [329] وتم توقيع اتفاق الحكم الذاتي في 1993/9/13م بين منظمة التحرير الفلسطينية واليهود والمعروف باسم اتفاق (أسلو) أو اتفاق (غزة وأريحا)[330] .

---

[325] ينظر: المثقفون العرب والاستمالة السياسية، توفيق ابو بكر ،مركز جنين للدراسات الاستراتيجية : عمان،1998م، 83 .وويكيبيديا الموسوعة الحرة.

[326] ينظر: معجم عبدالنور المفصل، (فرنسي–عربي)،دار العلم للملايين :بيروت ،1995م، 293.

[327] ينظر: التنظيم الدولي ،النظرية العامة –الامم المتحدة ،محمد سعيد الدقان ،دار المطبوعات الجامعية :الاسكندرية ،1954م ،31–62.

[328] تطبيع العلاقات في المنظور الاسرائيلي –الرؤية –،طارق أنور، العلم طريقنا للمواجهة، العددان(7–8)،كانون الثاني –شباط،1994م 53 .

[329] معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية وقعت في واشنطن العاصمة بالولايات المتحدة في 26 مارس 1979م في اعقاب اتفاقية كامب ديفيد لعام 1978م ،ووقع عليها الرئيس المصري انور السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ، وشهدها رئيس الولايات المتحدة جيمي كارتر ،أحدثت المعاهدة غضب واسع في اوساط العالم العربي الاسلامي بما في ذلك محلياً لأنها اخرجت مصر من معادلة الصراع العربي الاسرائيلي .اربعون عاما على ابرام معاهدة السلام التاريخية بين اسرائيل ومصر ،فرانس ،24 مارس 2019م.

رابعاً : الشرق الاوسط

(أستعمل مصطلح الشرق الاوسط أول مرة في عام 1902م من طرف الكاتب الامريكي المتخصص في الاستراتيجية الحربية(الفريد ماهان) وذلك للإشارة للمسالك الغربية والشمالية المؤدية الى الهند في مواجهته للنشاط الروسي في ايران واستعمل للدلالة على المنطقة التي يقع مركزها في الخليج العربي الواقع بين الشرق الادنى والشرق الاقصى ،كما تم استعمال المصطلح من طرف القوى الاستعمارية الاوربية اثناء الحرب العالمية الاولى عندما بدأوا بوضع مخطط لتقاسم مناطق النفوذ في آسيا وافريقياً خططوا لتفكيك البلدان العربية الاسلامية وإعادة تركيبها جغرافياً لإضعافها وتسهيل السيطرة عليها)[331] .

والمصطلح الصواب هو المشرق الاسلامي(والشرق الاوسط هو مصطلح يهودي ،اصبح كمقدمة ضرورية لأجل التعايش السلمي مع اليهود في المنطقة العربية الاسلامية ،وذلك للاعتراف والاقرار في ان يكون اليهود عضواً في جسم منطقة الدول العربية والامة الاسلامية وجزء من المنطقة ، مما يؤيد اعطاء اليهود صفات الجوار ومشاركة القرار والوحدة !!)[332] .

ايضاً (هو مصطلح اطلقته ادارة الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش على منطقة وواسعة تشمل جميع الدول العربية اضافة الى تركيا ،اسرائيل، ايران ،افغانستان وباكستان، اطلقت الادارة الامريكية المصطلح في اطار مشروع شامل يسعى الى تشجيع الاصلاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ،حسب تعبيرها ، في المنطقة اعلن عن نص المشروع في مارس 2004م بعد ان طرحته الادارة الامريكية على مجموعة الدول[333])[334].

---

[330]اتفاقية او معاهدة أوسلو ، والمعروفة رسمياً باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الامريكية في 13 سبتمبر 1993م، بحضور الرئيس الامريكي السابق بيل كلينتون ،سمي الاتفاق نسبة الى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية الي تمت في عام 1991م أفرزت هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد ،تعتبر اتفاقية أوسلو أول اتفاقية رسمية مباشرة بين اسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية ،ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية ياسر عرفات ،وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

[331]مقالة الشرق الاوسط، الموسوعة السياسية،.Copyright © Political Encyclopedia

[332]مصطلحات يهودية أحذرها ،عيسى القدومي،ط2 ،مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية:قبرص–نيقوسيا،1431هـ=2010م ،10.

[333] مجموعة الثمانية بالإنجليزية Group of Eight أو (G8) أو مجموعة الدول الصناعية الثمانية ، هي مجموعة تضم الدول الصناعية الكبرى في العالم. أعضائها هم: الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وألمانيا، وروسيا الاتحادية، وإيطاليا، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وكندا, يمثل مجموع اقتصاد هذه الدول الثمانية 65% من اقتصاد العالم و أغلبية القوة العسكرية (تحتل 7 من 8 مراكز الأكثر أنفاقاً على التسلح وتقريباً كل الأسلحة النووية عالمياً). أنشطة المجموعة تتضمن مؤتمرات على مدار السنة ومراكز بحث سياسية مخرجاتها تتجمع في القمة السنوية التي يحضرها زعماء الدول الأعضاء. أيضاً، يتم تمثيل الاتحاد الأوربي في هذه القمم كل سنة ، الدول الأعضاء في مجموعة الثمانية تتناوب على رئاسة المجموعة. تضع الدولة الحائزة على الرئاسة الأجندة السنوية للمجموعة وتستضيف القمة لتلك السنة. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، موقع الكتروني.

[334] ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، موقع الكتروني.

وان من اهم التعريفات الاقليمية للشرق الاوسط هو ما جاءت به على النحو التالي :

(عرفت موسوعة لاروس الفرنسية (الشرق الاوسط) بانه اسم يطلق على مجموعة الدول المحاذية لشرق البحر المتوسط وهي: (فلسطين، سوريا، تركيا، لبنان ،العراق، السعودية، مصر وايران) ،ثم تضيف يمكن ان تتسع التسمية لتشمل(افغانستان، السودان، ليبيا، باكستان والهند)، ، ثم تضيف يمكن أن تتسع التسمية لتشمل(ليبيا ، السودان ، لبنان ، أفغانستان ،باكستان ، والهند)، دائرة المعارف الامريكية اعتبرت الشرق الاوسط المنطقة تشمل:(قبرص، ايران، الاردن، البحرين، سلطنة عمان، فلسطين، قطر، الكويت ،سوريا، لبنان ،السعودية ،تركيا، السودان، الامارات العربية واليمن)، وهذا التعريف هو الذي وضعه الحلفاء عندما اقتسموا الامبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى)[335] ،في هذه التعريفات لم يذكروا اسم فلسطين ،وانما اسم الكيان اليهودي بدل عنها ، واصبح ذلك المصطلح يقحم ويتكرر عشرات المرات يومياً في وسائل الاعلام المختلفة ،وبدلاً من مصطلح (الوطن العربي) أو(العالم الاسلامي) التي كانت قبل سنوات قليلة من المصطلحات الثابتة الأصيلة ،وهو تخلي صريح عن الهوية العربية الاسلامية لصالح الشرق أوسطية ، على الجميع ان يمسح هذا المصطلح من قواميس اللغة وغيرها حتى لا نساهم في زيادة الفوضى والتمزق في هذه الامة واللفظ الصحيح الذي يطلق على هذه المنطقة هو:)(المشرق الاسلامي)أو(المنطقة العربية الاسلامية)[336] .

المطلب الثاني :

اسباب التطبيع (الصهيو- أمريكي) في المنطقة

نحن نعلم (منذ توقيع الاحتلال الاسرائيلي اتفاقيتي السلام مع مصر في عام 1979م والاردن في عام 1994م، واللتين ارتكزتا على مبدأ إحلال السلام في مقابل استرداد الاراضي التي احتلها، بدأت محاولات إقامة علاقات مباشرة مع بعض الدول الاعضاء في مجلس التعاون الخليجي بدأت اسرائيل عقد تبادلات تجارية مباشرة مع سلطنة عمان وقطر في عام 1996م ،وإقامة مكاتب تجارية تمثيلية لهما في تل ابيب ليوقع الكيان الصهيوني اتفاق السلام الثالث مع الامارات والبحرين في 15 سبتمبر 2020م، الذي يمكن اسرائيل لأول مرة من الوجود بصورة مباشرة في الخليج العربي في اتفاق يرتكز على المصالح الامنية للدول الاطراف في مواجهة التهديد الايراني ،بالإضافة الى مصالح استراتيجية واقتصادية ولم يبق من الدول الخليجية غير المطبعة الا الكويت والسعودية في اعقاب هذا الاتفاق التاريخي ، تحت رعاية الامم المتحدة الامريكية ، فتح مجال التطبيع امام عدد من الدول العربية والخليجية لتشكل المرحلة القادمة خارطة جديدة للصراع الفلسطيني الاسرائيلي)[337] .

وان جميع الاحاديث والتصريحات التي تصدر عن القادة في اللوبي الصهيوني وفي مقدمتهم نتنياهو تركز على ان السبب الرئيس للتقارب بين ما تسمى بالدول المعتدلة او دول الاعتدال العربية والكيان الصهيوني هو مواجهة (العدو الايراني المشترك)..

---

[335] الموسوعة السياسية ، عبدالوهاب الكيالي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1994م.

[336] ينظر: مصطلحات يهودية أحذرها، عيسى القدومي، 10.

[337] لماذا ترغب إسرائيل في التطبيع مع دول الخليج؟ ،تغريد علي ، مقالة نشرت في موقع منشور الالكتروني ، في 10/08/2021 .

في الوقت التي تواصل سلطات الاحتلال الصهيوني قتل ابناء الشعب الفلسطيني في غزة واعتقالهم في الضفة الغربية بالعشرات بصورة يومية ،كما تستمر في هدم منازلهم ومصادرة ممتلكاتهم واراضيهم وإقامة المستوطنات للصهاينة على انقاضها، وبصورة يومية ايضاً يواصل قطعان المستوطنين الصهاينة تدنيس المسجد الاقصى...[338] .

المطلب الثالث : أهداف الصهاينة من التطبيع

إن طبيعة التسوية التي يحاول ان يفرضها الكيان الصهيوني على الدول العربية الاسلامية تتجاوز إقامة علاقات بين الجانبين ، أو حتى إقامة نوع من التعاون بين دول المنطقة ، بل إنها محاولة إلغاء جذري وشامل ومنهجي ومخطط للامة العربية الاسلامية وقيمها الاخلاقية والدينية وثقافتها وتاريخها ، وتحويلها الى مجموعة من الافراد في آلية اجتماعية ثقافية واقتصادية حديثة وتعتبر حركة التطبيع بالنسبة للكيان الصهيوني في المنطقة العربية الاسلامية الدعامة الرئيسية للتغلغل الصهيوني فيها لأنه اكثر استقرارا من اي ترتيبات امنية كالمناطق المنزوعة السلاح ، وتكون ترتيبات امنية ووضع قوات دولية وغيرها ،فالتطبيع على المدى البعيد يبقى العامل الحاسم ، لان الصراع يترسخ في وعي الشعوب وذاكرتها وثقافته الجمعية ووجدانها القومي ،فمن الصعب زعزعة القناعات وتدمير مقومات الذاكرة الوطنية واختراق الثوابت الحضارية والدينية والتاريخية دون إقامة جسور للتواصل والتطبيع ،وبالتالي فان الاصرار الاسرائيلي على التبيع ينبع من إدراكه ان هذا الميدان هو المؤمل والقادر على تلويث الفكر العربي والثقافة الشعبية الوطنية، وضخ المفاهيم والتصورات المشوهة لقيمه ومبادئه والشخصية [339].

ومن المعلوم ان الصهيونية حركة يهودية خالصة، اما اهدافها فهي اهداف سياسية دينية، وتلك الاهداف تتلخص فيما يلي[340]:

1- هدم الاديان لإعلاء اليهودية التلمودية.
2- إثارة الحماس الديني لدى أفراد اليهود في جميع انحاء العالم لعودتهم الى ارض الميعاد المزعومة.
3- إثارة الروح القتالية والعصبية الدينية والقومية لدى اليهود ، للتصدي للأديان والامم والشعوب الاخرى.
4- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والشعائر اليهودية والعبادات، والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.
5- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع انحاء العالم أفرادا، او جماعات ومؤسسات وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود، وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم
6- تزييف التأريخ للادعاء بوعد فلسطين.

---

[338] تسارع خطوات التطبيع.. الأسباب والأبعاد ، أحمد محيي الدين ،الثورة نت. All Rights Reserved ،2019/4/19.

[339] ينظر: موقع مجموعة الخدمات البحثية ،مقال قراءات إعلامية ، التطبيع مع الكيان الصهيوني

[340] رسائل في الاديان والفرق ، محمد إبراهيم الحمد ،1426هـ ،111.

7- تدمير الانسان عن طريق نظريات(فرويد) في الاخلاق، و(ماركس) في المال ، و(دور كايم) في الاجتماع ، و(سارتر) في ادب الانحلال والضياع .اي إفساد الشعوب وتحطيم اخلاقهم بسلاح المنكرات من خمر ،وزنى، وكذب، وسينما، وربا، وغش، وغدر، وخيانة.

8- متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية خطوة خطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلاميا، وتمويلها اقتصاديا، ودعمها سياسيا.

9- فرض المادية على الفكر البشري.

10-التحكم في شعوب العالم، وتسخيرها لخدمتهم ، لأنهم بزعمهم هم شعب الله المختار وغيرهم يجب ان يكون مسخرا لخدمتهم.

11-تدويل الكيان الصهيوني عالميا، و ذلك بانتزاع اعتراف اكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين.

12-محاولة تهويد فلسطين وذلك بتشجيع الهجرة من سائر انحاء العالم الى فلسطين.

13-تأسيس وتثبيت مملكتهم (اسرائيل) بحيث يكون مركزها أورشليم (القدس) وتكون هي منطلق نشاطهم، وبسب تخلف المسلمين وبعدهم عن دينهم تمكن اليهود من تحقيق اكثر احلامهم مع الاسف.

14-تطوير اللغة العبرية والثقافة العبرية،

15-القضاء على المسلمين

فأهداف اليهود وطموحاتهم لا تقف عند حد، لانهم يخططون للسيطرة على العالم كله حتى يكون تحت هيمنة مملكتهم (اسرائيل)التي تم إنشاؤها في فلسطين والتي يزعمون أن حدودها تكون من العراق شرقاً الى مصر غرباً (من الفرات الى النيل)ومن الشام شمالاً الى يثرب جنوباً[341] .

والتطبيع في التطبيق العملي يهدف إلي[342] :

1- إعادة كتابة التأريخ الحضاري للمنطقة العربية الاسلامية، عن طريق تزييف الحقائق والبديهيات التاريخية المتعلقة بالطريقة الاستعمارية الاستيطانية التي اقحمت اسرائيل في الوطن العربي، والسعي الكبير من وراء ذلك الى تناسي القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني بالعودة الى اراضيه المحتلة المغتصبة.

2- الغرض من التطبيع هو اخراج (اسرائيل) من العزلة التي تعيشها داخل محيطها ، بسب عدم تقبلها من قبل الشعوب والدول العربية الاسلامية المحيطة بها والبعيدة عنها.

3- التوقف عن تدريس الادبيات والوثائق والنصوص المعادية للكيان الصهيوني ،بما في ذلك الوارد منها في بعض الكتب المقدسة كالقرآن الكريم ،حيث كثفت اسرائيل جهودها العلمية لرصد وتسجيل وتحليل المفاهيم الاسلامية المؤثرة في الصراع مع (الصهيونية) كأحد أبرز وجوه العناصر البنائية للذهنية العربية.

---

[341] ينظر: رسائل في الاديان والفرق والمذاهب ، محمد إبراهيم الحمد ، 1426هـ، 53-59.

[342] ينظر: موقع الخدمات البحثية ،(قراءات إعلامية) التطبيع مع الكيان الصهيوني .

4- تدمير المقومات الذاتية للحضارة والثقافة العربية، ولهذا فهو في نر خبراء إسرائيل وقادتها وباحثيها العنصر الاساس والاكثر إلحاحاً في فرض الهيمنة(الصهيونية)على العرب، وجعلهم يستسلمون نهائياً تعبيراً عن الهزيمة الحضارية والانهيار القومي والانتحار الجماعي

5- الجامعات ومراكز الابحاث الاسرائيلية تصبح مرجعية علمية للمنطقة بأكملها، بحيث

6- تؤسس للمشروع الصهيوني الموجه لتحطيم الثقافة والهوية الاسلامية والحضارية للمنطقة العربية بأكملها ، وبث الانحلال والفوضى داخل كل بلد من بلدان الوطن العربي عن طريق إذكاء روح العداء والتناحر بين المنتمين للأديان والطوائف والمذاهب والجماعات المختلفة من جهة، ومحاولة تحقيق السيطرة العلمية والثقافية والتقنية من جهة أخرى.

(في الوقت الحاضر كل جهود الصهيونية العالمية تنحصر في غاية واحدة وهي انقاذ (اسرائيل) من قضائها الذي تخشاه ، ولا سبيل الى ذلك من وجهة نظر الصهاينة الا بوسيلتين

أولهما :الصلح مع العرب .

ثانيهما : استبقاء نفوذها في البلاد الامريكية)[343] .

المطلب الرابع :جذور التطبيع العربي الصهيوني

التطبيع مصطلح سياسي بدأ تداوله في قاموس الصراع العربي –الصهيوني منذ معاهدة السادات[344] – بيغن[345]، والتي عُرفت بمعاهدة كامب ديفيد .

---

[343] الصهيونية العالمية ، عباس محمود العقاد ،دار المعارف بمصر،2001م ،85 .

[344] محمد أنور محمد السادات (25 ديسمبر 1918 – ت.6 اكتوبر 1981)، هو ثالث رئيس مصري، خدم من 15 أكتوبر 1970 حتى إغتياله على يد متشديين إسلاميين في 6 أكتوبر 1981 ، وكان نائب الرئيس جمال عبد الناصر، وخلفه في الحكم عام 1970، وتولى رئاسة الوزراء لثلاث فترات .

[345] مناحيم بيغن : ولد1913في روسيا البيضاء– ت 1992م، كان سياسي إسرائيلي ومؤسس حزب الليكود وسادس رؤساء وزراء إسرائيل، نتيجة فكر بيغن الصهيوني، عمل على تأسيس منظمة صهيونية عسكرية أطلق عليها اسم «أرجون». أسهمت الإرجون في ترحيل الفلسطينيين من ديارهم، ومن أشهر عمليات الإرجون مذبحة دير ياسين التي راح ضحيتها 360 فلسطيني كما ذكر مناحيم بيغن في كتابه «التمرد، قصة الأرجون»، ولإيمان بيغن أن البريطانيين يعيقون تأسيس الدولة الإسرائيلية، فقد قامت الإرجون بنسف مقر قيادة القوات البريطانية في فندق الملك داود في عام 1948، كما أنها قامت باغتيال ممثل هيئة الأمم المتحدة، الكونت «برنادوت» عندما قدم الكونت اقتراحات لهيئة الأمم لحل الإشكالات بين اليهود والفلسطينيين، ولم ترقَ تلك الاقتراحات لليهود، فتعاونت الإرجون مع منظمة شتيرن والهاجاناه على الإجهاز على الكونت في 17 سبتمبر 1948م ، ترأُس الوفد الإسرائيلي المُفاوض مع الوفد المصري، وتمخضت المفاوضات عن توقيع أول معاهدة سلام بين دولة عربية واليهود، وتحققت المعاهدة في عام 1979م .

عام 1977م ،ليس لها اي معنى سوى كونه تعبير صارخ عن الاصرار الامبريالي –الصهيوني تطويع الامة العربية ،وخضوعها ،واستسلامها ،والسماح للتمدد السرطاني الصهيوني ان يفعل فعله في الحياة العربية طولاً وعرضاً [346].

(منذ بداية سنة 1994 تطورت استراتيجيات وسياسات التطبيع على محاور ثلاثة هي :

1- الانتقال بالتطبيع العلني من مرحلة التعريب ،ليشمل جزءاً كبير من الاقطار العربية إن لم يكن معظمها عددياً ،وكثافة سكانية عربية عالية.
2- الانتقال بالتطبيع مع اسرائيل على الصعيد العربي من صور التطبيع الاسود اي السري ،إلى التطبيع العلني الرسمي .
3- تطوير بنية التطبيع وهيكليته من الصورة الثنائية ، أي بين دولتين ،الى الجماعية ،أو صورة المنظومة ، وذلك بتطوير فكرة التطبيع لإلغاء المقاطعة العربية، وإقامة السوق الشرق أوسطية ،ثم النظام الشرق أوسطي حسب المفاهيم الأمريكية –الصهيونية)[347].

المطلب الخامس : وسائل الصهاينة لتحقيق اهدافهم في التطبيع

يسلك اليهود في سبيل الوصول الى اهدافهم وسائل شتى ويقومون بمخططات واسعة مدروسة ،ومن ذلك [348] :

1- إغراء الحكام والوزراء والرؤساء بالاستعلاء على شعوبهم والانغماس بالفساد، والرذيلة، والعهر عن طريق النساء، والخمر، والقمار، والرشاوي والمنصب والمؤامرات والفتن.
2- اشعال نار الفتنة بين الحكومات وشعوبها: وذلك عن طريق إغراء الحكومات باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على الحكومات، ومحاولة إبقاء كل من قوة الحكومة ، وقوة الشعب لتبقى العداوة مستمرة ودائمة.
3- إشاعة الفوضى والخيانة ، ليتردى العالم وينحط، ويسهل التحكم به.
4- العمل على تحطيم عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين باسم السلام والتطبيع ،لكي يزول حاجز النفرة منهم.
5- استعمال العنف والارهاب في حكم العالم: فهم يصرحون بذلك في بروتوكولاتهم كقولهم: خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والارهاب.
6- التحكم بالاقتصاد العالمي : وذلك بامتلاك أكبر عدد من المؤسسات والشركات والبنوك، واحتكار الذهب ومضاعفة الاعمال الربوية وتشجيع الانظمة الرأسمالية الربوية، والضرائبية والاشتراكية التأميمية المحطمة.
7- استغلال أجهزة الاعلام : وتوجيهها وجهة تخدم مصالحهم بأن تكون هابطة اخلاقياً، ومضللة سياسياً ومذبذبة فكرياً.

---

(346)التطبيع ومقاومته، أحمد شرف،ط1، ملتقى الحوار والعربي الثوري الديمقراطي: طرابلس –الجماهيرية،1996م ،5.

(347) التطبيع ومقاومته ،احمد شرف ، 8.

8- السيطرة على الدول النصرانية والشيوعية، لتكون أداة مسخرة تخدم أهدافهم وتحمي دولة إسرائيل الناشئة

9- نشر المبادئ الهدامة والجهات السرية التجسسية ، والاحزاب المتطرفة، والحركات الثورية، وتشجيع عصابات الخطف والاغتيالات.

وهذا ما حدث فعلاً من بعض الدولة خاصة بريطانيا وأمريكا وروسيا، هذا شيء من اهدافهم ومخططاتهم وقد عملوا وجدوا في تحقيق الكثير ولم يكن ليتحقق لهم ذلك الابعد أن غفل المسلمون عما يدور

المبحث الثاني

اشكال التطبيع وسائل القضاء على الكيان الصهيوني

المطلب الاول : اشكال التطبيع

أهم أشكال التطبيع مع اليهود هي تلك النشاطات التي تهدف إلى التعاون العلمي أو الفني أو المهني أو النسوي أو الشبابي، أو إلى إزالة الحواجز النفسية وهي كالاتي [349] :

1- تطبيع ديني /سياحي: يكون من خلال تنظيم المكاتب السياحية العربية لرحلات الى القدس بذريعة زيارة الاماكن المقدسة والحج الديني.

2-تطبيع ثقافي / هو التبادل والتفاعل الثقافي الحي والمباشر، من خلال المؤتمرات والمحافل الثقافية والادبية، ما يعني القبول بالطرف(اليهودي)وبالكيان الذي يمثله.

2- تطبيع اعلامي/ يكون من خلال بث مقابلات مع اشخاص من الكيان الصهيوني على قنوات عربية إضافة الى تغيير اسم فلسطين على الخريطة الى (إسرائيل) وذلك من أجل جعل فلسطين أسماً منسياً.

3- تطبيع اقتصادي: هو دخول الكيان (اليهودي) الى الاسواق العربية وتسويق منتجاته بأسماء شركات وهمية.

4- تطبيع تجاري: هو تعامل التجار ورجال الاعمال في البلدان العربية مع شركات (اسرائيلية) من اجل إدخال منتجات هذه الشركات الى تلك البلدان ، او من خلال الاستثمارات في القطاعات الانتاجية كاستخراج النفط والغاز.

5- تطبيع عسكري: هو تعاون بين(الكيان الصهيوني) والبلدان العربية عبر إمشاء (الكيان) لمعسكرات تدريب واستقبال الضباط في الجيوش العربية من تدريبهم ، إجراء صفقات بيع اسلحة بين هذه الدول.

6- تطبيع فني: يستجد شخصيات فنية او ثقافية عربية وازنة لفلسطين المحتلة من اجل المشاركة في احتفالات او مناسبات (تخص الكيان الصهيوني).

---

[348] ينظر: رسائل في الاديان والفرق والمذاهب ، محمد إبراهيم الحمد ،(1426هـ) 53-59.

[349] ينظر : ثقافة التطبيع والحرب الناعمة ،اعداد مركز الحرب الناعمة،ط1،مركزالمعارف للدراسات الثقافية،2021م،ص25-39، وجريدة الأيام السورية ، نوفمبر 4, 2020.

7- تطبيع رياضي: يكون عبر استضافة الدول لفرق(يهودية) مشاركة في مختلف المجالات الرياضية على أراضيها او تمويل هذه الفرق.

8- تطبيع جوي: يكون عبر تنظيم رحلات جوية بين الدول المطبعة والكيان الصهيوني.

9- تطبيع دبلوماسي: يكون من خلال فتح سفارات او ممثليات دبلوماسية (للكيان الصهيوني) في البلدان المطبع معها وذلك لتقوية العلاقات فيما بينهم.

10- تطبيع أمني: يشمل تبادل المعلومات الامنية والاستخباراتية بين(الكيان الصهيوني) والدول العربية.

المطلب الثاني :وسائل القضاء على الكيان الصهيوني

في عدد الخريف سنة 1954م نشرت مجلة الشرق الاوسط بحثاً مفصلاً بعنوان (اقتصاد اسرائيل المشوه) وضحت فيه العوائق التي تشوه هذا الاقتصاد أو تمزقه[350] :

1- اضطرارها الى ابقاء جيش قائم والى تقرير التجنيد العام مما يكلفها نصف موارد الميزانية العادية.

2- قطع انابيب البترول من العراق الى حيفا، وهو امر لا يقتصر عمل المصنع الخاص بالتكرير على خُمس طاقته وكفى، بل يضطر اسرائيل الى دفع عملة اجنبية ثمناً للبترول بلغت في سنة 1953م نحو خمسة اربعين مليون ريال وكان ميسورها (لو لا المقاطعة)ان تشتريه بالعملة الوطنية.

3- مقاطعة العرب ومنها اغلاق قناة السويس ، فإنها تحرمه من موارد الخامات وسوقاً سهلة لتصريف البضائع المصنوعة.

المطلب الثالث : أما أهم مكاسب اليهود والغرب من التطبيع [351]

1- ولعل أبرز مكسب لليهود من التطبيع هو إرادتهم إزالة الحاجز النفسي بين اليهود والمسلمين بحيث يتقبلهم المسلمون كدولة طبيعية بينهم وينسون أنهم جسم سرطاني خبيث يتوجب اجتثاثه.

2- إنهاء كل اشكال المقاطعة مع اليهود ، خصوصا الاقتصادية منها ، والسماح للبضائع اليهودية بالوصول الى كل العربية والاسلامية بحرية مطلقة، تكريساً لهيمنتها التجارية.

3- انهاء حالة الحرب المزعومة بين اليهود وبين الانظمة ، وإقامة سلام تعيش فيه (اليهود)بأمان ،واعتراف كامل بها ،واقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها وفتح الحدود امام تجارها وأفرادها ومخابراتها واقامة علاقات معها على كل الصعد.

4- تعهد المطبعين بملاحقة كل من يفكر بإيذاء اليهود، او يدعوا الى تحرير فلسطين.

5- الهيمنة على ثروات المنطقة على اختلاف أنواعها والتحكم بها، خصوصاً في المياه والنفط والغاز والزراعة.

---

[350] ينظر: الصهيونية العالمية ،عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي سي آي سي،2017م 99-100 .

[351]التطبيع مع كيان يهود والحكم الشرعي فيه ، عبد الستار أبو تقي ،مجلة الوعي ،العدد 414-415-416 – السنة الخامسة والثلاثون – رجب وشعبان ورمضان 1442هـ – شباط وآذار ونيسان 2021م ،الأرض المباركة فلسطين.

المطلب الرابع : مفاسد ومخاطر التطبيع على القضية الفلسطينية والشعوب العربية والإسلامية

من خلال ما تقدم تبين لنا بوضوح مدى ضرر التطبيع وخطورته الكبرى ، سواء على القضية الفلسطينية ،ام على الدول والشعوب الاسلامية ،فان مفاسد ومخاطر التطبيع كثيرة واهمها[352] :

1- الاختراق الثقافي اليهودي الذي يركز التعايش السلام والتعايش معهم، ويهدد نمط حياة الامة وقيمها وولاءاتها ، فالتطبيع خطط له ان يشكل هزيمة نفسية للأمة ، وهو إقرار بتفوق أعداء الدين حضارياً وثقافياً عليها، ومقوِض لروح الامة وفكرها ووجدانها.
2- الاختراق التجسّسي والامني في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للتخريب والهيمنة، من خلال السفارات والمكاتب التجارية والشركات السياحية وغير ذلك.
3- تطبيع الدين وتطويعه ،والعبث به وليَ اعناق نصوصه ،من اجل القبول باليهود، فلا جهاد معهم بعد اليوم ولا سور قرآنية تتحدث عن صفاتهم وما فعلوه بأنبيائهم ، وغير ذلك مما فيه خطر على عقيدة الامة ومكانة المقدسات في نفسها ، وتزوير لحقائق التأريخ وتزييف لوعي الامة، وتبديد لإرثها الاسلامي العظيم.
4- نشر الفساد والرذيلة في مجتمعنا عن طريق الكتب والمجلات والافلام والاذاعة والتلفزيون والمخدرات وغيرها من وسائل الفساد وتسريب مواد ملوثة بالإشعاع النووي للإضرار بالزراعة والصناعة كما حصل في مصر.
5- والتطبيع من شأنه ان يعيق ويعطل وعي الامة، ومحاولات إنهاضها وإصلاحها ، وبناء مشروعها الوحدوي الجامع.
6- ضمان أمن اليهود بعد عقد معاهدات سلام مع كيان اليهود، وتحديد وعزل القدرة العسكرية للدول المطبِّعة خصوصاً ما يسمى بـ (دول الطوق) [353] ،وشقُّ الصف العربي من خلال اتفاقيات منفردة ما يجعل لليهود مدخلاً للهيمنة العسكرية والامنية على الامة
7- إنهاء القضية الفلسطينية وتمييعها عن طريق مسلسل المفاوضات والتنازلات المستمرة التي سلّمت فلسطين لليهود ، اضافة الى تذويب عقيدة تحرير الاقصى من رجس اليهود، وإجراء تهويد قسري لأجيال المسلمين وايضاً إيجاد اجواء سلام في فلسطين تشجع يهود العالم على الهجرة وجلب استثماراتهم ورؤوس اموالهم اليها.

المطلب الخامس : حكم الشريعة الاسلامية في العلاقات مع الكيان الصهيوني

[352] ينظر: التطبيع مع كيان يهود والحكم الشرعي فيه ، عبد الستار أبو تقي ،مجلة الوعي ،العدد 414-415-416 .

[353] دول الطوق العربي :هو مصطلح أطلقه الرئيس المصري جمال عبد الناصر في ستينيات القرن العشرين على الدول العربية التي تحيط فلسطين المحتلة وهي كل من لبنان وسوريا والأردن و مصر .

ان التطبيع مع الصهاينة محرم في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال العلماء العدول في الامة الاسلامية ،أي التطبيع بكل انواعه السياسي أو الثقافي أو العلمي أو الاقتصادي أو الامني.

وهو حرب شاملة على الامة الاسلامية خفية واصبحت معلنة ، فان بعض الدول العربية الاسلامية اصبحت تتباهى بعلاقاتها مع الكيان الصهيوني من خلال التطبيع الرسمي ،فلا مكاسب تجنيها الدول المطبعة مع العدو الصهيوني وذا العدو هو المستفيد من التطبيع وستكون مكاسبهم كبيرة والانظمة المطبعة تجني الخزي والعار ،والضعف والهوان، وخسران لثروات ومقدرات الشعوب الاسلامية العربية .

الله تبارك وتعالى قال في من يغزو بلادنا ويحتل مُقدّساتنا وبهذه السورة يقسم القرآن الكريم (المشركين) إلى فئتين:

فئة: عارضوا المسلمين ووقفوا بوجوههم وشهروا عليهم السلاح واخرجوهم من بيوتهم وديارهم كرهاً ن واظهروا عداءهم للإسلام والمسلمين في القول والعمل.. وموقف المسلمين إزاء هذه المجموعة هو الامتناع عن إقامة كل لون من الوان علاقة المحبة وصلة الولاء معهم ومن يتطبع معهم فهو ظالم بنص القرآن الكريم ومن يتولاهم فه منهم ايضاً.

وفئة اخرى مع كفرهم وشركهم لا يضمرون العداء للمسلمين ولا يؤذونهم ولا يحاربونهم ولم يشاركوا في اخراجهم من ديارهم واوطانهم ،حتى ان قسماً منهم عقد عهداً معهم بالسلم وترك العدوان ان الاحسان الى هذه المجموعة واظهار الحب لهم لا مانع منه، وإذا ما عقد معهم عهد فيجب الوفاء به ،وان يسعى لإقامة علاقات العدل والقسط معهم .. [354] .

ان الصلح الدائم مع اليهود لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه والاعتراف بحقيه يده على ما اغتصبه وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه وقد أكدت الفتوى الصادرة م رابطة علماء فلسطين عدم جواز التطبيع مع دولة الاحتلال الصهيوني ، موضحة انه(إذا استوطن أحد من الاعداء أرض فلسطين فلا يجوز ان يقره على هذا الاستيطان أحد من المسلمين وان التطبيع بمثابة إقرار من المسلم المطبع لعدوان العدو واحتلاله، وجاء في فتوى الرابطة ان الواجب الديني على كل مسلم نصرة اخوانه ومعاونتهم على اخراج الاعداء من اراضيهم ،وعدم التطبيع مع الاعداء ابداً، لان التطبيع مع الغاصب خذلان لأصحاب الحقوق وضرر بالغ بهم ، فأين التعاون بين المسلمين على الاعداء اذا طبّع المسلم مع عدو اخيه ومغتصب أرضه وقاتل بنيه [355] .

[356] يقول تعالى بعدما ذكر أن المعاهدين من المشركين إن استقاموا على عهدهم فاستقيموا لهم على الوفاء وان نقضوها وحلوها، فقاتلوكم او أعانوا على قتالكم او نقصوكم (وعنوا في دينكم) أي: انتقصوا من شأنه وسخروا منه، ويدخل في هذا جميع انواع الطعن الموجهة الى الدين، او القرآن الكريم(فقاتلوا ائمة الكفر)أي :القادة فيه الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم ولان غيرهم تبع لهم وليدل على ان من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من ائمة الكفر،(إنهم

---

[354]ينظر :الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ١٨ / ٢٥٣ .

[355] ينظر: موقع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين على شبكة الإنترنت .

[356] سورة التوبة ،الآية: 12 .

لا ايمان لهم) أي: لا عهود ولا مواثيق يلازمون على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين ،ناكثين للعهد لا يوثق منهم،(لعلهم) في قتالكم إياهم(ينتهون)عن الطعن في دينكم، وربما دخلوا فيه [357] فأمر بمقاتلة الناقض والطاعن في الدين، فكيف نعقد معهم ما يسمونه صلحاً في الوقت الذي يحرم عقده كما في الآيات السابقة.

5 . ويضاد مقاصد الجهاد الشرعي الثابت في الكتاب والسنة والإجماع

لقد أوجب أهل العلم في العصر الحديث منذ بدأت قضية فلسطين قبل أكثر من سبعين عاما أوجبوا القتال ضد اليهود الغاصبين ، ومنعوا الصلح معهم ، الصلح الذي بمعنى الاستسلام ويعنى مضادة الشريعة وإلغاء بعض أحكامها ، وان سُمي صلحا ، و منذ نشأت المشكلة الفلسطينية إلى قبل سنوات قليلة ما كان العلماء يختلفون في حرمة التطبيع مع اليهود ، ووجوب قتالهم .

فمن الفتاوى في ذلك :

1- فتوى علماء وقضاة وخطباء فلسطين الذي انعقد في القدس عام(1355هـ =1935م) وأصدروا فتوى بحرمة بيع الأراضي الفلسطينية على اليهود، لأنه يحقق المقاصد الصهيونية في تهويد أرض فلسطين ، وأن من باع الأرض عالما بنتيجة ذلك راضيا به فهذا يستلزم الكفر والردة ، وأشاروا إلى فتاوى علماء المسلمين في العراق ومصر والهند والمغرب وسوريا والأقطار الأخرى بأنها أيضا تحرم بيع الأرض في فلسطين لليهود ، ثم ذكروا الأدلة في ذلك
2- وكذلك فتوى علماء الأزهر عام 1366هـ وأيضا عام 1367هـ بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين .
3- وفتوى علماء المؤتمر الدولي الإسلامي المنعقد في باكستان عام1388هـ ، 1968م.
4- وكذلك فتوى لجنة الفتوى في الأزهر الصادرة عام 1375هـ بتحريم التطبيع مع اليهود .
5- أيضا أصدر مجموعة من العلماء عام1409 هـ ، 1989 م ، بلغ عددهم (63) عالما من ثماني عشرة دولة فتوى بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين .
6- وأصدر مجموعة كبيرة جدا من علماء اليمن فتوى في تحريم التطبيع مع اليهود
7- وفتوى مؤتمر علماء فلسطين المنعقد في 1412 هـ أفتوا بحرمة المشاركة في مؤتمر مدريد وأفتوا أيضا بحرمة التطبيع مع اليهود ثم ذكروا الأدلة الشرعية في ذلك .
8- ثم إن علماء وأهل الجهاد والشوكة من أهل الحل والعقد من أهل فلسطين لم يرتضوا هذه المبادرات القديم منها والحديث ، وحتى الشعب الفلسطيني ، فلماذا يُفتات عليهم ولهم ذمة مستقلة تتيح لهم أن يكونوا أولى الناس بأمورهم ، وقد عارضت حركة حماس الجهادية بقيادة رئيسها الشيخ أحمد ياسين وفقه الله في بيان أعلن فيه رفضه لتلك المبادرات ، وقال : نحن نرفض أي اقتراح يتنازل عن أراضي فلسطين وأعلن أنهم سوف يواصلون الجهاد ضد اليهود [358].

---

[357]جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري ، بيروت: مؤسسة الرسالة،1415هـ=1994م،188 .

[358]ينظر : بيان في حكم التطبيع مع اليهود، سؤال لمجموعة من أبناء فلسطين ،1422هـ ، الشبكة الالكترونية.

الخاتمة

فلا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته بالشكل الذي رسمناه له، فأقول:

1- التطبيع هو يعني التغيير من حالة غير طبيعية تتصف بالصراع والتصادم ، الى حالة طبيعية يسودها السلام والتعاون وحسن الجوار.

2- الكيان الصهيوني، تكون بالتعاون مع قوى الاستعمار القديم من اجل ادامة السيطرة على المنطقة العربية الاسلامية، لأنها قلب العالم الاسلامي، ويعتبر كيان توسعي في اصل نشأته.

3- ان التطبيع كمفهوم سياسي حديث ، هو حصيلة الجهود والتجارب البشرية منذ بدا اول تشكيل بشري .

4- ان مصطلح الشرق الاوسط هو مصطلح يهودي ،جاء كمقدمة مهمة للتعايش مع اليهود في المنطقة العربية.

5- والتطبيع من شأنه ان يعيق ويعطل وعي الامة، ومحاولات إنهاضها وإصلاحها ، وبناء مشروعها الوحدوي الجامع.

المراجع

القرآن الكريم

1- اسرائيل الكبرى ،دراسة في الفكر التوسعي ،اسعد رزوق،(مركز الابحاث–منظمة التحرير الفلسطينية :بيروت،1968م)33.
أضواء على اسرائيل ،مركز الاعلام الاسرائيلي ،1998م .

2- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط1،مدرسة الامام علي عليه السلام،1426هـ .

3- بيان في حكم التطبيع مع اليهود، سؤال لمجموعة من أبناء فلسطين ،1422هـ ، الشبكة الالكترونية.

4- تسارع خطوات التطبيع.. الأسباب والأبعاد ، أحمد محيي الدين ،الثورة نت. All Rights Reserved،19/4/2019.

5- تطبيع العلاقات في المنظور الاسرائيلي –الرؤية –،طارق أنور،العلم طريقنا للمواجهة، العددان(7–8)،كانون الثاني –شباط،1994م.

6- التطبيع مع كيان يهود والحكم الشرعي فيه ، عبد الستار أبو تقي ،مجلة الوعي ،العدد 414–415–416 – السنة الخامسة والثلاثون – رجب وشعبان ورمضان 1442هـ – شباط وآذار ونيسان 2021م ،الأرض المباركة فلسطين.

7– التطبيع ومقاومته ،احمد شرف .

8–التنظيم الدولي، النظرية العامة–الامم المتحدة ،محمد سعيد الدقان ،دار المطبوعات الجامعية: الاسكندرية ،1954م.

9–ثقافة التطبيع والحرب الناعمة ،اعداد مركز الحرب الناعمة،ط1،مركزالمعارف للدراسات الثقافية،2021م، وجريدة الأيام السورية ، نوفمبر 4, 2020.

10–جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري ،بيروت: مؤسسة الرسالة،1415هـ=1994م.

11– الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،ط2،دار الكتب المصرية : القاهرة،١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م .

12–رسائل في الاديان والفرق والمذاهب ، محمد إبراهيم الحمد ،(1426هـ)

13–الصهيونية العالمية ، عباس محمود العقاد ،دار المعارف بمصر،2001م.

14– الصهيونية العالمية ،عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي سي آي سي،2017م .

15–عرض كتاب :الصهيونية بإيجاز، محمد بن علي باخريبه، موسى بن محمد بن هجاد الزهراني ،كلية دار العلوم :جامعة القاهرة،2004م .

16– الكيان الصهيوني: من طور التأسيس إلى طور النَّزْع الأخير، عمرو علان ، 22/4/ 2021.

17– لماذا ترغب إسرائيل في التطبيع مع دول الخليج؟ ،تغريد علي ، مقالة نشرت في موقع منشور الالكتروني ، في 10/08/2021 .

18–المثقفون العرب والاستمالة السياسية،توفيق ابو بكر ،مركز جنين للدراسات الاستراتيجية: عمان،1998م.

19– مصطلحات يهودية أحذرها، عيسى القدومي، ط2,مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية:قبرص–نيقوسيا،1431هـ=2010م .

20–معجم اللغة العربية المعاصرة ،أحمد مختار عمر،ط1,عالم الكتب:القاهرة، 1429هـ =2008م.

21معجم عبدالنور المفصل، فرنسي –عربي ،دار العلم للملايين :بيروت ،1995م.

22–مقالة الشرق الاوسط، الموسوعة السياسية،.Copyright © Political Encyclopedia

23–المورد الحديث ،رمزي منير البعلبكي.

24– الموسوعة السياسية ، عبدالوهاب الكيالي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1994م.

25- الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية،1984م .

26-موقع الخدمات البحثية ،(قراءات إعلامية) التطبيع مع الكيان الصهيوني .

27-موقع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين على شبكة الإنترنت .

28-موقع مجموعة الخدمات البحثية ،مقال قراءات إعلامية ، التطبيع مع الكيان الصهيوني

29-موقع موضوع، المذهب الميكافيلي (مذهب فكري سياسي) ،سيف الدين قاسم،١٥ أبريل ٢٠٢٢.

30-اليهود: من عهد داوود إلى دولة إسرائيل، علي محمد عبدالله ،2017م 0

توحيد الخطاب الديني لمجتمع يسوده التعايش السلمي

نظرة فكرية معاصرة

د. عمار باسم صالح

كلية العلوم الإسلامية/جامعة بغداد

ملخص البحث

إن من اهم الامور التي تبحث عنها جميع المجتمعات في العالم وهو السلم الاهلي او التعايش السلمي بين الاديان والمذاهب والملل الاخرى.

حاول البحث إبراز أن الخطاب الديني يجب أن يركز على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت أي مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي أو مجتمعي ، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

يؤكد البحث ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على مافيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء، وقد أبرز البحث جملة من الحقائق بعد أن تمت معالجة المقدمات الممهدة لها؛ اذ وضح البحث أهمية تفعيل نبذ التطرف في المجتمع والآلية الناجعة للحد من الفتن و الصراعات الطائفية و العرقية والجنسية في أي مجتمع على قاعدة المساواة وعدم التمييز.

بين البحث ان الخطاب الديني يتصف بالوسطية، وهي عدم التعصّب لمذهب معين، بل الأخذ بالنافع من تراثنا الإسلامي،وان نبذ التطرف له اثر في ترسيخ مقصد مهم من مقاصد الشريعة وهو المحافظة على عقول الناس، من الانحدار نحو التصورات الفاسدة، والافكار المنحرف لذا أصبح لزاما من ضرورة تحذير العوام من الولوج في فهم القضايا العلمية وبناء تصوراتهم على وفق قراءاتهم الخاصة وغير المنضبطة بأصول وقواعد التفكير العلمي والأكاديمي.

كما واكد البحث أن التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في نفس الزمان والمكان.

Abstract

One of the most important things that all societies in the world are looking for is civil peace or peaceful coexistence

.between religions, sects and other denominations

The research attempted to highlight that coexistence is the will of the people of the heavenly religions and different civilizations to work in order for security and peace to prevail in the world, and so that humanity lives in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with what is the good that prevails among all human beings without exception. Peaceful coexistence is an .expression that is intended to be a creation Understanding among peoples is far from war and violence

The research confirms that coexistence is the will of the people of the heavenly religions and the different civilizations to work in order for security and peace to prevail in the world, and for humanity to live in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with what is good that pervades all human beings without exception. Introductions to it; The research clarified the importance of activating the right of citizenship in society and the effective mechanism to reduce sectarian, ethnic and sexual .conflicts and conflicts in any society on the basis of equality and non-discrimination

The rejection of extremism has the effect of establishing an important purpose of the purposes of Sharia, which is preserving the minds of people, from regression towards corrupt perceptions, and deviant ideas. Therefore, it has become imperative to warn the public against entering into an understanding of scientific issues and building their perceptions according to their own .readings that are not disciplined by the principles and rules of thinking. Scientific and academic

The research also confirmed that peaceful coexistence is agreement, acceptance and moral reconciliation between people in their dealings and dealings where they are not found in the same time and place

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه أجمعين.

إن فهم النص الديني ضرورة معرفية لتوحيد الخطاب الديني وهو أمر ميسور وسهل ولا يصعب إلا على معرض عنه لم يجهد نفسه في البحث والاستقصاء عن أساليب فهمه وفهم قضاياه معتمداً الطرق السليمة لمعالجة ألازمات الفكرية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية اليوم.

ولإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الإسلامي المنشود، كان لابد من المحاربة والوقوف ضد التيارات المتعصبة من أجل خطاب إسلامي نهضوي يحقق الغاية من الهدف الذي تصبو إليه الأمة الإسلامية في الرفعة والحضارة، ويساير متغيرات العصر ومتطلباته ويعيش في زمانه المعاصر وفي مكانه الحالي، لذا ينبغي أن يتصف خطابنا الإسلامي بجملة من المواصفات؛ تعطي البعد الحضاري النهضوي للخطاب الإسلامي المعاصر ؛ المستمد من خطاب الوحي، المتحرر من مؤثرات الأهداف المشبوهة.

ان فكرة اعتدال وتوحيد الخطاب بلا شك فكرة جميلة وبخاصة بعد الويلات التي جرتها الهويات الفرعية من اصطراع داخلي احرق الحرث والنسل، اصطراع مدروس يدفع باتجاه سمو مبدأ المواطنة و التعايش فوق الهويات الفرعية والثقافية المتنوعة المتشرذمة والممزقة والتي نجحت بسرعة في تفتيت النسيج المجتمعي.

بين البحث أن يتصف الخطاب الديني بالعقلانية، فلا يمكن للشخص أن يتحدث بأحكام الإسلام ويُلقي بها على المسامع دون أن يفكّر في تحليلها وتفسيرها وإيصالها إلى أذهان الناس بالوسائل والأساليب المناسبة .

اكد البحث ان وحدة الخطاب الديني تحث على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من افراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي او مجتمعي، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى أتباع الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

وقد خلص البحث انه يجب على الخطاب الديني المعاصر الابتعاد عن النَفَس الطائفي ويدعو إلى الوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، تحت مظلة حب الوطن والتعايش السلمي.

حاول البحث ان من المصطلحات التي باتت متداولة كثيراً في عصرنا الحاضر مصطلح الخطاب الديني، الذي يحاول البعض تعميمه في محاولة منه لعولمة الفكرة وتأطيرها بإطار مقدس وصولا إلى تبنيه قانونا يقدم على أي نزعة دينية أو مذهبية أو أثنية أو عرقية ونحوها.

وهناك اتجاه في بعض وسائل الإعلام يحاول جعل الخطاب الديني هدفا للفرد في المجتمع وصولا إلى محو الفوارق الثقافية بين إفراد المجتمع وانتهاءا إلى طمس الهويات الفرعية .

من أجل ما تقدم اخترنا هذا البحث، محاولين إماطة اللثام عن الموضوع بتجرد كبير.

واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة و مطلبين وخاتمة، تناولنا في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصصنا المطلب الأول لإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الإسلامي مع بيان أهميتها للفرد والمجتمع، وجعلنا المطلب الثاني مخصصا لأهمية المعرفة في فهم الخطاب الديني، وأما الخاتمة فقد أوجزنا فيها أهم نتائج البحث وما توصلنا إليه في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، وأخيرا فهذا جهد المقل فان وفقنا فهو محض فضل من الله وان كانت الأخرى فمنا ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم براء منه.

المطلب الاول

مفهوم الخطاب الاسلامي

لإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الاسلامي نرى من المناسب ان نعرِّف الخطاب بأنه: (البيان الذي يوجّه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدةً أو شريعةً؛ عبادة أو معاملة؛ فكراً أو سلوكاً، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية أو اجتماعية؛ روحية أو مادية؛ نظرية أو عملية)[359].

وهناك من يلفت النظر إلى التوقف عند مفهوم الدلالة لمصطلحات: (خطاب الإسلام) و(الخطاب الإسلامي او الديني أو خطاب المسلمين)، فمصطلح(خطاب الإسلام)ينصرف إلى خطاب الوحي، بكل ألفاظه وظروفه وأحواله ومجالاته ومضامينه التي يعرض لها، وهو الخطاب المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما(خطاب المسلمين)فهو ذلك الإنتاج الفكري والفقهي والعلمي، والتعبير عن سائر الفهوم والجوانب المعرفية، فهو يمثل خطاب المسلمين واجتهادهم وفهمهم في التعامل مع خطاب الإسلام في الكتاب والسنة والسيرة، ومحاولاتهم تنزيله على واقع الحياة في كل زمان ومكان، وهو بطبيعة مصدره(الإنسان)محل الخطأ والنسيان، إذ إنه خطاب يأتي ثمرة لاجتهاد بشري يجري عليها الخطأ والصواب، وهو بطبيعته قابل للمراجعة، والمناقشة ، والتقويم، والاختبار، والتعديل، والإلغاء،(فالخطاب) بهذه النسبة هو المنتج البشري الاجتهادي المرتكز إلى قيم الإسلام، أو إلى(خطاب الإسلام)[360].

والخطاب الإسلامي المعاصر يعاني من غربة الزمان والمكان لدرجة كبيرة، وعدم إدراك حال المخاطبين وحاجاتهم وكيفية التعامل معهم وإيصال الخير إليهم، فالعالم يتطور بشكل سريع ومتزايد، والدنيا حولنا تتغير بحاجاتها ومشكلاتها فمن المنطقي أن لا تتم معالجتها بنفس الوسائل ونفس الطرح ونفس المنطق والتصور والخطاب[361].

اذ يتخذ هذا الخطاب أساليب شتى قديمة وحديثة: من الخطبة والمحاضرة والدرس والحديث والمقالة والرسالة والكتاب والندوة والبحث الميداني، والتحقيق الصحفي والبرنامج الإذاعي أو التلفزيوني والعمل الدرامي، ويمكن أن يستخدم فيه النثر والشعر والزجل والقصة والمسرحية، كما يمكن أن يستخدم فيه كل أجهزة الإعلام المعاصر وآلياته: المكتوبة والمسموعة والمرئية، محلية واقليمية وعالمية؛ من الإذاعات الموجهة إلى القنوات الفضائية إلى شبكة الانترنت)[362].

فالخطاب الإسلامي إذن هو خطاب الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتين والباحثين، حين يقدم إلى جمهور الناس على أنه الوصف السليم والفهم الصحيح للإسلام في عقيدته ونظامه الأخلاقي وآدابه وشريعته، ولهذا الخطاب الإسلامي دور أساسي في تكوين العقل المسلم والوجدان المسلم، ومنه يتلقى عامة الناس تصورهم للإسلام وللعالم في ظله.

---

[359]جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة ،ص15.

[360]ينظر: عمر عبيد حسنة، الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة ، ص19-22.

[361]ينظر: عمر عبيد حسنة، من فقه الاستطاعة، ص103.

[362]ينظر: جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، ، ص16.

ومن الامور التي اهتم بها الاسلام وجعلها من ضمن القيم العليا التي لا نقاش واختلاف فيها المساواة، حيث وردت في نصوص صريحة في الصحيفة مثلا (ان ذمة الله واحدة) (وان بعضهم موالي بعض دون الناس) وهذا يعني انهم يتناصرون في السراء والضراء ، وتضمنت الصحيفة ان (المؤمنين يبني بعضهم على بعض بما نال دمائهم في سبيل الله) ،ومعنى قوله يبنى هو من البواء ، أي : المساواة[363].

ان مبدأ المساواة من اهم المبادئ التي تساهم في بناء لمجتمع وتحصينه وقد اهتم به الاسلام وله الصدارة في منظومة المفاهيم قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى...)). وقال رسول الله (ﷺ) ((يا ايها الناس الان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا عجمي على عربي ولا احمر على اسود ، ولا اسود على احمر الا بالتقوى ، ابلغت))[364].

حيث نقصد بالمساواة المساواة امام الشرع والقانون وكافة الاحكام الاسلامية[365] وليس المساواة في جميع شؤون الحياة كافة وهذا غير معقول ومن البديهيات اختلاف الناس في قابلياتهم وكفاءاتهم بل الاختلاف والتفاوت في الخلقة الذي يقتضي عدم المساواة بل اعطاء كل ذي حقاً حقه من السنن الالهية بل هي غاية الخلق[366].

المطلب الثاني: توحيد الخطاب الإسلامي والتعايش السلمي

إن من أعظم مبادئ التعايش العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى : { يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }[367].

ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام ، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال ، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني.

---

(363) ينظر : الروض الانف ،،السهيلي، (2 /17).

(364) ينظر : المسند،احمد بن حنبل ، المسند ، (5، /411).

(365) ينظر : فقه التمكين في القرآن الكريم ، علي محمد الصلابي ، ص463.

(366) ينظر : فلسفة التربية الاسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني ، ص179.

[367] سورة المائدة / 8.

إن المعاملة الإسلامية لغير المسلمين في ظل دولة الإسلام تشير إلى تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كل ما فيه خير للفرد والأمة في الحاضر والمستقبل . وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين ، فجعل النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة[368] .

يجب تحقيق مفهوم العدالة فيها تطبيقاً وتنفيذاً شرعياً كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }[369] .

ولا شك أن وجود السلطة القضائية المستقلة العادلة النزيهة [370] لهو أكبر الضمانات لمحاكمة تتوافر لها عوامل الحيدة والنزاهة والاستقلال[371] . ومن صور المساواة والعدالة في الحكومة التسوية في مجلس القضاء والاستماع إلى الخصم غير المسلم وعدم الضيق بهم والحنق عليهم[372] كما جاء ذلك في توجيهات النظم القضائية الإسلامية .

ان علماء الإسلام في عصور الازدهار الحضاري الإسلامي لم يعرفوا ذلك الانفصام بين علوم الدنيا وعلوم الدين، إذ كان العالم منهم يبرع في العلوم الشرعية كما يبرع في المجالات العلمية والفلسفية والاجتماعية وغيرها[(373)]، انطلاقاً من توجيهات القرآن الكريم التي كما حثت على التفقه في الدين وتعلّم التأويل؛ حثت على النظر في ملكوت السموات والأرض واكتشاف سنن الأنفس والآفاق، ولمّا

---

[368] انظر : الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1990 ، ص85 ؛ أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي ، ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد 12 ، 1409هـ؛ ص110، التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1417هـ،، ص99 .

[369] سورة النساء / 58 .

[370] انظر : السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، الزهراء للإعلام العربي ، 1988 ، ص652 .،

[371] انظر : تبصرة الحكام : ابن فرحون ، (1 /ص15) ؛ معين الحكام : الطرابلسي ، ص9 .

[372] انظر : القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، دار عمار ،عمان ، 1992 ، ص119.

[(373)] ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية (مصر: دار المعرفة الجامعية، 1997م) ص41-46..

ابتعد المسلمون عن توجيهات القرآن الكريم في عصور التخلف الإسلامي، حدث ذلك الانفصام بين علوم الدين وعلوم الدنيا، إذ أصبح لعلوم الدين مجالاتها المنفصلة عن مجالات علوم الدنيا، مما فاقم كثيراً من أزمة التخلف والتأخر الحضاري للمسلمين.

ذلك أن بعض المسلمين قد اندفعوا نحو تيار النهضة الغربية الحديثة التي أسست حضارتها على أنقاض الدين والكنيسة؛ التي كانت تحارب العلماء وتضطهدهم، ولم يمعنوا النظر في أصول هذه النهضة العلمية الحديثة المستمدة جميعها من ثمار المعرفة الإسلامية في عصور الحضارة المجيدة، عن طريق الأندلس أو بغداد أو إبان الحروب الصليبية، وكل العلم المنقول عن الإسلام كان علماً شمولياً قائماً على ضبط المناهج مع ارتباطه بقاعدة الإيمان، إذ أن العلم عند المسلمين كان مرتبطاً بالدين في عصور النهضة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، وهذا هو سر ازدهاره وتقدمه العظيم في تلك العصور الخوالي[374].

ومن أجل النهوض حضارياً بواقع العالم الإسلامي، ينبغي تطوير المفهوم السائد للدراسات الإسلامية، والمنحصر في دائرة مواد بعينها هي ما يحتاج إليه الناس في المفهوم الضيّق لمعرفتهم بالله(ﷻ)؛ والمشتملة في الأغلب على المفردات الآتية: القرآن وعلومه؛ التفسير ؛ الحديث وعلومه؛ الفقه؛ العقيدة؛ التصوف؛ السيرة والتاريخ الإسلامي، ويضاف إلى ذلك أن جميع هذه المفردات تفتقر إلى التدريب العملي، على اعتبار أن العلوم الإسلامية ليس لها صلة بالتدريب، وفي مقابل ذلك إخراج الكثير من المواد العلمية والأدبية كالطب والهندسة والزراعة والعلوم والفلك والاقتصاد والفن وغيرها عن نطاق العلوم الإسلامية[375].

فينبغي على المؤسسات التعليمية أن تنطلق بمناهجها التعليمية إلى رحاب أوسع في ضوء تعاليم القرآن الكريم، وهدي السنة النبوية المطهرة والسيرة العلمية للسلف الصالح من الأمة الإسلامية، الذين فهموا الدين منهجاً للحياة وأسلوباً للعمل، فكيّفوا عليه تصورهم للعلم والمعرفة والبحث والتدريب[376].

وفي تطوير البحث العلمي لم يعد النظر إلى العلم بكونه المحتوى المعرفي لمجموعة المقررات الدراسية التي يدرسها التلاميذ في مختلف المراحل التعليمية كافياً في فهم طبيعة العلم وتعلّمه، إذ أن النظرة إلى العلم كمحتوى معرفي أو مادة دراسية فحسب تعكس فهماً محدوداً لطبيعة العلم وتجعله منحصراً في الجانب المعرفي وتهمل جانباً على درجة كبيرة من الأهمية ألا وهو الجانب السلوكي المتمثل في النشاط الفكري القائم على التفكير السليم والتقصي العقلي والبحث والخيال الخصب ومهارات التفكير العلمي وحل المشكلات، فالبحث العلمي يؤكد أهمية أساليب الملاحظة الدقيقة وفرض الفروض والتحقق من صحتها عن طريق التجربة العلمية[377].

والجزء المهم والحيوي من رسالة مؤسسات التعليم هو البحث العلمي، اذ به تلتمس طريقها نحو العمل الأفضل في المستقبل، وبه كذلك تتوصل إلى صواب أو خطأ تجربتها في الماضي، فالبحث العلمي هو الجزء الخلاّق والمبدع في العمل الجامعي، وهو الذي يعمل على تنمية المعرفة؛ وإثراء الفنون الانتاجية وزيادة رصيد التراث العلمي والحضاري للإنسانية، فعملية التقدم والتطور في شتى

---

[374]ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، ص3.

[375]ينظر: حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية ص12-14.

[376]حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية، ص17.

[377]ينظر: فاطمة عوض صابر؛ ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي ، ص13-14.

المجالات الدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية إنما يكون طريقها من خلال البحث العلمي، فإذا توقف البحث العلمي أصيبت جميع جوانب الحياة بالجمود والتصلب وعجزت المجتمعات عن تحقيق أي تطور أو تقدم[378].

أما في ما يخص الابداع أو التفكير الإبداعي يعرف بانه: (العملية الذهنية التي نستخدمها للوصول إلى الأفكار والرؤى الجديدة، أو التي تؤدي إلى الدمج والتأليف بين الأفكار أو الأشياء التي يعتبر سابقاً أنها غير مترابطة)[379] فالإبداع هو قدرة عقلية تدفع بالفرد إلى السعي والبحث عن جديد؛ وهو ليس شيئاً بعيداً عن تناول الكثيرين من الأشخاص إذ يستطيع كل فرد أن يكون مبدعاً لو اكتسب المعارف والمهارات التي يمكن أن تقوده إلى ذلك وعمل على تنميتها في نفسه[380].

ولابد من الانتقال الى ثقافة التلقين والذاكرة إلى ثقافة الإبداع، والتي تدفع بالمتعلم نحو إدراك لعلاقات جديدة من أجل تغيير الواقع، وذلك يستلزم إعداد نظام تعليمي يسعى إلى مساعدة المتعلمين بكافة مستوياتهم على إدراك علاقات جديدة، وكشف التناقضات السائدة في الواقع، في سبيل تغيير للواقع المعاش، ومحاولة صياغة واقع جديد يحقق مطالب ومصالح المسلمين، وذلك من خلال تطوير المناهج الدراسية بما يتناسب مع مشكلات واقعنا وتداعيات العصر ومشكلاته، وتقديم قدراً من المعارف والعلوم التي تنمي قدرات الإبداع لديهم، مثل القدرة على حل المسائل والمشكلات وليس تحصيل المعارف فحسب[381].

وفي ظل النظام العالمي المعقد الذي يعيش فيه العالم الإسلامي لم تعد الفتاوى الفقهية التي تخص الأفراد بكافية في معالجة الأزمات المتعددة التي تهدد وجود المسلمين وكيانهم، فالأمة أضحت بحاجة إلى فقه حضاري يحسن فهم المسألة الحضارية بمجملها، والمسائل المتفرعة عنها، وما تشتمل عليه من تكليف كلي وتنظيمات وتأسيسات داخل الحضارة الواحدة وفيما بين الحضارات، من أجل ابراز الحضارة الإسلامية (كحالة أصيلة يدرسها هذا الفقه تقدم إمكانيات عليا على مستوى التأصيل والقواعد؛ وعلى مستوى المسائل والقضايا والأفكار والقيم والمبادئ؛ وعلى مستوى السنن والنواميس التي تؤكدها وتقررها من الاختلاف والتنوع الحضاري؛ فالتعارف والتحاور، فالتوازن الحضاري المأخوذ من الميزان السماوي والمناقض للطغيان الدولي والحضاري، وسنن التداول والإبدال الحضاري، وكذلك سنن التدافع الحضاري، تلك السنن والقيم التي تواجه مقولات راجت في الساحة العالمية من قبيل صدام الحضارات وصراعها، وحروب الثقافات)[382].

---

[378]ينظر: حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية، ص18.

[379]عبد الإله بن إبراهيم الحيزان، لمحات عامة في التفكير الابداعي ، ص24.

[380]ينظر: محمد عبد الغني هلال، مهارات التفكير الابتكاري؛ كيف تكون مبدعاً ، ص53.

[381]ينظر: شبل بدران، التجديد في التعليم الجامعي، ص52-54.

[382]سيف الدين عبد الفتاح اسماعيل، فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري_ الأزمة ومقدمات الحل، ، ص520-522.

النتائج

بعد هذه الرحلة الماتعة في ثنايا الكتب والدراسات الفكرية والفلسفية لا بد أخيرا من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج؛ فنقول:

1-إن توحيد الخطاب الإسلامي (خطاب المسلمين) ينبغي أن يقترب كثيراً من خطاب الإسلام (خطاب الوحي) حتى يتمكّن هذا الخطاب من معالجة أزماتنا الفكرية ، باحترام أهل الأديان الأخرى وعدم محاربتهم في عقائدهم وسلوكياتهم مع مراعاة خصائص أفراد المجتمع الآخرين.

2-ينبغي أن يتصف الخطاب الديني بالعقلانية، فلا يمكن للشخص أن يتحدث بأحكام الإسلام ويُلقي بها على المسامع دون أن يفكّر في تحليلها وتفسيرها وإيصالها إلى أذهان الناس بالوسائل والأساليب المناسبة .

3-أن الخطاب الديني يجب أن يركز على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت أي مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي أو مجتمعي ، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

4-يتصف الخطاب الديني بالوسطية، وهي عدم التعصّب لمذهب معين، بل الأخذ بالنافع من تراثنا الإسلامي.

5-تتمثل الوسطية في الموازنة بين العقل والقلب، فلا يتحدّث بالعقل المجرّد عن العاطفة، ولا بالعاطفة البعيدة عن العقل، بل يمازج بينهما كي يتصل العقل مع القلب في الخطاب الإسلامي.

6-يتصف الخطاب الديني بالموازنة بين المادية والروح، فكما يهتم ويحثّ الناس على العبادة والأعمال القلبية والتعلّق بالآخرة، يدعو إلى عمارة الدنيا والاستمتاع بطيباتها بما يرضي الله تعالى.

7- يجب على الخطاب الديني المعاصر الابتعاد عن النَفَس الطائفي ويدعو إلى الوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، تحت مظلة حب الوطن والتعايش السلمي.

8- أما الخطاب الديني الموجّه إلى غير المسلمين فينبغي أن يتّسم بالتآلف والتعايش والمحبة لا التصادم والتشنيع، لأن ذلك سوف يصمّ الآذان عن سماع كلمة الحق، ويغلق القلوب عن أن يدخلها نور الهداية.

9-الخطاب الإسلامي المعاصر يعاني من غربة الزمان والمكان لدرجة كبيرة، وعدم إدراك حال المخاطبين وحاجاتهم وكيفية التعامل معهم وإيصال الخير إليهم، فالعالم يتطور بشكل سريع ومتزايد، والدنيا حولنا تتغير بحاجاتها ومشكلاتها فمن المنطقي أن لا تتم معالجتها بنفس الوسائل ونفس الطرح ونفس المنطق والتصور والخطاب

المصادر

القران الكريم

1. ابراهيم أبو محمد، من قضايا التحديات في القرن الواحد والعشرين_ التعليم في ضوء فكر سعيد النورسي، شركة سوزلر، القاهرة 2002م.
2. أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994..
3. ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت 1992،.
4. أحمد بن حنبل، المسند، منشورات دار صادر، بيروت . لبنان،1984.
5. احمد رضا: معجم متن اللغة، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1960م.
6. جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، بحث ضمن المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة، 2009م، .
7. حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية ،المكتبة الثقافية،بيروت، 1992.
8. سيف الدين عبد الفتاح، في ندوة الفكر الإسلامي المعاصر مفهوماته ومجالاته التداولية، عقدتها مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، السنة 8، العدد 26، بغداد، 2004.
9. عبد الإله بن إبراهيم الحيزان، لمحات عامة في التفكير الابداعي ، مجلة البيان،الرياض، 2002م. .
10. عبد الكريم شورش، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس، دار الجديد ،بيروت، 2002م.
11. علي محمد محمد الصلاَّبي ، فقه التمكين عند دولة المرابطين ، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة، 2006 م .
12. عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.
13. عمر عبيد حسنة، الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة، المكتب الإسلامي، القاهرة، 2005م.
14. فاطمة عوض صابر؛ ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي ، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، 2002م.
15. ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الاسلامية ، مكتبة هادي ، مكة المكرمة ، 1409هـ. .
16. محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات، تحقيق وزيادة: عبد الرحمن المراعشلي، دار النفائس، بيروت، 2007.
17. محمد عبد الغني هلال، مهارات التفكير الابتكاري؛ كيف تكون مبدعاً ، مركز تطوير الأداء والتنمية، مصر الجديدة: ، 1997م .
18. محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية ، دار المعرفة الجامعية، مصر،1997م.

جمالية صف الطيور في السماء وصفن الخيول للانطلاق في القران الكريم

دراسة فنية موضوعية

أ.د خالد إبراهيم مسلم الآلوسي

أستاذ التفسير في كلية العلوم الإسلامية

1443هـ **بغداد** **2022**

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن موضوع الحياة متعدد الجوانب ولاسيما ما يشتمل عليه من جوانب الحياة الحيوانية والتي نظر إليها القران الكريم نظرة بيانية وتعبدية فقد اوردها في أروع بيان مستخدما الفاظا لتلك الرؤيا لبعض جوانبها التي تكون عليها وهي في افضل حالتها والتي جعلت فيها جوانب الحياة بكل أسرارها للدخول إلى عالمها وبيان تسخيرها من قبل الله تعالى للإنسان صاحب الخلافة في أرضها وسماءها.

وحقيقة صف الطيور هي : بسط جناحيه في طيرانه فلم يحرّكهما ولها دلالات فنية واخرى موضوعية ويشاطرها في ذلك الصفن للخيل وهذا له أيضا تلك الدلالة ولعل ما يميز الصف تلك المدود التي وردت في وصف الطيور فكانت من جمال البيان وسر الفصاحة وهي مصطلحات جديدة لم يعهدها الإنسان العربي كل ذلك لكي يبرز حقيقة تلك الألفاظ التي تدل على حياة الحيوان وانه مسخر بإذن الله للإنسان أينما وجد فكانت أهمية البحث تقتضي الكشف عن هذه الألفاظ فنية وموضوعية ولم أجد من بحث في هذه الأمور في حياة الحيوان إلا ان بعض المفسرين من المح إلى ذلك ولعل منهم الإمام الزمخشري وهو إمام في هذا المجال بلا منازع ولم أجد من درس ذلك ولعل هذا ما شجعني في البحث فاثمر نتائج علمية موضوعية وفنية جمالية كشفتها هذه الدراسة وهي نوع من الإعجاز البيان في تسخير هذه الألفاظ لخدمة النص القرآني وقد اقتضى البحث ان يكون على أربعة مباحث مجليا فيها الدراسة الفنية مع الدراسة الموضوعية والخروج بأمور طيبة في هذا البحث

وقد تجسدت الخطة كما قدمنا من مقدمة فيها أهمية الموضوع مع مشكلة البحث والدراسة السابقة وخطة البحث ثم **المبحث الأول:** الذي كان لتعريف مصطلحات البحث عنوانه ثم المبحث الثاني: الذي الحديث عنه عن استقصاء استعمالات القرآن الكريم للمادتين الصف والصفن **ثم المبحث الثالث:** والذي الحديث فيه عن استكمال الدراسة الموضوعية كون الاصطفاف بين العالم المادي والعالم الروحاني ثمّ الدراسة الجمالية الفنية في **المبحث الرابع** والذي عنونته ب(الجمالية الفنية بين صف الطيور في السماء وصفن الخيول للانطلاق وفيه مطالب) المطلب الأول: لفظة (الصافات) بين الشكل والمضمون والانسجام الصوتي. والمطلب الثاني: إيقاع المدود وأثره في لفظتي(الصافات) و(الصافنات) ثم الخاتمة وثبتا للمصادر والمراجع.

والله اسأل ان ينال عناية القائمين على المجلة وأن يكون خالص لوجهه الكريم خدمة للقرآن الكريم والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات العنوان

من قواعد البحث العلمي هو التعريف بالمصطلحات فهي ركيزة مهمة في بيان الموضوع الذي يدرس ويناقش وفي هذا المبحث سوف أعرف بالمصطلحات الوادرة في عنوان البحث ولعل الجمالية وصف الطيور وصفن الخيل من العنوانات التي ينبغي ان نعرف بها للدخول في الموضوع كدراسة موضوعية وأخرى بيانية فأقول

أولا : الجمالية :على وزن فعالية اسم مؤنَّث منسوب إلى جَمال أو هي مصدر صناعيّ من جَمال: ما يخصّ النَّواحي الجماليّة. ومفرده جمال من جَمُل بمعنى الحسن ولهذا يُقالُ: ناقةٌ جُمالِيَّةٌ، أَي: في خَلْقِ جَمَلٍ[383]. وجَمُل جَمَالا، يقال: جمُلَ يَجمُل، جَمالاً، فهو جَميل[384] قال ابن فارس:" الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمع وعظم الخلق، والآخر حسن... والأصل الآخر الجمال، وهو ضد القبح. ورجل جميل وجمال. قال ابن قتيبة: أصله من الجميل وهو ودك الشحم المذاب. يراد أن ماء السمن يجري في وجهه. ويقال جمالك أن تفعل كذا، أي اجمل ولا تفعله"[385]

يتبين لنا أن كلمة جمل تدور على الحسن وهو وصف لما عليه الشئ فهو أمر معنوي وهذه المادة هي أصل في الجمالية التي صيغت منها المصدر الصناعي للدلالة على تمكن هذه الصفة من الشئ.

أما في الاصطلاح فتعني: اتِّجاه يرمي إلى تنظيم السلوك وفقًا لمقتضيات الجمال بقطع النظر عن الاعتبارات الأخلاقيّة، وشعارها المشهور : الفنّ للفنّ[386].

أما ما يخص مانحن فيه فهو ما يخصّ النَّواحي الجماليّة ، في اللغة العربية

فالمراد القيمة الفنية للمفردة في سياق البلاغة القرآنية، واستقلالها بأهمية كبيرة في مجال التأثير الوجداني.

فهو جمال حسي بصري يبين أثر الكلمة المفردة في توصيل الصورة الفنية إلى الذهن...و جمال حسي سمعي يبيّن جوانب موسيقية في المفردة، من حيث وقع حروفها وصفات هذه الحروف، وملاءمتها للمقام، وما تمتعت به المفردة من مدود وحركات[387].

ثانيا: صف الطيور: الصف في اللغة هو الانتظام ، الاستواء والترتيب ،يقال : صفَّ في صَفَفْتُ، يَصُفّ، صَفًّا، فهو صافّ قال ابن فارس: "الصاد والفاء يدل على أصل واحد، وهو استواء في الشيء وتساو بين شيئين في المقر. من ذلك الصف، يقال وقفا صفا، إذا وقف كل واحد إلى جنب صاحبه. واصطف القوم وتصافوا. والأصل في ذلك الصفصف، وهو المستوي من الأرض، فيقال للموقف في الحرب إذا اصطف القوم: مصف، والجمع: المصاف. والصفوف: الناقة التي تصف، أي تجمع بين محلبين في حلبة. والصفوف أيضا: التي تصف يديها عند الحلب"[388].

---

[383] معجم ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: 350هـ)تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر،مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة: 1424 هـ - 2003 م:453.

[384] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]
المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية - بيروت: ط1، 1421 هـ - 2000 م:449/7

[385] مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)
المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: 1399هـ - 1979م.مادة(جمل)481/1.

[386] معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب: ط1، 1429 هـ - 2008 م:398/1.

[387] جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف: دار المكتبى - دمشق:ط2، 1419 هـ - 1999م:20/1.

[388] مقاييس اللغة:مادة (صفّ)275/3.

وقَالَ اللَّيْث: الصَّفُّ مَعْرُوف قَالَ: والطّير الصّوَافُّ: الَّتِي تَصُفّ أجنَحتها فَلَا تحرّكُها[389].

يتبين لنا أن الصف هو أمر حسي من الوقوف صفا كل بجانب الآخر وكذا بسط الطائر جناحها في طيرانه ولم تحرّكه[390] وهذه الحالة التي يكون عليها وصفت في هذه الكلمة وكأن الأمر معنوي يصف أمرا حسيا وهذا في حقيقة الأمر والله تعالى أعلم.

أما في الاصطلاح فالصفّ بحسب ما يضاف إليه فيقال:

صفَّ القومُ: انتظموا في صفٍّ واحدٍ.

وصفَّتِ الإبلُ قوائمَها: وضعتها صفًّا.وصفَّ المقاعدَ: نظَّمها طولاً في استواء،

وصَفَّ الحروفَ: نظَمها كلماتٍ في سطورٍ تهيئةً لطبعها.

وصفَّتِ الطَّيرُ في السَّماء: (صفت)بسطت أجنحتَها في طيرانها فلا تحرّكها[391]

ولعل هذا الأخير هو موضوعنا لذا فهو في أصله لغوي وفي حالة عدم بيانه لاصطلاحي يصار إليه وهو ما اخترناه لموضوعنا.

ثالثا:صفن الخيول ،والصفن في اللغة هو القيام على ثلاث قوائم أو الوعاء يقال: صفَنَ يصفِن، صَفْنًا وصُفُونًا، فهو صافن.

قال ابن فارس:" الصاد والفاء والنون أصلان صحيحان، أحدهما جنس من القيام، والآخر وعاء من الأوعية. فالأول: الصفون، وهو أن يقوم الفرس على ثلاث قوائم ويرفع الرابعة، إلا أنه ينال بطرف سنبكها الأرض. والصافن: الذي يصف قدميه. وفي حديث البراء: «قمنا خلف رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – صفونا»[392] . ومنه تصافن القوم [الماء] ، وذلك إذا اقتسموه بالصفن، والصفن: جلدة يستقى بها"[393]

وبهذا يتبين لنا أن الصفن حالة وصفية لهيئة الخيل قبل الانطلاق وهي قائمة على ثلاث قوائم وهذه الحالة أصلها أمر حسي واقع في الوجود أطلق على الخيول وهي في هذه الحالة لتشكل حالة معنوية. والله تعالى أعلم.

أما في الاصطلاح فهي تعني قيام الفرس على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر من يدٍ أو رجل[394]

وقيل : كل صاف قدميه قائما فهو صافن[395]

---

[389] تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي – بيروت: ط1، 2001م:83/12.

[390] جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)المحقق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين – بيروت: ط1، 1987م:143/1.

[391] ينظر:معجم اللغة العربية المعاصرة:1303/2وينظر: كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال:88/7.

[392] الحديث غريب أخرجه الكشاف في تفسيره ينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري:جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ،دار ابن خزيمة – الرياض – 1414هـ: ط1 :189/3

[393] ماقييس اللغة:مادة (صفن)291/3.

[394] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم

المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: 573هـ)المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية): ط1، 1420 هـ – 1999 م:3772/6.

[395] النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ): تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ،المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م:39/3.

وقد صرنا في التعريف الاصطلاحي إلى أصله اللغوي ولم أجد من عرفه من أهل الاصطلاح لذا فإنه يصار إلى اللغة فيقال حسب ما يصف من الأحوال المختلفة فيقال: صفن الفرس صفونا قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة والرجل صف قدميه والطائر مهد لفراخه فراشا من الحشيش والريش.ولعل هذا أفضل ما يقال في بيانه من الاصطلاح واللغة.

وبهذا نكون قد أنهينا التعريفات الخاص بالموضوعات التي وردت في العنوان وهي مرتكز دراستنا الموضوعية والجمالية.

المبحث الثاني : استعمالات الكريم لمادة الصف والصفن

لقد جاءت كلمة الصف والصفن في القرآن الكريم على صيغ مختلف وسوف اتناولها مع جذورها التي أخذت عنه كل كلمة على حدة وعلى شكل جدول يبين لنا الآيات التي ورد فيها وهي كالآتي:

ت	مكي ومدني	الصيغة	السورة	الآية	رقمها
1	مكية	صفا	الكهف	وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا	48
2	مكية	صفا	طه	فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا	64
3	مكية	الصافات/وصفا	الصافات	وَالصَّافَّاتِ صَفًّا	1
4	مكية	صفا	الصف	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا	4
5	مكية	صفا	النبأ	يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ	38
6	مكية	صفا	الفجر	وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	22
7	مكية	صواف	الحج	فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ	36
8	مكية	صافات	النور	وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ	41
9	مكية	صافات	الملك	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ	19
10	مكية	مصفوفة	الطور	مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ	20
11	مكية	مصفوفة	الغاشية	وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ	15
12	مكية	الصافنات	ص	إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ	31

بعد وضع لفظة(الصف، والصفن)في جدول لبيان صيغها والتي تختلف معناها حسب السياق الذي وردت فيه يمكن أن يتبين ذلك من خلال تتبع الكلمة في الآيات التي وردت فيها فنقول وردت بصيغة(الصف)في مواضع تخص كل من الإنسان والملائكة والجن والحيوان في الحياة الدنيا والآخرة، وهذا ما جسدتها كلمة الصف التي هي عبار عن مصدر في كل من الآيات التي وردت فيها وهي آية 48 من سورة الكهف والتي تبين وقوف الخلائق في ساحات العرض يوم القيامة فالكل خاضع ومستسلم استسلاما تاما لما أراده

الله تعالى من جميع العباد المكلف وغيره ،ويراد من الصف الصفوف كقوله تعالى: {يخرجكم طفلاً}[396] أي أطفالا فهو مفرد أريد به الجمع، وقد يكون حقيقته القيام[397] ، ويقال: العرض للمبالغة في التهديد يعني تعرضون على من لا تخفى عليه خافية[398] وفي الآية تشبيه حالهم بحال الجيش الذي يعرض على السلطان ليقضي بينهم لا ليعرفهم[399].

أما في سورة طه آية (64) فقد جاءت كلمة الصف كذلك مصدر صف الأشياء إذا جعل الواحد حذو الآخر[400] لتبين حقيقة السحرة الذين جمعهم فرعون في مواجهة موسى عليه السلام كونهم مجتمعين ليبهروا الأبصار، وتعظم هيبتهم لدى النظارة فى هذا المشهد الحافل[401].

أما في سورة الصافات صفا في الآية (1) فهي تصف جنس الملائكة في مشهد عظيم وقد استخدم المصدر أيضا في إيضاح هذا المشهد إلا أن المقامات تختلف لهذا فقد اختلفت آراء المفسرين فيها فتكرار الصف يدل على تعدد المقامات والصفوف كل حسب مقامه[402]ولهذا قال الله تعالى (وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)[403]

أما في سورة الصف فقد جاءت هي الأخرى على المصدر ولكنها تتحدث عن الرجال في حالة قتالهم الذين يصفّون أنفسهم ولا يكون بينهم فرج فيه كأنهم بنيان متلاحم الأجزاء، كأنه قطعة واحدة قد صبّت صبا، وعلى هذه الطريقة تسير الجيوش فى العصر الحاضر[404]

وقد تتكرر حالة الصف في صفوف الملائكة في كل من سورة النبأ والفجر لتؤكد حقيقة الاستسلام والخدمة من قبل الملائكة فالصف هنا مراد به الجنس لا الواحدة

أي صفوفا بحسب منازِلِهم ومراتبِهم[405]

---

[396] سورة غافر:من الآية 67.

[397] ينظر:السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ): مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة: 1285 هـ:380/2.

[398]مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت :ط3 – 1420 هـ:

[399] ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ)عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت: 1412 هـ – 1992 م:26/8.

[400] ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ): الدار التونسية للنشر – تونس: 1984 هـ:338/30.

[401] ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر:ط1، 1365 هـ – 1946 م:125/16.

[402] ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:368/3.

[403] سورة الصافات الآية 164.

[404] ينظر: تفسير المراغي:81/28.

[405] ينظر: تفسير أبي السعود:157/9.

وأما في قوله تعالى فجاءت صيغة الصف على الجمع صواف بفتح الفاء وشدها جمع صافة أي مصطفة في قيامها وهي تصف البدن عند نحرها[406]

أما في سورتي النور والملك فقد جاءت جمع صافة على فاعل وهي صيفة لمؤنث فاعل صف وهو يصف حالة يكون عليها الطير والمراد هنا أن الطير صافة أجنحتها فحذف المفعول لعلمه من الوصف الجاري على الطير إذ لا تجعل الطير أشياء مصفوفة إلا ريش أجنحتها عند الطيران فالطائر إذا طار بسط جناحيه، أي مدها فصف ريش الجناح فإذا تمدد الجناح ظهر ريشه مصطفا فكان ذلك الاصطفاف من أثر فعل الطير فوصفت به ويراد به صفهن أجنحتهن في الهواء حين الطيران[407].

ثم ذكر الجماد في سورتي الطور والغاشية ليصف في الأولى الإنسان وهو في حالة إتكأه على السرر فقال (مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ) أي مصطفة وهي هنا على وزن مفعولة أي يجلسون على سرر مصفوف بعضها بجوار بعض جلسة المتكئ الذي لا كلفة عليه، ولا تكلف لديه[408] وقيل أنها متقابلة[409]

هذه حال السرر وهناك حالة أخرى للنمارق في سورة الغاشية قوله (وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ)

وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض[410] ومصفوفة صيغة المؤنَّث لمفعول: اسم مشتقّ للدلالة على حدث وذات وقع عليها هذا الحدث، في حالة التأنيث[411]

وأخيرا الصفن الوارد في قوله تعالى (الصافنات الجياد) في سورة(ص) فقد جاءت صيغة الصفن على وزن اسم الفاعل صافن وهو مفرد صافنات من صفَنَ،والصَّافِن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرَّابعة استعدادًا للانطلاق كما ذكرنا سابقا وقد وصف الجياد بالصفون والجودة ليجمع لها بين وصفين ممدوحين واقفة وجارية، فإذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها[412] وبهذا فقد استقرأنا الصف والصفن في القرآن الكريم مع استعمالاتها وصيغها .

المبحث الثالث: الاصطفاف بين العالم المادي والعالم الروحاني

في هذا المبحث سوف أتناول الصف من قبل من وصف به من الإنسان والملائكة والجن في الحياة الدنيا والآخرة وقد يتناول الجماد والحيوان بنوعيه الطائر والداب على الأرض وهو بذلك يتناول العالم المادي والروحاني فالاصل في هذه المادة(الصف)هو

---

(406) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ . 1993م ،ط4:150/1.

(407) ينظر :التحرير والتنوير :38/29.

(408) تفسير: المراغي:34/27.

(409) ينظر: التحرير والتنوير :47/27.

(410) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار إحياء التراث العربي – بيروت: ط1 – 1418 هـ:307/5.

(411) معجم اللغة العربية المعاصرة:32/1.

(412) تفسير المراغي:118/23.

صيرورة أشياء في خط واحد سوء أكان إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا، علما أن الصف في العالم المادي يتحقق بالوقوع على خط واحد ظاهري كما في صفوف الصلاة والجهاد وغيرها لذا فقد جاءت الآيات لتؤكد هذه الحقيقة قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)[413]فالصف هنا مصدرٌ وقعَ موقعَ الفاعلِ أو المفعول نصبه على الحاليةِ من فاعلِ يقاتلونَ أي صافِّينَ أنفسَهُم أو مصفوفِينَ على شكل خطوط ورُصفَ حتى صار شيئاً واحداً، كصفوف الصلاة وأنه يستحب سد الفرج والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها[414] ، والتحام بعضهم ببعض تشبيها بالبنيان المرصوص من حيث إنهم لا فرجه بينهم ولا خلل[415]، وعلى هذه الطريقة تسير الجيوش فى العصر الحاضر، وسره حسن النظام من إمضاء العمل بالدقة والإحكام، ومن ثم أمرنا بتسوية الصفوف فى الصلاة ،وهكذا تراعى الأمم النظام فى كل أعمالها، فى أكلها ونومها ورياضتها وتربية أولادها وهو سر ازدياد القوة المعنوية[416]

والاصطفاف أيضا في الإنسان جسدته الآية التي تتكلم عن سحرة فرعون وقد أتوا صفا فقال:(ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) أي: مصطفين، أمروا بذلك ؛لأنه أَهْيَبُ في صدور الرائين، وأَدْخَلُ في استجلاب الرهبة من المشاهدين[417] فالصف هنا مراد به الجنس لا الواحدة[418]

ولم يكن الاصطفاف خاصا بالإنسان وفي الدب على الأرض بل تعد ذلك إلى الحيوان إلا أن المشهد قد يختلف ففي الحيوان الصف يختلف وهو القيام إلا أن الجامع بينهما هو كما قدمنا هو صيرورة الشيء في خط واحد كما في البدن حالة نحرها فقال الله تعالى:(فاذكروا اسم الله عليها صواف)[419] أي: على ذبحها بالتكبير حال كونها {صواف} أي قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لأنّ البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث[420]، وهذا حال فصيلة من الحيوانات التي لها قوائم ثم يتعد الصف هذا إلى الطير فتقرر الآيات نوعا أخر من الصف حالة الطياران وهو استواء أجنحتهن في الجو قال تعالى:(وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)[421] فاصطفاف أجنحتها في الجو، وتمكينها من الحركة كيف تشاء، وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقبض والبسط، ففي ذلك دلالة واضحة على كمال قدرة الصانع المجيد، وغاية حكمة المبدئ المعيد[422]. فقد صفّت الطير أجنحتها، وسكنت، وذلك حين

---

[413] سورة الصف:الآية:4.

[414] ينظر:تفسير أبي السعود:243/8.

[415] ينظر:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)المحقق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية – بيروت:ط1، 1415 هـ:278/14.

[416] ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر: ط1، 1365 هـ – 1946 م:81/28.

[417] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ)المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة: 1419 هـ:398/3.

[418] التحرير والتنوير:250/16.

[419] سورة الحج:من الآية 36.

[420] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:553/2.

[421] سورة النور من الآية:41.

[422] ينظر:البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:49/4.

تفرد أجنحتها فى الجو، وتتوقف قليلا عن الطيران... فى أروع مظاهرها، وأعلى منازلها، حيث تكون محلقة فى جوّ السماء، صافّة أجنحتها، أي باسطتها فى حال من الهدوء والسكون، كأنها تستعرض العالم الأرضى، وتبسط ظلها عليه[423]

ثم تصور لنا الآيات الكريمات حالة الاصطفاف حتى من الجماد فقد ذكر الله تعالى عن سرر أهل الجنة وهي كيف تكون في وضع مصفوفة (مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ)[424] أرائك مزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش الزاهية.وكونها مصفوفة، ليدل ذلك على كثرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم، بحسن معاشرتهم، فهي منصوبة واحداً إلى جنب واحد مستوية كأنها الستور على أحسن نظام وأبدعه[425].

وكذا حال النمارق فهي الأخرى وصفت بأنها مصفوفة بعضها إلى جوانب بعض أي أينما أراد الجالس أن يجلس وجدها وهي الوسائد والحشايا للاتكاء في ارتياح[426]

ثم إن هذا الاصطفاف قد يكون في الجانب الروحاني وهو خاص بالروح والملائكة

فينتظم بكونه مصطفين، الروحُ صفٌّ واحدٌ أو متعددٌ والملائكةُ صفٌّ وقيلَ صفوفٌ وهو الأوفق لقولِه تعالى(والملك صَفّاً صَفّاً) وقيلَ يقومُ الكُلُّ صفّاً[427] وقوله تعالى(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا)[428]،والصف اسم للأشياء الكائنة في مكان بجانب بعضها بعضا كالخط[429] والاصطفاف هو شعار الخدمة والاستسلام والطاعة الصرف والخضوع التام فإن الاصطفاف في قبالة عظمة الله تعالى هو الخضوع والتسليم والتسبيح الصرف في مقام تختلف فيه المقامات والمراتب الوجودية والتي هي خارج الزمان والمكان والمادة الجسمانية واللام في تعريف الروح لتعريف الجنس: فالمفرد معها والجمع سواء. والمعنى: يوم تحضر الأرواح لتودع في أجسادها، وعليه يكون فعل يقوم مستعملا في حقيقته ومجازه. والملائكة عطف على الروح، أي ويقوم الملائكة صفا[430].

وفي آية أخرى تصف مشهدا للملائكة في قوله تعالى(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)[431] مُصطفينَ أو ذَوِي صفوفٍ فإنه ينزلُ يومئذٍ ملائكةُ كلِّ سماءٍ فيصطفونَ صفاً بعدَ صفٍ بحسب منازلِهم ومراتبِهم مُحدقينَ بالجِنِّ والإنسِ[432] وهذا الموقف في الاصطفاف هو خضوع وذل للملك الجبار[433].

---

[423] التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ): دار الفكر العربي – القاهرة:1039/9.

[424] سورة الطور من الآية:20.

[425] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة: ط1 1420هـ –2000 م:813

[426] ينظر: في ظلال القرآن :3897/6، والتحرير والتنوير:301/30.

[427] ينظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:93/9.

[428] سورة النبأ من الآية:38.

[429] التحرير والتنوير:51/30،

[430] ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد 1158هـ)تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت:ط1 – 1996م: 882/1. التحرير والتنوير:51/30.

[431] سورة الفجر:آية 22.

ثم يبين الله تعالى حقيقة الصف في قوله:(والصافات صفا) لتشمل جميع من ذكر في الكلام السابق فهي مطلقة شاملة على من يكون على هذه الصفات من إنسان أو ملائكة أو جن في الحياة الدنيا والآخرة فهو ترتيب الجمع على خط ولذلك تعدد قول المفسرين في ذلك من كونهم الملائكة أو الإنسان في اصطفاف الصلاة أو الحيوان كونه ماشيا على الأرض أو طائر يطير بجناحيه[434] فالقسم شمل جميع الفاعلاتِ للصُفوفِ على أنَّ المرادَ إيقاعُ نفسِ الفعلِ منْ غيرِ قصدٍ إلى المفعولِ أو الصَّافَّاتُ أنفسَها أي النَّاظمات لها في سلك الصُفوفِ بقيامها في مقاماتِها المعلومةِ حسبما ينطِق به قوله تعالى (وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)[435] [436] ،وبهذا نكون قد أنهينا الكلام في هذا المبحث بكون أن الصف تناول الإنسان والحيوان في عالم المادة والروح والملائكة والجن في العالم الروحانى لحقيقة الصف من أن لكل واحد منها مقام يقف عنده فلا يتجاوزه ونرتحل إلى الدراسة الفنية لنظهر جمال هذه الكلمة التي تشكلها المفردة في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الجمالية الفنية بين صف الطيور في السماء وصفن الخيول للانطلاق.

قبل البدء بالكلام على جمالية صف الطيور لا بد من أن نبين حقيقة مهمة للمفردة التي تحملها هذه اللفظة من تصوير رائع تتجلى فيه الجمالية الفنية التي تؤثر في العقل والقلب معاً ،فهي تخاطب الذهن في أرقى عملياته الفكرية والإدراكية وتخترق كوامن الوجدان حتى يصبح صافياً حيّاً ونابضاً متألفاً .ومن ثم يكون المنطق التأثيري آخذاً بالنفس البشرية متملكاً لجوانبها وأبعادها.[437]ولا شك أن الذي يؤدي ذلك هو المفردة، إن صح التعبير أو الكلمة فهي تكتسب هذه الميزة من الظلال الروحية التي تحيط بها من داخل النص فتتخذ معاني ثانوية يجود بها الموضوع المرتجى فالكلمة رهينة تلك الحالة الشعورية، وقد كُسرت قيود الدلالة اللغوية المركزية،[438] لذا فإنّ تحقق التصوير يتضافر باللفظ برنينه الصوتي ،وبالجملة بتراكيبها المتنوعة ،وبنغماتها الداخلية، والقرآن الكريم يرسم الصورة ويعرض المشهد بحيث تتوافر الجماليات في تناسق فني فتتآزر الأشكال والجزئيات مع الدلالات المعنوية المصاحبة لتحقيق المقصد الديني والوجداني في وحدة تصويرية واحدة. ولقد وردت ألفاظ (الصافات) وهي تصف حالة الطير وهو محلق في الهواء في إطار سردي بالغ الدقة في الوصف والتصوير، وهي تجسد تلك الحالة التي يكون عليها الطير في نسق مصور ،حتى لتبدو المفردة حية شاخصة يدب فيها نوع من الحياة ،فضلاً عن الأداء الفني المعجز مصورة في جمال متناسق[439] مما يؤكد حقيقة الإعجاز الصوتي للمفردة القرآنية.

---

[432] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:157/9.

[433] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:ص924.

[434] ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:368/3.

[435] سورة الصافات :الآية:

[436] ينظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:183/7.

[437] ينظر :من جماليات التصوير في القرآن الكريم :ص5.

[438] ينظر: جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف دار المكتبي _دمشق_ط2 ، 1419هـ _1999م : ص28.

[439] ينظر: من جماليات التصوير في القرآن الكريم:ص167—168.

في هذا المبحث مطلبين يشكل ويوضح تلك الجمالية الفنية في لفظة (الصافات).

المطلب الأول: لفظة (الصافات) بين الشكل والمضمون والانسجام الصوتي.

تتمتع المفردة في المضمار الأدبي بثنائية الشكل والمضمون ،وفي الأدب الراقي يتضح أنّ الشكل ليس زخرفة بالية، بل يساند المضمون الفكري ،ومؤيدات هذا التلاحم ،وهذا التلاؤم المنسجم بين الطرفين تنبُعُ من النص نفسه، وتنطلق الأحكام من خلال جوِّ المفردة في خضمِّ المفردات، وهي تصافح حاسة السمع قبل أن تطرُقَ باب المشاعر[440] فالمفردة وتأليفها لا يأتي من ناحية النسق والجرس الصوتي ،بل يشمل التآليف في المعنى ،والتماسك في البناء ،والتأثير بالمعاني المتداعية ،وهذا التآخي والتآليف والتماسك في الألفاظ والمعاني واضح في كل آيات القرآن الكريم[441] ،وبذلك يمكن القول أن الصوت يتعلق بالمعنى لأنّ القوة التعبيرية للكلمة المفردة لا تتأتى من معناها وحده بل من طبيعة شكلها الصوتي أيضاً[442]، فالمعنى والصوت كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط لا يقبل التفرقة ،إنّ الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس ألفاظها[443] وعليه فإنّ التلاؤم الصوتي يشكل مع الدلالة المعنوية عنصري الجمال والذوق اللذين امتازت بهما اللغة العربية[444] ومن ثم فإنّ إدراك التوحيد للجمال في الشكل والمضمون في ضوء الهدف والتجربة والثقافة المستندة إلى الحواس باعتبار منافذ للعقل إنما مبدأ قرآني وفقاً لقوله تعالى: (فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها)[445] وقوله تعال: (وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ)[446] ،وقوله:(فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ)[447] ،فالجمال هو الحسن الكثير والبهاء والرونق والانتظام في مكوناته تناسباً ومحلاً وتناغماً في الإنسان وغيره ،شكلاً ومضموناً[448]، مما يدل على فصاحة هذه اللغة المتسقة في ألفاظها، وتآخي عباراتها ورنَّة موسيقاها، والتواؤم بين ألفاظها ومعانيها[449].

وفي قوله تعالى:(والطير صافات ويقبضن)[450] ،ثمة تناغم في الإيقاع الموسيقي ينساب من الحروف المتآلفة يعطي التوحد في التعبير ،ويبرز الجانب الجمالي الكامن فيها،بحيث يبدو التكامل بين اللفظ والمعنى اندماجاً كاملاً في النسق والدلالة[451]،

---

[440]ينظر: جماليات المفردة ص31.

[441]ينظر: من جماليات التصوير ص14.

[442])ينظر:الأفكار والسلوك ص45. والبلاغة والمعنى في النص القرآني (تفسير أبي السعود أنموذجا) د.حامد عبد الهادي حسين 1428هـ_2007م.ص174.

[443] ينظر: الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق ص69.

[444] ينظر: التعبير البياني رؤية بلاغية نقديةص143.

[445]سورة الحج :من الآية: 46.

[446] سورة الحاقة:الآية 12.

[447]سورة القلم :الآية 5_6.

[448] ينظر: التقابل الجمالي ص47.

[449] المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ): دار الفكر العربي.ص37.

[450] سورة الملك آية:.

[451] ينظر: من جماليات التصوير :ص189—190.

وبذلك بلغ التعبير مستوى فريداً في رسم الصورة وخلق عوامل التأثير لها،فنرى الصورة المعبرة الحسية بدلالاتها أو جرسها أو بهما معاً حتى تشكل السياق وفق مقتضى الحال[452].

ففي قوله تعالى:(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) نرى اختلاف بين مفردتين الاولى أسمية والثانية فعلية فقد عبرت كل لفظة بجرسها عن حالة يكون عليها الطير ففي حالة الاسمية يكون الطير وطبيعة الحركة المرئية في الصيغة، وكأنها محاكاة للواقع؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف، وبسطها والطير إذا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ في الهَوَاءَ وَسَكَّنَهُما فَلَمْ يُحرّكْهُما قيل صف[453] فطول المدّين في «صافّات» يمثّل بسط الأجنحة[454] كما أن حرف الصاد أقوى لما فيه أثر مشاهد يُرَى من الأفعال والصاد أقوى صوتًا، لما فيها من الاستعلاء[455] وفي الكلمة الفعلية كانها تحاكي كذلك واقع الطير في طيرانه فالقبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرّك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل، يقبضن ، فيكون القبض تارة بعد تارة، كما يكون من السّابح[456]

فنستنتج أن طول المدّين في «صافّات» يمثّل بسط الأجنحة، وتمثّل الوقفتان في «يقبضن» التحرك الطارئ، وزمن المدّ أطول من زمن التحرك في الطيران، وفي المفردتين. فالمفردة وتأليفها لا يأتي من ناحية النسق والجرس الصوتي ،بل يشمل التآليف في المعنى ،والتماسك في البناء ،والتأثير بالمعاني المتداعية وهذا التآخي والتآليف والتماسك في الألفاظ والمعاني واضح في كل آيات القرآن الكريم كما قدمنا

المطلب الثاني: إيقاع المدود وأثره في لفظتي(الصافات) و(الصافنات).

ينبغي أن نعلم أنّ المدود والحركات تتدخل في طول المفردات إذ تقسمها إلى مقاطع صغيرة سهلة في النطق والسمع ،كما أنّ سماع المفردات القرآنية لا يُشعِرُ بوطءِ الطول ،فالتنسيق الزمني مترادف مع نوعية التشكيل الصوتي وكيفيته .وفي هذا المطلب سوف نركز على أهمية حروف المد في إيقاع المفردة من خلال لفظة(الصافات) ،ولا شك أنّ هذا الإيقاع مقصود تحت مصطلح الخفة[457]، وذلك لأنّ أتساع المخارج في حروف المد يجعلها تسهل في النطق وفي ذلك يقول ابن جني(فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضًا مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها إذا لم يجدوا عليه تطرقًا، ولا بالاستراحة إليه تعلقًا. وذلك نحو شابة، ودابة)[458]من هنا يتبين جمال المد كشاهد ونموذج وقد لفت إليه بعض الباحثين من خلال بعض الدراسات

---

[452] ينظر: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية 143. والبلاغة والمعنى في النص القرآني ص179.

[453] ينظر: فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي: إحياء التراث العربي: ط1 1422هـ - 2002م:ص141.

[454] ينظر: جماليات المفردة القرآنية:ص244.

[455] ينظر: دراسات في فقه اللغة: د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: 1407هـ): دار العلم للملايين: ط1، 1379هـ - 1960م:ص143.

[456] ينظر:الكشاف: 4/ 138، مدارك التنزيل: 4/ 277، إرشاد العقل: 9/ 8.

[457] المصدر نفسه : ص356.

[458] الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب ط4. 128/3.

الأدبية[459] ،وهذا يجعلنا أن نعتمد في هذا المطلب على فقه اللغة وعلم التجويد حتى يتبين لنا جمالية المدود وقد نبه إلى ذلك الدكتور أحمد ياسوف في كتابه دراسات فنية فقال :(لو طبقت أنواع المدود اللازمة مثلاً لوجدنا مادة وفيرة عند الباحثين ... وبعد معرفة طبيعة المد يمكن أن يقدم الدارس إيحاءات ويكشف الستار عن فضاءات نفسية للمفردة)[460] وسوف نقوم بتطبيق ما ذكره الدكتور أحمد ياسوف على لفظة (الصافات).لكن ينبغي أن نوضح مسألة مهمة في ذلك ذكرها هو في إيقاع المدود وهي ينبغي أن يتجنب الباحث ربط الصوت بالمعنى عن حدس وتخمين ،وعليه أن يكتفي بتلاؤم نغم الحروف مع مقاصد الكلمات ،أما زيادة الإيغال فلا حاجة لها[461].

ففي كلمة (صافات) نجد أن المد الذي يوحي بالاستمرار والتواصل فالنطق يستغرق زمنا طويلا نسبيا مما يعكس حالة الطيران الهادئة للطير وهو في جو السماء والذي جسده الصويت الطويل مع وجود حرف الصاد الذي رخو، مهموس، مفخم. فهو يعبر عنه والذي تتحد فيه وسائل المتعة والراحة وقد نجح المد في تصويره إلى حد كبير[462]، وتتكرر فيها الفاء المشددة الذي هو صوت رخو مهموس مرقق[463]،ليجسد هذا الهدوء لدى الطائر مع صفه للجناحين دون تحريكهما والمسبوق بالمد الطويل الممهد لها، والمبرز للهدوء التي تكون عليه ، ومن خلال التركيب الصوتي في حرف المد المسبوق بحركة الفتحة المحيية للمشهد الذي سيكون[464]،يتجلى لنا طول المشهد الذي يتسم بالهدوء الذي أدى إلى إطالة التعبير، فالنطق الصوتي يستغرق زمناً طويلاً نسبياً مما يوحي إلى هناك تناسباً بين طول مشهد الطيران وحرف المد ،الذي يمد مقدار ست حركات. ثم الوقوف على هاء السكت ينبه إلى أن هذه المشهد لابد له من انتهاء. قد يكون بسكون الطائر أو تغير حالته إلى حالة أخرى وهو القبض. وجمالية العرض كذلك تتجلى في قوله تعالى (الصَّافِناتُ الْجِيادُ) نجد أن المد الذي يوحي بالاستمرار والتواصل قد وجد في هذه المفردة إلا أن استغراق الزمن قد يكون زمنا نسبيا مما يعكس حالة الخيل وهي واقفة على ثلاثة قوائم والرابعة مرفوعة والذي جسده الصويت الطويل مع وجود حرف الصاد الذي من صفته الرخو، المهموس، التفخيم. فهو يعبر عنه والذي تتحد فيه وسائل المتعة والراحة وقد نجح المدان في تصويره إلى حد كبير.وهذان المدان يوحي بالتأمل لبيان العلاقة بين الزمن واستغراق وقوف تلك الخيول وهي صافنة تستعد للانطلاق، ولعل حرف المد الثاني أكثر زمنا في الوقف لأن الألف حرف ساكن وسكون التاء لا بد من تطويل مد الألف أكثر ليستغرق أكثر للنهوض بالنطق بالتاء كما صرح بذلك ابن جني[465] وهو حرف مهموس فوُصفتْ بالصُّفون والجَودةِ لبيان جمعها بين الوصفينِ المحمودينِ واقفةً وجاريةً أي إذا وقفتْ كانتْ ساكنةً مطمئنة في مواقفها وإذا جرتْ كانت سِراعاً خِفافاً في جَريها[466] ولأن الصافن لا يكون إلا من الخيل والأفراس وهو الذي

---

[459] وممن ذكر ذلك د.محمد المبارك في كتابه (دراسات أدبية لنصوص من القرآن ص30. حيث لفت إلى جمالية المدّ في كلمة (الحاقَّة) فقال:تتكرر فيها كلمة(الحاقة)وهي الكلمة الجديد التي تعبر هنا عن يوم القيامة والحساب وتتكرر فيها هذه المشدّدة التي تَقرَعُ السمع قرعاً والمسبوقة بالمدِّ الطويل الممهد لها ،والمُبرِزُ لشدتها والمختومة بالهاء التي تنطفئ عندها شدّتها. ينظر دراسات أدبية لنصوص من القرآن ص30.

[460] دراسات فنية ص364.

[461] ينظر: المصدر السابق ص369.

[462] ينظر:دراسات فنية:ص367،ومن جماليات التصوير في القرآن الكريم مجمد قطب عبد العال:ص11

[463] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب: مكتبة الخانجي بالقاهرة: ط3، 1417هـ – 1997م:ص43.

[464] ينظر في ظلال القرآن،1483/3.

[465] ينظر:الخصائص: 128/3.وقوله(فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضًا مما كان يجب لالتقاء الساكنين)

[466] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:225/7.

يقف على ثلاث قوائم وطرف حافر القائمة الرابعة لا يمكن القائمة الرابعة من الأرض، وتلك من علامات خفته الدالة على كرم أصل الفرس وحسن خلاله[467].

وهكذا يتجلى لنا الفن وجمال العرض وروعة الأداء التعبيري الذي يمنحنا التصوير المتكامل للموقف تكاملاً في الشعور والتأثير والجمال.

الخاتمة

وفي نهاية البحث الذي كان ماتعا بنوعية الدراسة والتي لم يتطرق إليها سابقا كبحث مستقل من نوعه فقد تمخض البحث عن أمور مهمة تستحق التسجيل والتقييد كخاتمة لهذا البحث وبابا للدراسة فيها مستقبلا وهي تتجلى في الآتي:

1_ الجمالية هي القيمة الفنية للمفردة في سياق البلاغة القرآنية، واستقلالها بأهمية كبيرة في مجال التأثير الوجداني.

2_ الصفّ بحسب ما يضاف إليه فيقال: صفَّ القومُ: انتظموا في صفٍّ واحدٍ. وصفَّتِ الإبلُ قوائمَها: وضعتها صفًّا.وصفَّ المقاعدَ: نظَّمها طولاً في استواء، وصَفَّ الحروفَ: نظَمها كلماتٍ في سطورٍ تهيئةً لطبعها.وصفَّتِ الطَّيرُ في السَّماء: (صفت)بسطت أجنحتَها في طيرانها فلا تحرّكها.

3_ الاصل في مادة(الصف)هو صيرورة أشياء في خط واحد سوء أكان إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا، علما أن الصف في العالم المادي يتحقق بالوقوع على خط واحد ظاهري وفي العالم الروحاني الصف خاص بالروح والملائكة. وأن لكل واحد منها مقام يقف عنده فلا يتجاوزه .

4_ أن المفردة لها حقيقة مهمة والتي تحملها هذه اللفظة من تصوير رائع تتجلى فيه الجمالية الفنية التي تؤثر في العقل والقلب معاً ،فهي تخاطب الذهن في أرقى عملياته الفكرية والإدراكية وتخترق كوامن الوجدان حتى يصبح صافياً حيّاً ونابضاً متألفاً.

5_ أن طول المدّين في «صافّات» يمثّل بسط الأجنحة، وتمثّل الوقفتان في «يقبضن» التحرك الطارئ، وزمن المدّ أطول من زمن التحرك في الطيران، فالتآليف في المعنى ،والتماسك في البناء ،والتأثير بالمعاني المتداعية والتآخي والتآليف والتماسك في الألفاظ والمعاني واضح في المفردة.

6_أن المد يوحي بالاستمرار والتواصل فالنطق يستغرق زمنا طويلا نسبيا مما يعكس حالة الطيران الهادئة للطير وهو في جو السماء والذي جسده الصويت الطويل مع وجود حرف الصاد الذي رخو، مهموس، مفخم. فهو يعبر عنه والذي تتحد فيه وسائل المتعة والراحة والذي نجح فيه المد في تصويره إلى حد كبير.

7_ أن المد الذي يوحي بالاستمرار والتواصل وجد في مفردة الصافنات قد استغراق الزمن قد يكون زمنا نسبيا مما يعكس حالة الخيل وهي واقفة على ثلاثة قوائم والرابعة مرفوعة والذي جسده الصويت الطويل مع وجود حرف الصاد الذي من صفته الرخو، المهموس، التفخيم. فهو يعبر عنه والذي تتحد فيه وسائل المتعة والراحة، فيتجلى لنا الفن وجمال العرض وروعة الأداء التعبيري الذي يمنحنا التصوير المتكامل للموقف تكاملاً في الشعور والتأثير والجمال.

---

[467] التحرير والتنوير:254/23.

المراجع

- **القرآن الكريم**

1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار إحياء التراث العربي – بيروت: ط1 – 1418 هـ.
2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ)المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة: 1419 هـ.
3) البلاغة والمعنى في النص القرآني (تفسير أبي السعود أنموذجا) د.حامد عبد الهادي حسين 1428هـ_2007م.
4) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ): الدار التونسية للنشر – تونس: 1984 هـ.
5) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري:جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ،دار ابن خزيمة – الرياض – 1414هـ: ط1.
6) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية:د.شفيعالسيد، مكتبة الشباب،1977م.
7) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ): دار الفكر العربي – القاهرة.
8) التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت :ط3 – 1420 هـ.
9) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر:ط1، 1365 هـ – 1946 م.
10) التقابل الجمالي في النص القرآني: دراسة جمالية فكرية وأسلوبية:دار النمير دمشق :ط1، 2005.
11) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي – بيروت: ط1، 2001م.
12) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة: ط1 1420هـ –2000 م.
13) جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف دار المكتبي _دمشق_ط2 ، 1419هـ _1999م
14) جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف: دار المكتبى – دمشق:ط2، 1419 هـ – 1999م.
15) جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)المحقق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين – بيروت: ط1، 1987م.
16) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب ط4.
17) دراسات في فقه اللغة: د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: 1407هـ): دار العلم للملايين: ط1، 1379هـ – 1960م:ص143.

18) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)المحقق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية – بيروت:ط1، 1415 هـ

19) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ): مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة: 128 هـ.

20) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ): مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة: 1285 هـ

21) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: 573هـ) المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية): ط1، 1420 هـ – 1999 م.

22) فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ)عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت: 1412 هـ – 1992م.

23) فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي: إحياء التراث العربي: ط1 1422هـ – 2002م.

24) في ظلال القرآن،سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ): دار الشروق – بيروت– القاهرة:ط17 – 1412 هـ.

25) كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال.

26) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

27) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية، لبنان – 1413هـ . 1993م ،ط4.

28) المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية – بيروت: ط1، 1421 هـ – 2000 م.

29) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]

30) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب: مكتبة الخانجي بالقاهرة: ط3، 1417هـ – 1997م

31) المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ): دار الفكر العربي.

32) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب: ط1، 1429 هـ – 2008 م.

33) معجم ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: 350هـ)تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر،مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة: 1424 هـ – 2003 م.

34) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: 1399هـ - 1979م.

35) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد 1158هـ)تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت:ط1 - 1996م.

36) النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ): تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ،المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

37) ومن جماليات التصوير في القرآن الكريم محمد قطب عبد العال.الهيئة المصرية العامة للكتاب ط3، 2006م.